مُتَرجَمات
روبرت لويس ستفنسون

ترجمة: حسام أبو سعدة

القراصنة و الذهب

(١)

حسب رغبة الفارس «تريلاونى» و الطبيب «ليفيسي» و كل السادة بصفة عامة، اضطررت للكتابة عن كل ما أعرفه عن جزيرة الكنز من الألف إلى الياء. بدون تحديد مكانها بالطبع لوجود جزء من الكنز دائمًا هناك. بدأت الكتابة عام ١٧٠٠، عندما كان والدى يدير فندق «بينبو». فى هذه الأيام كان البحار العجوز ذو الوجه الخشن المجعد من ضربات السيوف أتى لاستئجار كوخ فوق السطح.

أتذكره جيدًا كأننى رأيته بالأمس. أتى إلى الفندق بخطوات ثقيلة يتبعه عربة يد تحمل حقائبه. وغد ضخم قوى، يتهدل شعره الداكن الخشن على ياقة سترته الزرقاء المتسخة. مُصاب بجروح كثيرة فى يديه من المسامير الصدأة و ضربات السيوف. آثار الملح واضحة فى وجنتيه. نظراته ثاقبة ثم بدأ ينشد بصوته الحاد نفس الأنشودة التى يقولها دائمًا:

- كنا خمسة عشر فوق النعش... يا هو هو هو و زجاجة روم!

يضرب باب حجرة والدى بعصاه التى تشبه عتلة ضخمة ويطلب زجاجة الروم. يبتهج والدى و هو يقدم له الزجاجة بينما هو يشرب بهدوء و تلذذ وهو يرقب المنحدرات و العلامات ثم يقول:

– هنا جدول مناسب و ملهى ليلى جميل. هل يوجد الكثير من الزبائن؟ من الأصدقاء؟

يجيب والدى بالنفى.

– الزبائن قليلة جدًا. إنهم يعيشون فى عزلة.

فيقول:

– حسنًا! يجب أن ألقى الهلب هنا.

ثم استدار الى الرجل الذى يدفع العربة و قال:

– ارسو هنا يا صديقى و ارفع حقيبتى.

يستكمل:

– سأمكث هنا بعض الوقت. لست صعبًا. لا أريد أكثر من الروم و البيض. و هذه القمة المرتفعة لمتابعة السفن. ماهو اسمى؟ آه، تستطيع أن تنادينى بالقبطان... آه! ألاحظ ما يقلقك.. خذ..

ثم ألقى ثلاث أو أربع قطع ذهبية فوق الطاولة و أكمل:

– يجب أن تخبرنى عندما تتجاوز إقامتي هذا المبلغ.

كان متغطرسًا مثل كل قباطين السفن.

فى الحقيقة، بسبب هيأته الفقيرة و أسلوبه الجاف، لا يبدو أبدًا مثل الرجال الذين أبحروا من قبل. يبدو أنه لم يعانى

العصيان و لا التمرد من قبل. الرجل الذى يدفع عربة اليد قال لنا أنه استرد وديعته من صندوق البريد بالأمس و سأل عن الفنادق الموجودة على الساحل. و على ما يبدو أن الناس مدحت فى فندقنا. و لأنه يحب العزلة اختار أن يكون هذا ملجأه.

من البديهى أنه كان قليل الكلام. يتجول طوال النهار حول الخليج أو وسط الكهوف وهو يحمل نظارة مكبرة نحاسية. كل ليلة يقبع بالقرب من المدفأة فى ركن الصالة يشرب الروم. غالبًا لا يجيب عن أى سؤال حول شخصيته لكنه ينظر إليك بشراسة و هو ينفخ أنفه مهددًا. لذلك اعتدنا تجنبه، ليس نحن فقط بل كل نزلاء الفندق أيضًا. عندما يعود من نزهته اليومية يسألنا إذا كان قد ظهر بعض رجال البحر فى الطرقات. فى البداية اعتقدنا أنه يحن للبحارة ثم علمنا بعد ذلك أنه يسعى لتجنبهم. عندما أتى إلينا بحار – و هم يمرون من هنا أحيانًا أثناء توجههم إلى «برستول»– تفحصه بدقة من خلف الستار قبل أن يدخل الصالة، ثم ظل صامتًا مثل الأخطبوط لكن بالنسبة لى لم أجد الأمر غريبًا لأننى أدركت مخاوفه بحدسى. فى ذات يوم انتحى بى جانبًا و وعدنى براتب شهرى لو وافقت على المراقبة لإخباره بوصول بحار ذو ساق واحدة. وافقت بالطبع وعندما يحل بداية الشهر و أطالب بالراتب ينفخ و هو يرمينى بنظرات الغضب لكنه يمنحنى الراتب قبل أن يمر أسبوع واحد فقط و هو يؤكد على مراقبة بحار ذو ساق واحدة.

هذه الشخصية أصبحت تطارد أفكارى. فى الليالى العاصفة عندما تتخبط الرياح بالمنزل من الجهات الأربعة بينما الأمواج تهاجم الكهوف و الصخور يبدو لى فى ألف هيأة مختلفة و ألف شكل شيطانى. أحيانًا تختفى ساقه من أسفل الركبة و أحيانًا تختفى من عند الأرداف. أحيانًا يبدو لى فى هيأة و حش ليس له إلا ساق واحدة فقط تتوسط جسده. أسوأ الكوابيس عندما أراه يقفز فى الحقول و يجرى خلفى. إنها معاناة شديدة من أجل الحصول على الراتب الشهرى.

لكن الذعر الذى أشعر به عندما أتخيل البحار ذو الساق الواحدة يتضاءل أمام القبطان. يبدو أن كل معارفه من الوحوش. فى بعض الليالى يشعر بشراهة أكبر من قدرته. فى هذه الأيام يتأخر فى غناء أنشودته المفضلة و لا يدخل فى مشاكل مع أحد. لكن فى أحيان أخرى يقوم بجولة كاملة و يجبر مرافقه على سماع حكايات أو أغانى غريبة. كثيرًا ما أسمع صيحته تجلجل فى المنزل «يا هوهوهو» و يتجاوب معه كل النزلاء ليتجنبوا الحوار معه. يبدو من هيأته أنه أقسى طاغية فى هذا العالم. يضرب المنضدة بيده طالبا الصمت. يغضب بشدة من أى سؤال و يغضب أيضًا عندما لايلتفت إليه أحد، يعتبر هذا نوع من الإهمال لحكاياته. و لا يقبل أبدًا ان يغادر الفندق أحد قبله.

حكاياته تثير مخاوف الجميع. حكايات مفزعة عن رجال مشنوقين أو غرقى و عواصف البحر و جزر السلاحف والإستكشافات المذهلة فى أمريكا اللاتينية. بإعترافه يجب أن يعيش وسط البحارة المتوحشين. حكاياته تصدم النزلاء. والدى يردد أنه سيخرب الفندق لأن النزلاء لا يريدون الذهاب الى الفراش مرتجفين من الخوف. لكنى أعتقد أن إقامته مربحة. الناس يشعرون بالخوف لكنهم لا يشتكون. إنه يثير فضول القرويين. يوجد أيضًا مجموعة من الشباب مبهورين به و يصفونه بـ «ذئب بحر حقيقي» أو صفات أخرى مشابهة، ثم يضيفون إنه من الرجال الأشداء الذين يجعلون لإنجلترا هيبة فى البحار.

فى الحقيقة هو يقودنا إلى الخراب بالفعل. مرت أسابيع وشهور و الأرباح تتناقص و مع ذلك والدى يعامله بأسلوب راق. عندما لمح له بذلك نفخ فى عصبية و رمى والدى المسكين بنظرة مخيفة مهددة ففر من أمامه و انكمش داخل نفسه فى ذعر.

أثناء إقامته عندنا لم يشتر أى شىء سوى زوج من الجوارب من بائع متجول. تحطمت أحد أركان قبعته فتركها تتهدل رغم أن هذا يضايقه مع هبوب الرياح. يرقع ثيابه بنفسه فى حجرته حتى أصبحت مهلهلة رثة. لا يكتب لأحد أبدًا و لا يستقبل أى مراسلات من أحد. لا يتحدث مع أحد إلا نزلاء الفندق و هذا

لا يحدث إلا عندما لا يكون ثملاً. لم ير أى منا ما فى حقيبته البحرية الضخمة.

لم نقاومه إلا مرة واحدة فقط. حدث هذا فى الأيام الاخيرة عندما أُصيب والدى المسكين بالسُل. أتى الطبيب «ليفسى» فى المساء لزيارة مريضه و وافق على الطعام الذى قدمته له والدتى. وعندما علم أنه تم اقتياد حصانه إلى الحقول لأننا لا نملك زريبة فى الفندق جلس يدخن غليونه فى الصالة. تابعته و مازلت أتذكر حتى الآن طريقة فحصه للمرضى. و فجأة أنشد القبطان أنشودته:

- كنا خمسة عشر على النعش... يا هو هو هو! و زجاجة الروم!... الشراب و الشيطان يرسلون الآخرين... ياهو هو هو! وزجاجة الروم!...

فى البداية كنت أعتقد أن المقصود بالنعش هو حقيبته وهذا الخيال انساب فى كوابيسى بالإضافة إلى الرجل ذو الساق الواحدة. لكن فى هذه الفترة فقدنا اهتمامنا بأنشودته بعد أن اعتدنا عليها بينما الطبيب «ليفسى» انتبه و رفع عينيه بعصبية قبل استكمال فحص العجوز «تايلور». مع ذلك استكمل القبطان أنشودته الخاصة ثم ضرب المنضدة بالطريقة التى نعلمها جميعًا.. صمتنا جميعًا إلا الطبيب استمر فى الحديث بصوت واضح و هو

ينفث غليونه. لم يقل إلا كلمتين أو ثلاثة. رماه القبطان بنظرات غاضبة وضرب المنضدة مرة أخرى و هو يقول بوحشية:

- الزم الصمت هناك.

سأل الطبيب:

- هل تقصدنى أنا سيدى؟

أكد له القبطان أنه المقصود بالفعل فقال الطبيب:

- سيدى، لا أستطيع إلا أن اقول لك لو استمريت فى الشراب بهذا الشكل سيتخلص العالم بسرعة من وغد حقير!

غضب العجوز أصبح مخيفًا. هب واقفًا و جذب السيف البحرى و أصبح جاهزًا لتثبيت الطبيب فى الجدار.

لكن الطبيب لم يهتز أبدًا. استمر فى الحديث معه بإزدراء وبصوت مرتفع يسمعه كل الموجودين فى الصالة ثم أكمل بثبات:

- لو لم تسحب سلاحك فورًا أقسم لك بشرفى سأعلقك فى المسمار الذى خلفك.

تبادلا النظرات فى غضب لكن القبطان تراجع و أعاد سلاحه و جلس هادئًا مثل كلب ينبح.

استكمل الطبيب:

– و الآن يـا سـادة، طالمـا أن هنـاك مثـل هـذه الشـخصية فـى منطقتـى يجـب أن تعلمـوا أننـى سـأقوم برعايتكـم طـوال الليـل والنهـار. أنـا لسـت طبيبًـا فقـط بـل قاضـى أيضًـا. لـو شـعرت بوجـود أى شـخص يزعجكـم سـأطرده مـن البلـدة.

بعـد فتـرة انصـرف الطبيـب و ظـل القبطـان صامتًـا هـذه الليلـة وعـدة ليـال أخـرى.

●●●

(٢)

بعد هذا الهجوم بدأت سلسلة من الأحداث الغامضة تخص قضية القبطان. فى هذا الشتاء كان البرد قارصًا، الجليد يتساقط و العواصف تهب بقسوة. منذ بداية الشتاء أدركنا أن والدى المسكين قد لا يعيش حتى الربيع. إنه يخفت يوم وراء يوم. و لأ ننى كنت أقوم بكل عمل الفندق بصحبة والدتى أصبح علينا الإنتباه لهذا النزيل الثائر.

فى إحدى أيام شهر يناير. فى الصباح الباكر، بينما الجليد يكسو الصخور و يتخبط بهدوء فوق سطح المياه، و ضوء الشمس يتساقط على التلال خافتًا و يتلألأ بعيدًا فوق البحر، استيقظ القبطان مبكرًا على غير عادته و انطلق الى الكهوف. سيفه يتأرجح تحت ثيابه الفضفاضة، نظارته النحاسية تحت إبطه ويطوح بقبعته خلف رأسه. رأيت الدخان يتصاعد من أنفاسه من شدة البرد. يبتعد بخطوات نشيطة و استنتجت غضبه الشديد. توقعت أن يكون ذلك بسبب ما حدث مع الطبيب.

صعدت والدتى لتجلس جوار والدى. فى انتظار عودة القبطان أعددت له المنضدة للإفطار. فى هذه اللحظة فُتح باب الصالة ودخل رجل لم أره من قبل. شاحبًا مثل الشمع، ينقصه

إصبعين فى كف يده اليسرى و لأنه يحمل السيف البحرى بدا كأنه يستعد للقتال. كنت أتابع كل رجال البحر بساق واحدة أو ساقين لكنى خجلت من هذا الرجل. يرتدى زى البحارة لكن يبدو أنه بحار قذر.

سألته عن طلبه فطلب الروم. كنت على وشك الخروج بحثًا عن القبطان لكن الزبون جلس على المنضدة و أشار لى بالاقتراب. ثبت فى مكانى حاملاً المنشفة فقال:

- تعالى هنا يا بنى. اقترب.

تقدمت خطوة فسأل و هو يغمز بعينيه:

- هل هذه المنضدة مخصصة لصديقى «بل»؟

أخبرته أننى لا أعلم صديقه «بل» و هذه المنضدة مخصصة لنزيل عندنا نطلق عليه اسم القبطان.

- و لماذا لا يكون قبطانك هو صديقى «بل»؟ يوجد جروح فى وجه صديقى «بل»، و هو نشيط و خصوصًا عندما يشرب. لنرى إذا كان يوجد جروح فى وجه قبطانك، و خاصة وجنته اليسرى. مارأيك؟ الآن أكرر سؤالى: هل صديقى «بل» هنا؟

أجبته بأنه خرج للتنزه.

- إلى أين إتجه يا بنى؟ إلى أين؟

أشـرت إلـى الصخـور و أكـدت لـه أن القبطـان لـن يتأخـر فـى العـودة و بعـد أن أجبتـه علـى عـدة أسـئلة قـال:

– آه! من المُبهج أن نشرب كأسًا نخب صديقى «بل».

قـال ذلـك بأسـلوب يخلـو مـن أى لطـف لكـن هـذا لا يهمنـي. لا أعلم إلـى أيـن ذهـب. التصـق الغريـب ببـاب الفنـدق يترقـب مثـل قطـة تنتظـر الفـأر.

بعـد فتـرة قـررت الخـروج إلـى الطريـق لكنـه نادانـى بسـرعة. ولأننـى لـم أسـتجب لـه بخفـة أصبـح وجهـه الشـمعى مهـددًا و أمرنـى بالعـودة فـورًا. مـا أن خضعـت لـه حتـى عـاد الـى هيأتـه الأولـى، نصـف مداعـب، نصـف سـاخر، و ربـت علـى كتفـى و أعلـن أننـى شـاب طيـب وأنـه يحبنـى ثـم أضـاف:

– لـدى ابـن يشـبهك إلـى حـد كبيـر و هـو مصـدر كل بهجتـى. لكـن علـى الأبنـاء أن يتعلمـوا الطاعـة. الطاعـة يـا بنـى. لـو كنـت أبحـرت مـع «بـل» لـن تتـردد أبـدًا فـى تنفيـذ الأوامـر. إنـه لايقبـل بذلـك أبـدًا و لا كل مـن أبحـروا معـه. لكـن هـا هـو صديقـي «بـل» يقتـرب حامـلاً نظارتـه النحاسـية. يبـاركك الـرب يـا صديقـى! يجـب أن تعـود معـى إلـى الصالـة يـا بنـى و تقـف خلـف البـاب. سـنقوم بمفاجـأة «بـل». ليبـاركك الـرب.

ثم جذبني داخل الصالة و جعلني خلفه فى ركن جوار الباب للإختفاء. كنت قلقًا جدًا و تضاعفت مخاوفى عندما شعرت بقلق الغريب أيضًا. لقد أخرج سيفه البحرى من غمده و كان يبتلع ريقه طوال فترة الانتظار.

فى النهاية دخل القبطان. دفع الباب دون أن يلتفت يمينًا ولا يسارًا. إتجه إلى المنضدة مباشرة حيث يوجد الإفطار. صاح الغريب و هو يجاهد ليبدو صوته قويًا:

- «بل».

شحب وجه القبطان تمامًا. بدا كأنه رأى شبح أو شيطان وربما ماهو أقبح من ذلك. أشفقت عليه لأنه أصبح عجوزًا قبيحًا. صرخ الغريب:

- هيا «بل»، ألا تعرفنى؟ صديق قديم من الساحل. أليس كذلك «بل»؟

زفر القبطان و هو يقول:

- الكلب الأسود.

فقال الغريب ساخرًا:

- و ماذا أيضًا؟ الكلب الأسود أتى من الساحل لزيارة صديقه القديم «بل» فى فندق «بنبو». آه «بل»، لقد رأينا أشياء كثيرة سويًا.

ثم رفع كف يده و استكمل:

- منذ أن فقدت إصبعى كفى.

قال القبطان:

- حسنًا. عثرت علىّ. ها أنا. تكلم، ماذا تريد؟

فسر الكلب الأسود:

- أنت إذًا «بل». جئت لأشرب كأس من الروم مع هذا الشاب هنا. إنه لطيف. ثم نجلس للحديث سويًا مثل أى صديقين.

عندما عدت حاملاً زجاجة الروم رأيت كل منهما يجلس فى مواجهة الآخر على المنضدة المعدة للإفطار. الكلب الأسود يجلس من ناحية الباب ليرقب صديقه من ناحية و من الناحية الأخرى على ما أعتقد لمراقبة طريق الإنسحاب. طلب منى الخروج و أن أترك الباب مفتوحًا.

تنصت عليهما لكنى لم أستطع سماع شىء لصوتهما الخافت جدًا. ثم ارتفع الصوت شيئًا فشيئًا و استنتجت بضع كلمات. تأكيدات مطلقة من القبطان. قال:

- لا، لا، لا. و ألف لا. هذا يكفى.

قال الآخر:

- لو انتهى الأمر كذلك سنُشنق جميعًا!

دب الهرج و المرج فجأة. سمعت خبطات المقاعد و المناضد. سمعت قعقعة الحديد ثم صرخات الألم و بعد ثانية واحدة رأيت الكلب الأسود مذهولاً مكبلاً من القبطان. عندما وصلا إلى الباب ضربه القبطان بكل قسوة حتى أننى اعتقدت أن جمجمته تحطمت.

استكملا المعركة فى الطريق ثم جرى الكلب الأسود مجروحًا واختفى خلال نصف دقيقة خلف التلال. أما بالنسبة للقبطان كان يتلوى فى ذهول. ثم فرك عينيه و عاد إلى المنزل و هو يصرخ:

- «جيمى»، الروم!

قال ذلك و هو يستند بيده على الجدار فصرخت أسأل:

- هل جُرحت؟

عاد يقول:

- الروم! يجب أن أرحل من هنا. الروم! الروم!

اندفعت أبحث عن الروم مذهولاً مما حدث. كسرت زجاجة وحطمت الصنبور. أثناء الإنهماك فى عملى سمعت سقوطًا مدويًا فى الصالة. جريت لأجد القبطان ممددًا على الأرض وفى نفس اللحظة هبطت والدتى مهرولة لاستطلاع الأمر. رفعنا رأسه لنكتشف أنه يتنفس بصعوبة شديدة، مُغلق العينين بينما كل عضلات وجهه متصلبة. صرخت والدتى:

- يـا ربـى! يـا ربـى! مـا كل هـذه المشـاكل! و والـدك المسـكين مريـض!

لا نـدرى مـاذا نفعل لإنقـاذ حياتـه. كل مـا نعلمـه أنـه تلقـى ضربـة قاتلـة أثنـاء عراكه مـع الغريـب. مـن حسـن الحـظ لمحت زجاجـة الروم وحاولـت صـب بضـع قطـرات فـى فمـه لكـن كل عضلاتـه متشـنجة. كانـت النجـدة عندمـا رأينـا البـاب يُفتـح و يدخـل الطبيـب «ليفسـى» الـذى أتـى لزيـارة والـدى. صرخنـا:

- آه! ماذا نفعل؟ أين إصابته؟

قال الطبيب:

- جريـح؟ لا يوجـد مـا هـو أكثـر جرحًـا منكمـا و منـى. هذا الرجل تلقـى ضربـة قاتلـة علـى حسـب مـا علمـت. هيـا مـدام «هاوكنـز»، اصعـدى لزوجـك و لا تخبريـه عمـا حـدث. أمـا أنـا سـأحاول إنقـاذ هـذا البائـس. احضـر لـى طبقًـا يـا «جيمـى».

عندمـا عـدت بالطبـق رأيـت الطبيـب يشـمر أكمـام القبطـان فبـدت عضلاتـه الضخمـة و رأينـا الكلمـات مكتوبـة علـى ذراعـه: الريـاح مناسـبة، «بيلـى بـون» سـينجو منهـا. الكلمـات واضحـة جـدًا فـى أعلـى ذراعـه بالقـرب مـن الكتـف رأينـا رسـم مشـنقة. بـدت لـى الصـورة طافحـة بالحيـاة. قـال الطبيـب و هـو يتلمـس الرسـومات:

- نبوءة.. و الآن يا سيد «بيلي بون» إذا كان هذا اسمك الحقيقى، سنعرف ما هو لون دمك... «جيمى» هل تخشى من الدماء؟

- لا سيدى.

- حسنًا. هات الطبق .

ثم فتح الوريد بالمشرط.

كان يجب سحب كميات كبيرة من الدم قبل أن يفتح القبطان عينيه و يدور ببصره فى المكان بنظرات شرسة. ثم التفت إلى الطبيب و عرفه. ثم التفت إلىّ و توقفت نظراته كأنه يتأكد من أنه مازال على قيد الحياة. ثم تبدل لونه فجأة و جاهد ليهب واقفًا وهو يصرخ:

- أين الكلب الأسود؟

قال الطبيب مفسرًا:

- لا يوجد كلب أسود إلا فى أحلامك. لقد شربت الكثير وتشاجرت. مثلما قلت لك من قبل تمامًا. و أشعر بالندم لإنقاذك. الآن سيد «بون»...

قاطع القبطان:

- ليس هذا اسمى!

– ليس هذا مهمًا! إنه اسم أحد القراصنة على حسب علمى وسأطلق عليك هذا الاسم مجازًا. ما أريد أن أقوله لك: زجاجة الروم لن تقتلك لكن زجاجة ثانية و ثالثة، هكذا أراهن على موتك. هل تسمعنى؟ ستموت. هيا، يجب المقاومة. سأعاونك للذهاب إلى الفراش.

تعاونا لنصعد به إلى أعلى. سقطت رأسه على الفراش كأنه مغشيًا عليه ثم قال الطبيب:

– الآن تذكر ما قلته لك. الروم سيقتلك.

ثم قادنى الطبيب إلى حجرة والدى و هو يقول:

– يجب إغلاق الباب عليه. سحبت منه كمية مناسبة من الدم ليهدأ قليلاً. من الأفضل لكم و له أن يظل فى الفراش ثمانية أيام وألا يتشاجر مرة أخرى.

●●●

(٣)

فى الظهيرة دخلت إلى القبطان حاملاً المشروبات و الأدوية. وجدته فى نفس الوضع تقريبًا. بدا ضعيفًا و متوترًا. قال لى:

- «جيمى»، أنت الوحيد هنا الذى يعلم ما فى نفسى. كنت طيبًا معك، كنت أمنحك راتبك كل شهر. و الآن صديقى أنت ترى أننى مهزوم و منبوذ من الجميع. قل لى يا «جيمى»، يا صديقى العزيز، هل ستأتى لى بزجاجة الروم؟

قلت :

- الطبيب...

اندفع يهاجم الطبيب فى ملل:

- كل الأطباء قذرين. ماذا يعرف عن رجال البحر؟ لقد ذهبت إلى أماكن ساخنة مثل الجمر حيث يتساقط الرفاق الواحد تلو الآخر مصابين بالحمى الصفراء، حيث تضطرب الأرض مثل البحر... ماذا يعرف طبيبك عن مثل هذه البلاد؟.. أنا لا أستطيع الحياة بدون الروم. إنه المأكل و المشرب بالنسبة لى. أنا و الروم مثل الرجل و زوجته. بدون الروم أصبح عجوزًا بائسًا، مجرد جثة متهالكة و ستصبح أنت المسئول عن هلاكى و الطبيب القذر أيضًا.

ثم استكمل مضطربًا:

- انظر يا «جيمى» كيف ترتجف أصابعى. لا أستطيع التحكم فى أعصابي. أنا لم أشرب قطرة واحدة طوال هذا اليوم الملعون. هذا الطبيب أحمق. لو لم أشرب كأس من الروم يا «جيمى» سأرى الهلاوس. و بدأت تهاجمني الآن. أرى العجوز «فلان» فى هذا الركن خلفك. أراه كأنه لوحة مرسومة. لو هاجمتنى الهلاوس سيصبح كل شىء بشع، حياتى كلها عاصفة. الطبيب نفسه أكد ان زجاجة روم واحدة لن تفعل شىء يا «جيمى». سأدفع لك جنيهًا ذهبيًا فى الزجاجة الواحدة .

اضطراباته تنمو و هذا يقلقنى بالنسبة لوالدى الذى يقيم بالطابق الأسفل، إنه يحتاج إلى الراحة. رغم كل محاولاته لإفسادى إلا أننى تذكرت تحذيرات الطبيب فقلت:

- لا أحتاج مالك، إلا ما أنت مدين به لوالدى. سأتى لك بزجاجة واحدة فقط.

عندما أحضرت له الزجاجة ابتلعها كلها دفعة واحدة ثم قال:

- آه! أنا الآن فى حالة أفضل بالتأكيد. و الآن يا صديقى، حسب تعليمات الطبيب، كم من الوقت سأمضى محبوسًا فى هذا الفراش البائس؟

- على الأقل ثمانية أيام.

- ياللهول! ثمانية أيام! مستحيل. هكذا سيأخذون منى البقعة السوداء. أثناء هذه الفترة سيهجم على الغوغاء. الكسالى سيعجزون عن حماية ما لديهم. سيستولى القراصنة على نصيبنا. هل هذا من أخلاق البحارة الحميدة؟ بالنسبة لى لست طماعًا لكنى لن أضيع أموالى أبدًا. أمنتها جيدًا. لا أخشى منهم. أسقطتها في الشعاب المرجانية يا صديقى و سأبتزهم مرة أخرى.

أثناء حديثه هب واقفًا مستندًا على كتفى بقوة حتى صرخت وكان يحرك ساقيه مثل كتلة صماء.. عنف كلماته و إشاراته يتنافى تمامًا مع ضعف صوته. ثم جلس صامتًا و غمغم:

- هذا الطبيب سيقتلنى. أذناى تطن. عاونى على النوم.

ثم سقط فى مكانه صامتًا ثم قال بعد برهة:

- «جيمى» هل كنت ترى هذا البحار من قبل؟

- الكلب الأسود؟

- نعم! الكلب الأسود!.. إنه خبيث لكن من أرسلوه أخبث منه. إن لم أستطع الرحيل، أو إذا وصلوا الى البقعة السوداء.. تذكر إنهم يريدونها من حقيبتى البحرية. فى هذه اللحظة اركب حصانك... هل تستطيع ركوب الحصان؟.. حسنًا، حسنًا، اركب

حصانك واذهب إلى.. نعم، تبًا لهم!.. اذهب إلى الطبيب القذر و أخبره أن يجمع كل الناس حوله.. القضاة و الآخرون.. يضعون الكلاب حول الفندق.. كل قوم العجوز «فلان» الصغار و الكبار وكل المتبقين. كنت مدير أعماله. مدير أعمال العجوز «فلان» و أنا الوحيد الذى يعرف المكان. أخبرنى بالسر فى «سافانا» و هو على فراش الموت. لكن لا يجب نقله إلا إذا عثروا على البقعة السوداء. أو عندما ترى الكلب الاسود مرة أخرى، أو عندما ترى بحار بساق واحدة.. «جيمى» احذر كثيرًا من هذا الرجل.

- لكن ما هى البقعة السوداء يا قبطان؟

- إنه تحذير يا صديقى. سأشرح لك إذا أتوا هنا. لكن استمر فى المراقبة يا «جيمى» و سنتقاسم سويًا. كلمة شرف.

ثم راح يثرثر بصوت منخفض. أعطيته الدواء الذى تناوله مثل طفل صغير مطيع ثم قال: لو كان هناك بحار لا يحتاج إلى الدواء فمن المؤكد إنه أنا. ثم سقط فى النوم العميق مثل الإخطبوط.

ما الذى يمكن أن أفعله لو مرت الأحداث بشكل طبيعى؟ لا أعرف. من الطبيعى أن أقص كل شىء للطبيب لأننى أخشى أن يندم القبطان على اعترافه فيتخلص منى. لكن ما حدث هو أن والدى توفى فى هذه الليلة. المفاجأة أنستنى كل المشاكل. حل الخراب، أتى الجيران معهم قساوسة الجنازات و ارتبك سير

العمل فى الفندق. نسيت أمر القبطان و لم أعد أخشى عليه ولا منه.

لكنه هبط صباح اليوم التالى و تناول إفطاره كالعادة. أكل القليل لكنه شرب الروم. ما يضاعف من مخاوفى إنه يخدم نفسه بنفسه على الطاولة. يبدو شرسًا و هو ينفخ أنفه و لا يستطيع أحد مقاومته. مساء اليوم التالى للدفن كان ثملاً أكثر من ذى قبل و هذا ما أحدث صدمة فى المنزل الحزين. ينشد نفس الأنشودة البحرية القديمة. من شدة ضعفه أصبحنا نتوقع موته فى أية لحظة. الطبيب ذهب لزيارة مرضاه على بعد عدة أميال بعد وفاة والدى. القبطان يزداد ضعفًا رغم العلاج. يصعد و يهبط السلالم، يتجول فى الصالة و فى بعض الأحيان يخرج ليتشمم رائحة الهواء المالح. لكنه يسير مستندًا على الجدران. يتنفس بصعوبة و أحيانًا يلهث كأنه يتسلق جبل شاهق. فى هذه الفترة لم يتحدث معى على انفراد. أرجو أن يكون قد نسى ما قاله لى. لكنه أصبح متقلب المزاج، رغم ضعفه الجسدى إلا إنه أصبح أكثر عدوانية عن ذى قبل. عندما يشرب يضع سيفه على المنضدة. لا يهتم بالناس حوله، يغرق فى أفكاره شبه فاقدًا للوعى. على سبيل المثال فاجأنا بأغنية روسية عاطفية كان يعلمها قبل أن يتعلم الإبحار.

هكذا كان الحال فى اليوم التالى للدفن. فى الثالثة عصرًا وكان البرد قارصًا، جلست على عتبة الفندق برهة أفكر فى والدى. لمحت رجلاً يقترب ببطء شديد، يبدو ضريرًا لأنه يتلمس طريقه بعصاه ويغطى عينيه و أنفه بقناع أخضر. محنى الظهر من تأثير الزمن أو من الإرهاق الشديد، سترته البحرية رثة. لم أرى فى حياتى كلها من هو أكثر شرًا من هذا الرجل. عندما اقترب من الفندق حث الخطى و رفع صوته بلحن حزين أنيق ينادى الفراغ .

– ألا يوجد صديق لضرير فقير.. فقد بصره دفاعًا عن وطنه الغالى، إنجلترا و الملك «جورج» ليباركه الرب.. أين نحن الآن؟

أجبته:

– أنت الآن أمام فندق «بنبو»، فوق الجبل الأسود.

فقال:

– أسمع صوتًا. صوت شاب صغير. ألا تأخذ بيدى صديقى الصغير و تعاونى على الدخول؟

مددت يدى فقبض عليها بقوة جبارة. ارتجفت و حاولت التملص لكنه جذبنى بقوة و قال:

– الآن يا صغيرى خذنى إلى القبطان.

– سيدى، حسب اتفاقى معه، لا أستطيع.

قال ساخرًا:

- خذنى إلى المدخل فورًا و إلا سأحطم ذراعك.

قال ذلك و هو يضغط على ذراعى بقوة حتى أننى صرخت وقلت:

- سيدى، من أجل سلامتك يجب أن تعرف أن القبطان ليس فى حالته الطبيعية. يستعد بسيفه دائمًا . و هناك سيد آخر..

قاطعنى قائلاً:

- لنرى ذلك، هيا امشى أمامى.

لم أسمع فى حياتى لهجة أكثر برودة و قسوة من هذا الضرير. لا بد من الخضوع. عندما وصلنا إلى باب الصالة حيث القرصان العجوز المريض يشرب الروم، ضغط الضرير بقوة على كتفى حتى شعرت بنفسى أنحنى تحت ثقل وزنه و قال:

- خذنى إليه مباشرة، و عندما نصل إليه قل: «بل»، أتى صديق قديم لزيارتك. إن لم تفعل ذلك..

هزنى بشدة حتى أصبحت على وشك فقدان الوعى. تحت هذه التهديدات القاسية نسيت مخاوفى من القبطان. فتحت باب الصالة و صرخت مضطربًا بالكلمات المُتفق عليها.

رفع القبطان المسكين عينيه و استعاد عقله فى لمح البصر. بدت كل علامات الترقب. حاول الوقوف لكن يبدو فقد القدرة على ذلك. صرخ الشحاذ الضرير:

- لا «بل». اجلس مكانك. لا أراك لكنى أسمع تحركاتك. العمل هو العمل. يا صغيرى خذ يده اليسرى و اقترب بها من ذراعى اليمنى.

خضعنا له و لمحته يضع شيئًا ما بين أصابع القبطان الذى أغلق يده بسرعة. ثم قال الضرير:

- تمت العملية.

ثم تركنى فجأة و بسرعة غريبة ترك الصالة متجهًا إلى الشارع و سمعت ضربات العصا تبتعد على الطريق.

مرت علينا، أنا و القبطان، بضع لحظات لنستعيد عقلنا. فى النهاية نظر إلى ما فى كفه و قال:

- فى العاشرة. أمامنا ست ساعات. نستطيع سرقتهم.

قفز واقفًا لكنه أُصيب بالدوار فى نفس اللحظة. وضع يده حول رقبته، ترنح لمدة دقيقة ثم سقط على الأرض.

جريت نحوه و أنا انادى والدتى. لكن كل محاولاتنا ذهبت سدى. توفى القبطان. أشفقت عليه كثيرًا رغم أننى لم أكن أحبه

أبدًا. إنها حالة الوفاة الثانية و أنا مازلت أعانى أحزان الحالة الأولى.

●●●

(٤)

قصصت على والدتى كل ما أعرفه و كان يجب أن أحكى منذ فترة طويلة. أدركنا صعوبة الموقف. من حقنا جزء من أموال القبطان، إذا كان لديه مال. لكن ماذا نفعل مع شركائه؟ أعرف اثنين منهم على الأقل، الكلب الأسود و الشحاذ الضرير. لن يتركوا لنا نصيبنا من المال. على حسب وصية القبطان يجب أن أخبر الطبيب «ليفسى» فورًا. لكن كيف أترك والدتى بمفردها دون حماية. شعرنا نحن الإثنان بعجزنا عن البقاء فى المنزل أكثر من ذلك. طقطقة الفحم فى فرن المطبخ، دقات الساعة، كل شىء يثير مخاوفنا. سيأتى الجيران و يتحاورون حول جثة القبطان المنبطحة على الأرض. الشحاذ الضرير القبيح يتجول فى المنطقة و قد يظهر فى أية لحظة. نرتجف فى ذعر و يجب اتخاذ القرار بسرعة. يجب أن نرحل معًا لطلب النجدة من القرية المجاورة. غادرنا بسرعة دون أن نغطى رءوسنا. غادرنا إلى العتمة و الضباب البارد.

القرية تبعد عدة أمتار لكنها مخفية عن الأنظار فى الجهة الاخرى من الجدول. عكس الاتجاه الذى أتى منه و ذهب إليه الضرير. سرنا بضع دقائق و كنا نتوقف من حين لآخر للتنصت. لانسمع أى شىء سوى حركة أغصان النبات و نعيق الغربان فى الغابات.

كانت الشموع تشتعل عندما وصلنا القرية، و لن أستطيع أبدًا نسيان الضوء الأصفر الخافت عبر النوافذ و الأبواب. من حسن الحظ أننا دخلنا القرية من هذا الاتجاه. الناس هنا يعرفون فندق «بنبو». قصصنا عليهم المشكلة و على الفور هرب الجميع، الرجال والنساء و الأطفال للاختباء داخل ديارهم. لم أكن أعرف اسم القبطان «فلان» لكنه معروف جدًا هنا. اسمه يثير الفزع. الفلاحين الذين يعملون فى الحقول بعيدًا عن الفندق تذكروا أنهم رأوا على الطريق الكثير من الغرباء و يجب التخلص منهم، إنهم من الهاربين. بعض الرجال رأى صيادًا صغيرًا يحتمى فى مكان نطلق عليه مخبأ «كيت» و لهذا يرتجفون هلعًا عندما نحدثهم عن القبطان. من سوء الحظ لم نستطع الوصول إلى منزل الطبيب «ليفسى» لأنه يسكن على اتجاه آخر و لم نجد أى شخص يتعاون معنا لحماية الفندق.

رغم أن عملية الدفن سهلة لكن لا نجد من لديه الشجاعة للقيام بها. تحدثت والدتى مع الجميع و أعلنت أنها لا ترغب فى ضياع ثروة ابنها اليتيم ثم أكملت:

– إذا لم يجرؤ أى منكم فى الحضور معنا، أنا و ابنى «جيمى» نجرؤ على فعل كل شىء. سنعود من حيث آتينا دون أن نشكركم. أنتم أوغاد قذرة، كتاكيت مرتجفة. سنفتح الحقيبة التى قد تكلفنا حياتنا.

أعلنت أننى سأعود مع والدتى و صرخ الجميع من تهورنا لكن لم يوافق أحد على نجدتنا. كل ما فعلوه هو أن قدموا لى مسدس محشو بالذخيرة للدفاع فى حالة أى اشتباك كما قدموا لنا أحصنة مجهزة تحسبًا إذا كان هناك من يتبعنا فى طريق العودة. و كان هناك شاب يستعد للتوجه إلى الطبيب لطلب القوة المسلحة.

كان قلبى يرتجف أثناء هذه المغامرة المرعبة. القمر بدر أحمر ثم يتحول إلى الأصفر خلف الضباب. عدنا بسرعة و كان الصمت يضاعف من مخاوفنا أثناء الطريق. ما أن وصلنا الفندق حتى أغلقنا الباب علينا.

بقينا دقائق فى العتمة نرتجف تحت هذا السقف مع جثة القبطان. ثم أشعلت والدتى الشمعدان و اقتربنا من الصالة. الجثة مازالت على نفس وضعها، العينان تتثاءب و الذراع ممدة. همست والدتى العزيزة:

– أغلق النوافذ يا «جيمى». لو أتوا سيروننا من الخارج.. والآن يجب علينا العثور على المفتاح من هذه الجثة. من منا سيعثر على المفتاح قبل الآخر.

ابتلعت لعابها فى ذعر. جلست جانب المتوفى بالقرب من يده، على الأرض، رأيت لفافة جوارها كتلة من الورق الأسود. إنها البقعة السوداء بالتأكيد. تفحصتها و كان مكتوب عليها هذه العبارة القصيرة و بخط دقيق جدًا: أمامك حتى العاشرة مساءًا.

فى هذه اللحظة دقت الساعة و ارتجفنا، لكن الأمور تسير بشكل جيد. الساعة الآن السابعة.

قالت والدتى:

- هيا يا «جيمى»، يجب العثور على المفتاح.

تفحصت كل الجيوب فوجدت بضعة عملات، خيط، إبر كبيرة، لفافة تبغ، سكين، بوصلة صغيرة، ولاعة. بدأت أيأس. قالت والدتى:

- ربما يكون فى رقبته.

نزعت ياقة قميصه و ظهر المفتاح مربوطًا بحبل حول الرقبة. أصابنا الأمل و صعدنا بسرعة إلى حجرة القبطان الصغيرة.

تبدو الحقيبة مثل كل الحقائب البحرية الأخرى. محطمة الزوايا بسبب المشاجرات الكثيرة. الغطاء محفور بالكى بالنار بحرف «ب». قالت والدتى:

- أعطينى المفتاح.

رغم صلابة القفل إلا أنه فُتح بسهولة شديدة فانبعثت رائحة التبغ و القار. لم نر شيئًا فى البداية إلا زى كامل مرصوص بعناية شديدة و لاحظت والدتى أنه لم يُستخدم من قبل. أسفل ذلك نجد برجل، كوب من المعدن، لفافات كثيرة من التبغ و مسدسين

جديديـن و قالـب لصـب المعـادن و سـاعة إسـبانية قديمـة و بعـض الحلـى عديمـة القيمـة مـن أماكـن مختلفـة. ثـم بوصلـة مـن النحـاس وخمـس أو سـت قواقـع مـن الهنـد الغربيـة. و تسـاءلت فـى دهشـة عـن سـبب احتفاظـه بهـذه القواقـع.

حتـى الآن لا نجـد شـيئًا ذا قيمـة إلا قالـب صـب المعـادن و الحلـى، لكـن ليـس هـذا مـا يعنينـا. أسـفل ذلـك رأينـا قبعـة بحريـة صـدأة. جذبتهـا والدتـى فـى عجلـة و ظهـر لنـا آخـر قطعـة مـن المحتويـات. لفافـة مـن القمـاش مغلفـة بالشـمع و سـمعنا جلجلـة الذهـب. قالـت والدتـى:

– سـأثبت لهـؤلاء الأوغـاد أننـى امـرأة شـريفة. لـن أحصـل إلا علـى نصيبـي فقـط . أعطينـى الحقيبـة.

كان ميـراث القبطـان كبيـرًا يحتـوى علـى عمـلات مـن كل البـلاد بالإضافـة إلـى عمـلات ذهبيـة نـادرة مـن غينيـا. حرصـت والدتـى أن تكـون القطـع النـادرة مـن نصيبهـا.

فجـأة وضعـت يـدى علـى ذراعهـا. سـمعت مـن صمـت الجليـد مـا جعـل قلبـى علـى وشـك التوقـف. سـمعت ضربـات عصـا الضريـر. الصـوت يقتـرب و كتمنـا أنفاسـنا. ثـم ضربـة قويـة علـى بـاب الفنـدق. سـمعنا صـوت عبثـه فـى الأقفـال ثـم هبـط الصمـت كثيفًـا فـى الخـارج والداخـل أيضًـا. فـى النهايـة سـمعنا ضربـات العصـا تبتعـد علـى الطريـق. قلـت :

- أمى، لنأخذ كل شىء و نرحل.

لـم أكـن واثقًـا مـن صمـود أقفـال البـاب و هـذا يجـذب إلينـا كل الدبابيـر. علـى كل حـال تأكـدت مـن إحـكام إغلاقهـا. لـم تأخـذ والدتـى أكثـر مـن نصيبهـا لكنهـا أيضًـا لا تقتنـع بـه.

السـاعة الآن السـابعة و هـى تعلـم واجبهـا جيـدًا. كانـت تتحـاور معـى بينمـا الهـواء يرتـع فـوق قمـم الكهـوف المحيطـة بنا .أكـدت لـى أن هـذا يكفـى و هـى تقـول:

- لن أحصل إلا على نصيبى.

ثم أخذت لفافة الشمع و أكملت:

- و سـآخذ هذه أيضًا لاستكمال نصيبى.

تركنـا الضـوء جـوار الحقيبـة و هبطنـا. بعـد برهـة فتحنـا البـاب وبـدأت رحلتنـا. لـم تكـن إلا لحظـة الخـلاص. الضبـاب كثيـف، القمـر يتـلألأ علـى التـلال المحيطـة ثـم يتسـاقط خيـط رفيـع مـن ضوئـه أمـام بـاب الفنـدق و هـذا مـا سـمح لنـا بالفـرار. فـى منتصـف الطريـق إلـى القريـة، تحـت سـفح الجبـل أصبحنـا تحـت ضـوء القمـر السـاطع وسـمعنا خطـوات كثيـرة تجـرى. إلتفتنـا و رأينـا الضـوء يأتـي مـن اليمـين و اليسـار و يقتـرب بسـرعة و لاحظنـا أن احدهـم يحمـل شـعلة ضخمـة.

قالت أمى فجأة:

- يا صغيرى. خذ المال و اهرب. سأفقد الوعى.

أدركت أن هذه النهاية لن تُغفر لنا. أكره مغادرة جيراني. أحترم نزاهة والدتى و جشعها، أحترم تهورها رغم ضعفها.

كنا جوار جسر صغير. استرشدت بخطواتهم المتقلبة حتى وصلنا إلى المرعى حيث شهقت والدتى وسقطت على كتفى. لا أعرف كيف أتتنى القوة لحملها لعبور المرعى حتى وصلنا إلى مدخل القبو. كان الجسر منخفضًا جدًا و لم أستطع اجتيازه إلا بصعوبة شديدة .يجب أن نظل هنا قليلاً.

●●●

(٥)

المخاوف تجتاحنى. أعجز عن البقاء فى المخبأ و لا أستطيع العودة إلى المصرف. من هنا أستطيع مراقبة الطريق حتى باب الفندق. ما أن تخفينا هنا حتى وصل أعدائى إلى الفندق، كانوا سبعة أو ثمانية يتتبعونا بنشاط محموم يتقدمهم الرجل الذى يحمل الشعلة بعدة خطوات. ثلاثة منهم يجرون للمواجهة و هم يتماسكون بالأيدى. رغم الضباب لمحت وسطهم الشحاذ الضرير. بعد برهة تأكدت من شخصيته من صوته. صرخ قائلاً:

- حطموا الباب.

كرر اثنان أو ثلاثة من أعوانه:

- سمعًا و طاعة سيدى.

ثم تقدموا إلى الباب متبوعين بحامل الشعلة. أرى أنهم يعملون بنشاط و سمعت همهمتهم وسط الصمت. يبدوا أنهم دُهشوا عندما وجدوا الباب مفتوحًا لكن دهشتهم لم تستمر كثيرًا لأن الضرير بدأ فى إلقاء الأوامر بصوت أجش غليظ:

- ادخلوا! ادخلوا!

نفذ الأمر أربعة أو خمسة منهم بينما بقى اثنان على الطريق جوار الشحاذ المخيف. بعد فترة صمت دوت الصرخة من الداخل:

- «بل» مات!

لكن الضرير لعنهم لكسلهم و صرخ:

- أيها الكسالى، أحدكم يفتشه و الآخرون يصعدون للبحث عن الحقيبة.

سمعتهم يصعدون بوحشية فوق السلم حتى كاد الفندق كله أن يتحطم. ثم دبت الصرخات مرة أخرى. فُتحت نافذة حجرة القبطان بعنف حتى تحطم جزء من الضلفة و ظهر رجل تحت ضوء القمر الصافى و راح ينادى الضرير على الطريق:

- «بو». سبقونا! أحدهم فتح الحقيبة و فتشها.

صرخ «بو»:

- هل توجد حاجتنا؟

- نعم، الأموال موجودة !

لعن الضرير المال و قال:

- لفافة «فلان»، هذا ما أقصده!

صرخ الرجل من أعلى:

- لم نعثر عليها.

صرخ الضرير:

- بالنسبة لمن بالأسفل، هل موجودة حول «بل»؟

ظهر رجل على عتبة الفندق و قال:

- تم تفتيش «بل» من قبل. جيوبه خاوية.

صرخ الضرير:

- إنهم أصحاب الفندق، أوغاد.. سأفقأ عيونهم. كانوا هنا منذ لحظات. كان الباب مغلقًا عندما حاولت الدخول. ابحثوا فى كل مكان و أتوا لى بلفافة «فلان».

صرخ الرجل الآخر من النافذة فى الأعلى:

- هذا صحيح. تركوا آثارهم هنا.

قال الضرير و هو يضرب بعصاه:

- اقلبوا الفندق. يجب العثور على لفافة «فلان».

سمعت الضجة فى فندقنا القديم، خطوات ثقيلة، أثاث يتحطم، أبواب تتخبط، الصدى يتردد فى المنطقة كلها. ثم ظهر الرجال على الطريق، الواحد تلو الآخر، يعلنون عدم وجودنا داخل المنزل. و فى هذه اللحظة كنت أنا و والدتى نعد أموال المتوفى التى حصلنا عليها. أعتقدت أن الضرير أعطى الإشارة بالتقدم

لكنى اكتشفت أن الضجيج يأتى من أعلى القرية و شعر القراصنة بالخطر و قال أحدهم:

- إنه «ديرك» يهاجمنا برجاله.

صرخ «بو»:

- الهجوم! حقيرا! «ديرك» دائمًا وغد أحمق. لا تهتموا به كثيرًا.. أصحاب الفندق قريبين منا. من المستحيل أن يكونوا ابتعدوا. يجب أن تأتوا بهم مكبلين. ابحثوا فى كل مكان. سأمزقهم حين أعثر عليهم.

اندفع اثنان من الرجال يبحثان فى كل مكان لكنهما يشعران بالخطر يقترب. أما الباقين بقوا على الطريق عاجزين عن الوصول الى أى حل. صرخ «بو»:

- تحت أيديكم الآلاف و الآلاف أيها الاغبياء لكنكم مترددين. ستصبحون أغنياء مثل الملوك لو عثرتم على لفافة «فلان». تعلمون أنها هنا لكنكم أغبياء. لم يجرؤ أى منكم على مواجهة «بل». أنا ضرير و فقدت نصيبى بسببكم. أصبحت مجرد شىء مهمل، أشحذ زجاجة الروم لكى أعيش! لو كان لديكم الشجاعة لقاتلتم.

هتف أحدهم:

- اللعنة يا «بو». نعمل بكل جهدنا.

قال آخر:

– لقد آووا هذا الخبيث. أخذوا المال يا «بو».

استشاط «بو» غضبًا و راح يطوح بعصاه فى كل اتجاه ليضرب المحيطين به بعشوائية بينما الرجال يصيحون و هم يحاولون تجنب ضرباته.

هذا الشجار يمنحنا بعض الأمان حتى سمعنا الخطوات السريعة للأحصنة ثم لمحنا ومضات الطلقات النارية. من المؤكد أنها النجدة لأن القراصنة فروا هاربين فى جميع الإتجاهات و اختفوا تمامًا خلال نصف دقيقة فقط إلا «بو». هل تركوه وسط المعمعة بدافع الخوف أم انتقامًا منه؟ لا أعلم. المهم أنه بقى وحيدًا مذعورًا يضرب بعصاه على الطريق بعشوائية و هو يستغيث برفاقه. أخيرًا اتجه إلى الطريق الخطأ و جرى إلى القرية. مر جوارى من على بعد عدة خطوات و هو يصرخ:

– «جونى»، «الكلب الأسود»، «ديرك» (و أسماء أخرى نسيتها)، لا تتركوا صديقكم العجوز «بو»، صديقكم العجوز يا رفاق!

فى هذه اللحظة رأينا الحشد تحت ضوء القمر الساطع أعلى التل. كانوا أربعة أو خمسة يهبطون بسرعة.

أدرك «بو» سوء تقديره. صرخ و هو يلتفت يسارًا نحو الحفرة وسقط بها. هب واقفًا خلال ثانية واحدة و عاود الركض و هو مذعور تمامًا و تعثر تحت أرجل أحد الاحصنة.

لقد حاول الفارس تجنبه دون جدوى. سقط «بو» بصرخة مرعبة ترددت فى كل مكان. دُهس تحت أرجل الأحصنة، تمرمغ على الأرض عدة مرات ثم سكن تمامًا.

قفزت لتحية الفرسان. توقفوا بسرعة مذهولين مما حدث. تعرفت عليهم بسرعة. أحدهم، الذى كان خلفهم بعدة خطوات، هو الشاب الذى خرج من القرية للذهاب الى الطبيب «ليفسى». الآخرون من رجال الديوان. لقد وصلت الضجة إلى مسامع المفتش «دانس» و كان قريبًا منا فى هذه الليلة بالمصادفة.

مات «بو» أما بالنسبة لوالدتى حملتها إلى القرية و تم إنقاذها بعد بضع قطرات من الماء البارد و الملح. مع ذلك المفتش يندفع بسرعة إلى مخبأ «كيت» لكن رجاله إضطروا إلى الارتجال وسط الشعاب الضيقة و هم يقودون الأحصنة متوجسين من أية مفاجأة. عندما وصلوا إلى المخبأ كان مد البحر قد بدأ. صرخ المفتش يستحث رجاله فقال أحدهم أنه يجب الاختباء من ضوء القمر لتجنب الطلقات النارية. فى نفس اللحظة أتت الطلقة لتصيب ذراعه. بعد برهة أصبح المد شديدًا و بقى السيد «دانس»، على حسب تعبيره مثل سمكة خارج المياه، و قنع باصطياد أحد رجال

«ب..» و أمـر بإخطـار الديـوان بمـا حـدث ثـم أضـاف: ليـس هـذا مهمًـا، هربـوا و هـذا نجـاح لهـم لكنـى أهنـئ نفسـى بالسـير علـى جثـة «بـو». قـال ذلـك و هـو يسـمع منـى تفاصيـل حكايتـى.

عـدت معـه إلـى فنـدق «بنبـو». لا أسـتطيع وصـف الدمـار الـذى حل بالفنـدق. تحطمـت السـاعة و المناضـد و المقاعـد، لا يوجـد قطعـة واحـدة سـليمة. السـيد «دانـس» لا يهتـم بهـذا الخـراب أبـدًا فقـال:

– تقولـون أنهـم عثـروا علـى المـال؟ عمـا يبحثـون إذًا؟ أعتقـد بوجـود أمـوال أخـرى..

اندفعت قائلاً:

– لا سيدى، لا أعتقـد ذلـك. مـا يبحثون عنـه موجـود فـى جيبـي وأرغـب فـى تأمينـه.

– فهمـت مقصـدك. معـك حـق. لـو أردت مـن الممكـن أن أحتفـظ لـك بهـذا الشـىء.

قلت:

– أعتقد أن الطبيب «ليفسى»...

قاطعنى:

– معـك حـق تمامًـا. إنـه رجـل شـجاع و قاضـى. و الآن أعتقـد أنـه يجـب أن نذهـب فـى هـذا الإتجـاه. السـيد «بـو» مـات و لا أنـدم

على ذلك كما ترى. و الناس لا يطلبون ما هو أفضل من ذلك من الديوان. لكن يجب أن تكون معى.

شكرته على ذلك. تركت والدتى و عدت معه إلى القرية حيث توجد الأحصنة. التفت إلى أحد رجاله و قال:

– «دوجر»، حصانك جيد. خذ هذا الشاب خلفك.

ما أن صعدت فوق الحصان حتى بدأنا الإتجاه نحو منزل الطبيب «ليفسى».

●●●

(٦)

وصلنا بسرعة إلى منزل الطبيب «ليفسى». واجهة المنزل غارقة فى العتمة. عاوننى «دوجر» على الهبوط و أمرنى السيد «دانس» بالطرق على الباب. ظهرت الخادمة و سألتها:

- هل الطبيب «ليفسى» موجود؟

أجابتنى بالنفى. خرج لتناول العشاء و قضاء السهرة مع الفارس فى القصر. قال «دانس»:

- حسنًا، هيا بنا يا فتى.

و لأن المسافة قصيرة سرت على أقدامى بالقرب من «دوجر» وأنا أمسك سرج حصانه. عبرنا المدخل و صعدنا فى طريق محفوف بالأشجار وسط الحدائق الواسعة حيث يوجد القصر فى حراسة مشددة. يبدو ناصع البياض تحت ضوء القمر الصافى. ارتجل السير «دانس» و صحبته إلى الداخل. عبرنا ممر طويل مفروش بالسجاد ثم دخلنا مكتبة كبيرة مثقلة بكتب ضخمة كثيرة. وجدنا الفارس والطبيب «ليفسى» يدخنان و هما يجلسان جوار المدفأة.

لم أر الفارس عن كثب من قبل. رجل طويل يتعدى طوله ستة أقدام، عريض المنكبين، حازمًا واثقًا من نفسه، يزين وجهه

بالأصباغ، وردى و مجعد من أثر رحلاته الطويلة. حاجباه شديدا السواد و يتحركان بسرعة. فى الحقيقة لا يبدو شريرًا لكنه متغطرس. قال بصوت ملكى و لهجة ودودة:

– تفضل سيد «دانس».

أحنى الطبيب رأسه للتحية و هو يقول:

– مساء الخير «دانس». مساء الخير «جيمى». أى ريح سعيدة أتت بك؟

قص المفتش الحكاية بطريقة عسكرية كما لو كان تلميذًا يلقي درسه أمام أستاذه، و رأيت السيدان يتبادلان النظرات فى ذهول حتى أنهما نسيا التبغ. عندما علما بأننى تركت والدتى في الفندق ضرب الطبيب ساقه و صرخ الفارس و هو يلقى غليونه: حسنًا. قبل أن نصل إلى نهاية الحكاية هب السير «تريلاوني» (هذا هو الإسم المعروف للفارس) واقفًا و راح يتجول فى المكان بقلق. أما الطبيب، لكى يستمع بانتباه، جذب غليونه و بدا غريبًا بشعره الأسود المنساب.

قص «دانس» عليهما كل التفاصيل ثم قال الفارس:

– سيد «دانس»، أنت جدير بالثقة. لكن أن تدهس جثة هذا المجرم الخطير، أنا أعتقد أن هذا ليس عملاً شاقًا، كأنك

دهست صرصور. هذا الشاب شجاع كما أرى. هلى تريد الشراب يا «جيمى»؟ السيد «دانس» سيشرب زجاجة بيرة.

ثم سأل الطبيب:

– يبدو يا «جيمى» أن لديك ما يبحثون عنه، أليس كذلك؟

– ها هو يا سيدى.

قدمت له لفافة القماش المحاطة بالشمع. فحصها الطبيب من كل الإتجاهات. يبدو متلهفًا لفتحها لكنه دسها فى جيبه ثم قال:

– أيها الفارس، قام «دانس» بواجبه فى خدمتكم. لكني أرغب فى الاحتفاظ بـ «جيمى». سيمضى الليلة فى منزلى. سيتناول العشاء بعد إذنكم و سأقدم له الخبز البارد.

أكد الفارس:

– كما تريد يا «ليفسى». لكن «جيمى» يستحق ما هو أفضل من الخبز البارد.

فى الحقيقة قدموا لى زوج من الحمام و أكلت بشراهة. كنت أشعر بالجوع الشديد. ثم قدم «دانس» تهنأته فى أدب و انصرف. قال الطبيب:

– و الآن أيها الفارس...

و قال الطبيب فى نفس اللحظة:

- و الآن «ليفسى»...

قال الطبيب مازحًا:

- كل واحد له دور. على ما أعتقد أنك سمعت ما يُقال عن «فلان».

قال الفارس:

- نعم، سمعتهم يتحدثون عنه. هل تجرؤ على استدعائه؟ إنه أكثر القراصنة وحشية و شراسة. بالمقارنة به يبدو «اللحية الزرقاء» كأنه طفل. الإسبانيون يخشونه كثيرًا و أنت تعلم ذلك. وعلى حسب علمى إنه يفتخر لكونه إنجليزيًا. رأيت بنفسى سفنه الشراعية بالقرب من جزيرة «تيرينستى»، و ابن الفاجرة الذى كان يقود سفينتنا فر هاربًا.. نعم، هرب و لجأ إلى الميناء الإسبانى.

قال الطبيب:

- حسنًا، أنا أيضًا سمعتهم يتحدثون عنه فى إنجلترا. لكن ليس هذا المهم. هل لديه أموال؟

- أتسأل إن كام لديه أموال؟ أنت لا تعلم حكايته إذًا. عما يبحث هؤلاء الأوغاد إلا عن المال؟ ما الذى يشغلهم إلا المال؟ لماذا يغامرون بحياتهم إن لم يكن من أجل المال؟

استكمل الطبيب:

– هـذا مـا سـنتأكد منـه. أرى أنـك تحتـار فـى الأمـر و هكـذا لا أسـتطيع قـول أيـة كلمـة. اسـمح لـى بسـؤال: لـو كان لـدى فـى جيبـى مـا يرشـدنا إلـى المكان الـذى دفـن «فـلان» كنـزه، هـل تعتقـد أنـه كنـز ضخـم؟

– لـو كان ضخمًـا سـيدى و لدينـا مـا يرشـدنا إليـه سـأبحر مـن ميناء «برسـتول» و سـأصطحبك معـى أنـت و «جيمـى»، و سـأحصل علـى الكنـز حتـى لـو أمضيـت عامًـا كامـلاً في البحـث.

– إتفقنا، لو وافق «جيمى» سنفتح اللفافة.

قـال ذلـك و هـو يضـع اللفافـة علـى المنضـدة. كانـت مغلقـة بالخيـوط فأتـى الطبيـب بالمقـص و راح يفتحهـا بعنايـة بالغـة. رأى دفتـر و ورقـة مالحـة فقـال:

– نتفحص الدفتر فى البداية.

قـال ذلـك و هـو يناديـنى بعـد أن انتهيـت مـن طعامـى ليشـركنى فـى متعـة البحـث. انحنينـا جـواره، أنـا و الفـارس، و هـو يفتـح الدفتـر. لـم نـر فـى الصفحـة الأولـى إلا بضـع كلمـات مكتوبـة بخـط اليـد ويبدو أنهـا للتضـليل. قـرأت («بيلـى بونـز» يهـرب) و قـرأت أيضًـا («م – وبونـز»، مديـر الأعمـال) (موجـود حـول «بالـم كـى»). و رأيـت كلمـات متفرقـة تخلـو مـن أى معنـى. تسـاءلت ماهـو (الموجـود) و شـعرت بضربـة خفيفـة علـى ظهـرى و قـال الطبيـب و هـو يلـف اللفافـة:

- هذا لا يهمنا.

فى العشر أو الإثنتى عشرة صفحة التالية نجد أشكالاً غريبة. نجد التاريخ فى بداية السطر و فى الطرف الآخر إشارة إلى مبلغ من المال، مثلما نجد فى كل دفاتر المحاسبين. لكن بين الطرفين لا نجد أية علامات واضحة، لا نجد إلا صلبان بأعداد مختلفة. هكذا، في ١٢ يونيو ١٧٤٥، نعلم أنه تم إقراض مبلغ سبعين جنيه لشخص ما. ثم نجد صلبان كثيرة ثم نجد إشارة لمكان محدد مثل: بالقرب من «كاراكاس»، أو مجرد إشارات لخطوط الطول والعرض.

البيان يمتد لعشرين عامًا. الأرقام تتضخم مع مرور الوقت وفى النهاية، بعد خمس أو ست تجميعات نجد المجموع الكلى مع هذه الكلمات: (الكرة من أجل «بونز»). قال الطبيب:

- لا أفهم شيئًا، لا أعلم أين البداية و أين النهاية.

هتف الفارس:

- الأمر واضح تمامًا مثل ضوء الشمس. هذا الدفتر يحتوى حسابات الوغد الأسود. هذه الصلبان تمثل السفن أو المدن المنهوبة. المبالغ هى نصيب اللصوص، و لكى يتجنبوا أية مغالطات أضافوا بعض الأشياء الثمينة. على سبيل المثال: (فى عرض «كاراكاس») هذه إشارة الى سفينة مصابة إستولوا عليها فى هذا

المكان. ليرحم الرب من كان عليها. لا بد أنهم تحولوا إلى شعاب مرجانية منذ فترة طويلة.

صرخ الطبيب:

– صحيح! يبدو أنك تعلمت كثيرًا من أسفارك. صحيح. انظر كلما صعدنا بالرتبة يتصاعد المبلغ.

غير ذلك نجد الدفتر لا يحتوى إلا على عدة أماكن مشار إليها، و فى الصفحات الأخيرة نجد جدول لحساب أسعار العملات الفرنسية و الإنجليزية و الإسبانية.

صرخ الطبيب:

– ياله من رجل دقيق. ليس الرجل الذى قتلناه.

قال الفارس:

– و الآن يجب أن نتحول إلى الجزء الآخر.

كانت الورقة مالحة فى مواضع كثيرة. فتح الطبيب الأختام بحرص شديد و ظهرت لنا خريطة لجزيرة موضح بها خط الطول والعرض و الأعماق و أسماء الجبال و الخلجان و الممرات و كل التفاصيل الضرورية للوصول إليها. علمنا أن طول الجزيرة تسعة أميال و عرضها خمسة و هى تشبه تنين ضخم بها ملاذين آمنين، يتوسطها جبل مشهور باسم «المشهد الواسع». يوجد تاريخ محدد

بدقة بالأحمر جوار ثلاث صلبان. إثنان فى شمال الجزيرة وواحد فى الشمال الغربى. جوار هذا الأخير، بنفس الحبر الأحمر نجد (معظم الكنز هنا).

فى الصفحة الاخيرة نجد هذه المعلومات الكاملة:

(أشجار ضخمة. تحت المشهد الواسع حتى الجنوب. جزيرة الهيكل العظمى فى الغرب. الأموال فى المخبأ الشمالى، ناحية التل الشرقى، على بعد عشر قامات، جنوب صخرة سوداء. سنعثر على الأسلحة بسهولة فى الكثبان الرملية فى الناحية الجنوبية).

ج . ف.

رغم أن كل ما بهذه الوثيقة يبدو لى غامضًا تمامًا إلا أن الفارس و الطبيب «ليفسى»، إبتهجا كثيرًا. ثم قال الفارس:

- «ليفسى»، ستترك مرضاك فورًا. غدا سأرحل إلى «برستول». خلال ثلاثة أسابيع... ماذا أقول، ثلاثة أسابيع؟ خمسة عشر يومًا، ثمانية أيام، سيكون لدينا أفضل سفينة إنجليزية وأفضل بحارة. سيصحبنا «جيمى» ليقوم بخدمتنا. أعلم أنك ستقوم بعملك بشكل جيد يا «جيمى». أما أنت «ليفسى» ستكون طبيب الحملة و أنا الأميرالاى. سيكون معنا «رودرث»، «جويس» و «هانتر». ستكون الرياح مناسبة و سنبحر بسرعة. لن نجد أية مشكلة للوصول إلى المكان وسنعثر على الكنز.

قال الطبيب:

– «ترلاونى»، سأذهب معك و أحميك و «جيمى» لن يتردد فى تأدية مهامه. ما يقلقني هو رجل واحد.

– من هو؟ حدده لي.

تنهد الطبيب ثم قال:

– أنت، لأنك لا تعلم الكتمان. نحن لسنا الوحيدون الذى يعلمون بوجود هذه الوثيقة. هؤلاء الأوغاد هجموا على الفندق الليلة و أعوانهم ينتظرون فى البحر و آخرون ينتظرون فى أماكن أبعد على ما أعتقد، و كلهم يطمعون فى الحصول على الكنز كله. لا يجب أن يكون أحدنا بمفرده حتى لحظة تجهيز المعدات. سأصبح أنا برفقة «جيمى» و أنت ستصحب «جويس» و «هانتر» إلى «بريستول» لكن احذر، لا يجب أن تتفوه بأية كلمة عن رحلتنا.

– «ليفسى»، معك حق. سأخرس تمامًا.

●●●

(٧)

الاستعداد للرحلة استغرق وقتًا طويلاً أكثر مما يتوقع الفارس ولم تتحقق أى من مشاريعنا الأولية، حتى الطبيب «ليفسى» لم يحتفظ بى عنده. لقد اضطر للسفر إلى إنجلترا بحثًا عن طبيب آخر يثق به و يعهد له رعاية مرضاه. أما الفارس كان مشغولاً جدًا فى «برستول» و بقيت وحدى فى القصر تحت حراسة العجوز «ردروث» الذى يعاملنى مثل السجين. لكن البحر يهاجم أفكارى بكل مغامراته إلى الجزر المجهولة. كنت أحلم بالخريطة لمدة ساعات طويلة و أتذكر كل تفاصيلها. أجلس جوار المدفأة فى حجرة الانتظار و أتخيل الجزيرة من كل الجوانب، أتخيل أرضها، أتخيل حيوانات مفترسة و يجب إصطيادها لكن كل هذه التخيلات لم تتحقق فيما بعد.

مرت أسابيع كثيرة. و فى صباح مُشرق وصلت رسالة إلى الطبيب «ليفسى» مصحوبة بهذه العبارة: يجب أن يطلع عليها «ردروث» أو الشاب «جيمى». لكنى قرأت الرسالة بصوت مسموع جوار «ردروث» لأنه لا يجيد إلا قراءة المطبوعات فقط. و كانت الرسالة هكذا:

(من فندق «أونكر» القديم. «برستول»، ١مارس.

عزيزى «ليفسى»

لا أعلم إن كنت قد عدت إلى القصر أو مازلت فى إنجلترا لكنى أكتب لك لسببين.

اشتريت السفينة و نحاول الآن تجهيزها هنا. لن تستطيع تخيل سفينة أروع منها.. أى طفل يستطيع المناورة بها.. حمولتها مائتا طن.. إسمها «إسبانيولا».

علمت من صديقى القيديم «بلاندلى» أن هذه السفينة تتمتع بشهرة كبيرة هنا. هذا الرجل وهب نفسه لخدمتى. و يجب أن تعلم أن الجميع فى «برستول» فعل مثله منذ أن علموا بهدفنا.. أقصد الكنز.)

قاطعت القراءة قائلاً:

- «ردروث»، هذا سيزعج الطبيب «ليفسى». لقد تحدث الفارس فى الموضوع.

غمغم الحارس:

- الفارس هو الأقوى و لا يجب أن يهتم برأى الطبيب «ليفسى».

أغفلت هذه الملحوظة وعدت للقراءة:

(«بلاندلي» هو من سيقود «إسبانيولا» و أعتقد أنه قادر على التحكم بها بسهولة. فى «برستول» يخشون «بلاندلى» كثيرًا.

يقولـون أن هـذا الرجـل الشـريف يفعـل أى شـىء مـن أجـل المـال ويقولـون أنـه بـاع لـى السـفينة بسـعر مبالـغ فيـه... و لا يوجـد هنـا مـن هـو قـادر علـى الإبحـار بهـا.

حتـى الآن لا أجـد أيـة عقبـات. العمـال نشـيطون جـدًا لكـن العمـل يسـير ببـطء شـديد. لا أسـتطيع إلا الصبـر. لا أجـد أيـة مشـاكل حقيقيـة بالنسـبة للحملـة. أحتـاج عشـرين رجـلاً لمواجهـة السـكان المحليـين و القراصنـة أو الفرنسـيين الملاعـين. كمـا أحتـاج إلـى سـتة مـن الشـياطين لمواجهـة الرجـل الـذى نبحـث عنـه.

تحدثـت معـه بالمصادفـة علـى رصيـف الميناء. علمـت أنـه بحـار عجـوز و يمتلـك حانـة. يعـرف كل البحـارة فـى «برسـتول». يعيـش علـى الأرض مريضًـا و يحلـم بالإبحـار مـع السـيد «كـوك». انـه لا يسـعد الا بالريـاح المالحـة. تعاطفـت معـه كثيـرا (و أنـت أيضًـا سـتتعاطف معـه). بدافـع الشـفقة سـأجعله طبـاخ علـى السـفينة. إسـمه «جـون سـيلفر» الضخـم و هـو يعيـش بسـاق واحـدة. لكـن علـى مـا أعتقـد أن هـذا يدعـو للفخـر لأنـه فقـد سـاقه دفاعًـا عـن بـلاده تحـت قيـادة «هـاوك» الخالـد. ليـس لديـه مـأوى يـا «ليفسـى»! هـل تتخيـل قسـوة الأيـام!

حسـنًا، لنـرى مـا سـيحدث. أعتقـد يجـب أن يكـون لـدى طبـاخ. التقيـت هنـا طاقـم كامـل. بالنسـبة لنـا، «جـون» و أنـا التقينـا بعـض ذئـاب البحـر.. لا يتمتعـون بالوسـامة لكنهـم يتحلـون بشـجاعة نـادرة. أضمـن لـك أننـا نسـتطيع مواجهـة فرقاطـة.

«جـون» طـرد رجلـين مـن الرجـال السـتة أو السـبعة الذيـن اسـتأجرتهم. يقـول أنهـم مـن بحـارة الميـاه الهادئـة و لا نسـتطيع الاعتمـاد عليهـم فـى رحلتنـا الخطيـرة.

أنـا فـى حالـة جيـدة جـدًا. آكل مثل الوحـوش و أنام مثل الصخرة. رغـم ذلـك ليـس لـدى وقـت للراحـة، أتعجـل الأمـور، أتعجـل الإبحار. لا يهمنـى الكنـز نفسـه! وهـج البحـر هـو مـا يثيـر رأسـى! هكذا «ليفسـى» اجتهـد و إلحـق بـي بسـرعة إن كنـت صديقى.

أمـا بالنسـبة للشـاب «جيمـى» يجـب أن يذهـب لرؤيـة والدتـه تحـت حراسـة «ردروث» و يجـب أن تلحقـا بـي أنتمـا الاثنـان بسـرعة.

«جون ترلاونى».

ملحوظـة – نسـيت، «بلاندلـى» يؤكـد لـو لـم نعـد قبـل أغسـطس يجـب أن يرسـلوا مـن يبحـث عنـا. «بلاندلـى» قـال لـى عشرنـا علـى قبطـان جيـد. رجـل صلـب. الطويـل «جـون» سـيعمل تحـت قيادتـه، اسـمه «آرو». الآن لـدى قائـد جيـد للحملـة، و لدينـا حمايـة جيـدة، سـتكون هنـاك سـفينة حربيـة بالقـرب مـن سـفينتنا الرائعـة «إسـبانيولا».

يوجـد ملحوظـة أخـرى. «جـون» شـخص مهـم. علمـت مـن مصـادرى الخاصـة أن لديـه حسـاب فـى البنـك و هـو لا يقتـرض المـال أبـدًا. تـرك حانتـه تحـت إشـراف زوجتـه و هـى زنجيـة و البعـض يعتقـد أن زوجهـا يرغـب فـى الإبحـار هربـا منهـا.

ج.ت.

ملحوظة أخرى. يجب أن يمضى الشاب «جيمى» أربعة وعشرين ساعة مع والدته.)

تستطيعون تخيل مدى بهجتي بهذه الرسالة. لم أشعر بمثل هذه السعادة من قبل. التفت بإذدراء إلى العجوز «ردروث» الذى لا يعلم إلا التذمر و الإحتجاج. كل الحراس الصغار يرغبون فى إحتلال مكانته لكن الفارس لا يرغب فى ذلك.

فى صباح اليوم التالى ذهبنا إلى فندق «بنبو» سيرًا على الأقدام حيث وجدت والدتى مبتهجة و فى حالة جيدة جدًا. لقد اختفى القبطان الذى كان يقلقنا منذ فترة طويلة و اختفى أعوانه الشرسين. الفارس قام بإصلاح كل شىء فى الفندق و أضاف بعض قطع الأثاث، بالإضافة إلى مقعد وثير لوالدتى خلف المكتب. كما أتى لها بصبي صغير لمعاونتها أثناء فترة غيابى.

عندما رأيت الصبي بدأت أفهم مكانتى. حتى الآن لا أفكر إلا فى المغامرة التى تنتظرنى و لا أفكر فى المسكن الذى غادرته. عندما رأيت هذا الغريب جوار والدتى بدلاً منى سقطت دموعى رغمًا عنى. إنه لا يعلم كل تفاصيل العمل مثلى.

مرت الليلة و بعد عشاء اليوم التالى عدت أنا و «ردروث» إلى الطريق. ودعت والدتى، ودعت الكهوف التى عشت وسطها منذ

مولدى، ودعت الفندق القديم. لقد ازدادت قيمته عندى بعد تجديده. تذكرت القبطان الذى كان يتجول على الشاطئ حاملاً نظارته النحاسية. ثم دار بنا الطريق فى منحنى و اختفى مسكنى القديم.

فى المساء وصلنا إلى المحطة. فى العربة رأيت نفسى محشوراً بين «ردروث» و سيد عجوز ضخم. رغم التعجل و البرد الشديد استطعت النوم. استيقظت على الضجة و اكتشفت أننا أثناء النهار وأننا فى مواجهة مبنى ضخم فى أحد شوارع المدينة. سألت:

- أين نحن؟

أجابنى «رودرث»:

- فى «برستول». انزل.

كان السيد «ترلاونى» يسكن فى فندق وسط الأحواض المائية لمراقبة سير العمل على السفينة. تجولنا على الأرصفة و سعدت كثيراً بمراقبة عدد ضخم من السفن من كل الأحجام و الأشكال والجنسيات. لمحت البحارة فوق إحداها ينشدون أثناء القيام بعملهم. و على سفينة أخرى رأيت الرجال معلقين فى الهواء خلال حبال كثيرة متداخلة مثل خيوط العنكبوت. رغم أننى أمضيت كل حياتى جوار البحر لكن يبدو أننى لم أعرف البحر مثلما لم أعرفه الآن. رائحة الزفت و الملح جديدة بالنسبة لى. مقدمات السفن لها أشكال غريبة مذهلة و هى تجوب المحيطات حتى النهاية. رأيت

الكثير من البحارة العجائز يتزينون بالأقراط فى الأذن، خطواتهم ثقيلة توحى بالأهمية. كما رأيت الملوك و القساوسة.

أنا أيضًا سأبحر مثلهم. سأبحر على سفينة شراعية، سأبحر فى حملة وسط البحارة و هم ينشدون، سأبحر إلى جزيرة مجهولة بحثًا عن الكنز الضائع .

كنت غارقًا فى هذه الأفكار عندما رأيت أمامى فندق ضخم ورأيت الفارس «ترلاونى» يخرج منه مرتديًا زى البحارة الأزرق. صرخ قائلاً:

- وصلتم! و الطبيب وصل من إنجلترا بالأمس. حسنًا. الحملة اكتملت.

سألت:

- متى سنرحل؟

- متى سنرحل؟.. سنرحل غدًا.

●●●

(٨)

بعد الإفطار حملنّى الفارس برسالة موجهة إلى «جون» الطويل. و بما أننى غريب عن المكان، يجب التجول بين الأحواض بحرص بحثًا عن الحانة التى تتميز بتليسكوب ضخم من النحاس و سأجده هناك. سعدت بالمهمة و اتجهت إلى الطرقات لمتابعة السفن والبحارة عن كثب. تجولت بين حشود كثيرة من الناس وعربات النقل و أخيرًا وصلت الحانة المقصودة .

الزحام شديد و البزخ واضح فى المكان، النوافذ مزينة بالستائر الحمراء و الأرضية ملساء تمامًا. بما أن الحانة تطل على شارعين لها باب على كل شارع، و هذا يجعل الإضاءة جيدة فى الصالة الكبيرة رغم السقف المنخفض و سحب دخان التبغ. معظم الزبائن من البحارة، يتصايحون بقوة حتى أننى وقفت خائفًا على عتبة الباب.

لمحت رجلاً فى الجزء الداخلى. من أول وهلة أدركت أنه الطويل «جون». ساقه اليسرى مبتورة بالكامل، يقفز مثل العصفور بمساعدة العكاز الذى تحت كتفه الأيسر. رجل ضخم قوى ورأسه يشبه رأس الخنزير فى ضخامته. رغم قبحه يبدو لطيفًا بشوشًا. يدور وسط المناضد و هو يقفز مبتهجًا، يلقى المزحات و يضرب أكتاف زبائنه بتودد.

فى الحقيقة، أدركت من الوهلة الأولى أنه ذو الساق الواحدة الذى كنت أترقبه في فندق «بنبو» القديم. لكن من الواضح إنه مثل القبطان و الكلب الأسود و الضرير «بو»، إنه قرصان، وغد، وهو يحب الإندماج مع الناس كثيرًا.

استجمعت شجاعتى و اتجهت إليه مباشرة. قلت له و أنا أمد له الرسالة:

– السيد «جون سيلفر»، أليس كذلك؟

أجابنى:

– نعم يا بنى، أنا «جون». من أنت؟

لكن عندما رأى رسالة الفارس انتفض صارخًا:

– آه! فهمت. أنت الصبى الجديد الذى سيعمل معنا. سعيد بمعرفتك.

ثم دهس يدى بيده الضخمة.

فى هذه اللحظة هب رجل يقف فجأة فى الناحية الأخرى من الصالة و خرج بسرعة. تعجله لفت نظرى و عرفته من أول وهلة. إنه ذو الوجه الشمعى و مبتور الإصبعين الذى أتى الى فندق «بنبو». صرخت:

– اقبضوا عليه! إنه الكلب الاسود.

أعلن «جون»:

– لا يهمنى من هو، لكنه ذهب دون أن يدفع حسابه. «هارى»، الحق به بسرعة.

جرى «هارى» الذى كان يقف جوار الباب و عاد «جون» يقول:

– حتى لو كان الأميرالاى «هاوك» نفسه يجب أن يدفع حسابه.

ثم ترك يدى و أكمل:

– من أين علمت اسمه؟ أسود؟

أجبته:

– «الكلب الأسود» سيدى. ألم يحدثك السيد «ترلاونى» عن القراصنة؟ إنه أحدهم.

– قرصان فى بيتى؟ لن يفلت من «هارى». قذر. «مورجان»، ألم تشرب معه؟ تعالى هنا.

«مورجان» بحار عجوز ذو شعر رمادى و بشرة فى لون شجر الماهوجنى. تقدم فى خوف و سأل «جون» الطويل:

– قل لى يا «مورجان»، ألم تلتق هذا «الكلب الأسود» من قبل؟

أجاب «مورجان» فى أدب:

– لا سيدى.

- ألا تعرف اسمه؟

- لا سيدى.

صرخ «جون» وسط الزبائن محذرًا:

- هذا من حسن حظك. إلى كل الشياطين، لو كان أى منكم على علاقة بمثل هؤلاء الأوغاد لن يدخل عندى. أحذركم . و ماذا قال لك يا «مورجان»؟

- لا أعلم على وجه الدقة سيدى.

- اللعنة! لاتحمل فوق أكتافك إلا رأس خروف. لا تعلم على وجه الدقة! ألا تعرف من تحدثه؟ اعترف بسرعة عما كان يتحدث. عن الأسفار؟ القباطين؟ السفن؟ عما كان يتحدث؟

أجاب «مورجان»:

- كان يتحدث عن الغنائم.

- عن الغنائم حقًا؟ إنه موضوع هام بلاشك. عد مكانك يا بحار المياه الهادئة.

بينما «مورجان» يعود مكانه همس «جون» فى أذنى:

- «مورجان» رجل شجاع جدًا رغم أنه مثل البقرة.

ثم أكمل بصوت مرتفع:

– «الكلب الأسود»؟ لا أعرف هذا الإسم هنا لكن يبدو أننى رأيته من قبل. يأتى هنا من حين لآخر بصحبة شحاذ ضرير. نعم، أحيانًا.

– هل أنت متأكد من ذلك؟ أعرف أيضًا هذا الضرير. إسمه «بو».

صرخ «جون» فى عصبية:

– صح . اسمه «بو». لو قبضنا على هذا «الكلب الأسود» سيسعد القبطان «ترلاونى» كثيرًا. لا يتمتع بهذه المهارة إلا عدد قليل من البحارة. يجب القبض عليه. إنه يتحدث عن الغنائم، أليس كذلك؟

كان يقول ذلك و هو يتجول فى الحانة يقفز بساقه الوحيدة وعكازه، يضرب المناضد بقسوة. يبدو واثقًا من نفسه تمامًا كأنه أحد رجال الشرطة. استيقظت شكوكى فى «المشهد الواسع» عندما رأيت « الكلب الأسود» و رحت أرقب «جون» بحذر. لكنه قوى جدًا وخبيث جدًا بالنسبة لى. ثم عاد الرجلان يلهثان يعلنان هروب «الكلب الأسود» فى الزحام.

على حسب معلوماتى عن اللصوص و الأوغاد بدأت أتشكك فى الطويل «جون» الذى قال:

– قل لى يا «جيمى» هذا الموضوع يزعجنى. ماذا سيقول القبطان «ترلاوني»؟ هذا الهولندى الملعون يجلس فى بيتى و يشرب الروم ثم أعلم حكايته منك! و هرب من قبضة يدى. «جيمى» هل ستدافع عنى أمام القبطان؟ أنت مراهق صغير لكنك عاقل. لم أره إلا عندما دخلت أنت، لكن ماذا أفعل؟ لو كنت سيد البحارة لقبضت عليه و لكمته لكن الآن...

صمت فجأة فاغرًا فاه كأنه تذكر شيئا مهمًا ثم صرخ:

– الحساب! شرب ثلاث كئوس من الروم! نسيت الحساب!

استند إلى السلم النقال و انفجر فى الضحك حتى أغرورقت عينيه بالدموع. لم أستطع منع نفسى من الضحك و انفجرت الضحكات فى كل الحانة. ثم قال و هو يمسح وجهه:

– حقا أنا بحار غبى. و أنت مثلى يا «جيمى». لأننا نتعامل بالعاطفة. لكن الآن يجب أن نجد حلاً. الواجب قبل أى شىء يا صديقى. يجب أن تقص ما حدث للقبطان «ترلاونى» بشكل جيد لأن المهمة خطيرة. لا أنا و لا أنت سنخرج من هذه العملية. ليست النهاية. لكن ما يقلقنى أنه لم يدفع حسابه.

عاد يضحك من كل قلبه و هو يسخر من نفسه.

ثم خرجنا إلى الطريق و راح يحدثني عن أنواع السفن حولنا، يحدثنى عن حمولتها و جنسيتها و يشرح لى كيفية تجهيزها. نقوم بنقل الحمولة من سفينة لأخرى ثم تأتى سفينة ثالثة لتجهيزها. أصبحت أفهم السفن أكثر من ذى قبل و كانت الصحبة مثيرة.

عندما وصلنا إلى الفندق رأينا الفارس و الطبيب «ليفسى» يتناولان اللحم مع البيرة و يستعدان للخروج إلى السفينة.

قص «جون الطويل» كل ما حدث من الألف إلى الياء بكل صدق و هو يسألنى من حين لآخر:

- أليس كذلك يا «جيمي»؟

و فى كل مرة أؤكد صدق حديثه.

حزن السيدان لهروب «الكلب الأسود» لكننا أكدنا أننا لم نستطع فعل أى شىء. ثم انسحب «جون الطويل» يقفز فوق عكازه. صرخ الفارس:

- على الجميع أن يكون على السفينة فى الرابعة عصرًا.

أتت الصيحة من السفينة:

- حسنًا سيدى.

قال الطبيب «ليفسى»:

- أنا لا أثق كثيرًا فى اقتراحاتك لكن «جون الطويل» يزعجنى.

أعلن الفارس:

- إنه رجل شجاع.

ثم سأل الطبيب:

- هل سيأتى معنا «جيمى» إلى السفينة؟

- كما تريد. «جيمى»، ارتدى قبعتك و هيا بنا إلى السفينة.

●●●

(٩)

لأن «إسبانيولا» لم تكن على الرصيف، استقلينا قارب صغير. مررنا تحت سقالات كثيرة و بين سفن ضخمة حتى صعدنا سفينتنا. استقبلنا مساعد القبطان السيد «أرو» بحفاوة. بحار عجوز أحول يزين أذنيه بالأقراط .

تحدث الفارس معه ببساطة بينما لاحظت أنه يتحدث بأسلوب أقل تودداً مع القبطان .

القبطان رجل جاد حازم و يبدو أنه غير راض عن كل شيء على السفينة. ما أن هبطنا الى حجرتنا حتى أتى بحار صغير يقول:

- القبطان «سموليت» يرغب فى الحديث معكم.

رحب الفارس قائلاً:

- و أنا تحت أمر القبطان دائمًا.

أتى القبطان متبوعًا بخادمه. أغلق الباب بحرص ثم قال:

- حسنًا سيدى. لا يوجد ما هو أفضل من الصدق حتى لو كان يزعجكم. لا أحب هذه الرحلة، لا أحب الطاقم و لا أحب معاونى. كلامى واضح و صريح.

سأل الفارس فى استياء:

– و ربما لا تحب السفينة.

– بالنسبة للسفينة لا أستطيع قول شىء قبل أن تبدأ فى العمل. يبدو أنها متقنة. هذا كل ما أعرفه.

– و يبدو أيضًا أنك لا تحب مالك السفينة؟

قاطع الطبيب «ليفسى»:

– لحظة من فضلكم. يجب أن نجد حلاً لسوء الفهم. القبطان تحدث في موضوعات كثيرة جدًا و أحتاج إلى توضيح. قلت لا تحب الرحلة. لماذا؟

– حسب الاتفاق بيننا علىّ أن أقود السفينة إلى المكان الذى يحدده هذا السيد. موافق. الأمور تسير بشكل جيد حتى الآن. لكنى ألاحظ أن بعض صغار البحارة يعلمون تفاصيل أكثر منى. هل تعتقدون أن هذا أمر جيد؟

أجاب الطبيب:

– لا طبعًا. أتفق معك.

– ثم علمت أننا سنخرج بحثًا عن كنز.. علمت من البحارة، أتلاحظون ذلك؟ البحث عن الكنوز مهمة دقيقة. لا أحب رحلات الكنوز. و لا أحبها أبدًا عندما تكون سرية. لكن السر وصل إلى الببغاء.

سأل الفارس:

- ماذا تقصد بالببغاء؟ هل تقصد «جون»؟

- لا أعلم. لكن أعتقد أن كل منكما يعلم ما ينتظره. أعتقد أنها مسألة حياة أو موت. يجب أن يتم العمل بسرية تامة.

قال الطبيب «ليفسى»:

- اتضحت الأمور. كلامك صحيح. نوافق على المغامرة لكننا لسنا ساذجين. قلت أيضًا لا تحب الطاقم. أليست البحارة ماهرة؟

قال القبطان «سموليت» غاضبًا:

- لا أحبهم سيدى. طالما أنكم سمحتم لى بالحوار فيجب أن أختار الطاقم بنفسى.

عاد الطبيب يقول:

- هذا ممكن. صديقى سيحل لك هذه المشكلة و إذا أهملها فهو المسئول. و لا تحب السيد «أرو» أيضا؟

- لا سيدى؟ لا أحبه. أعلم أنه بحار جيد لكنه يتعامل مع البحارة ببساطة شديدة ليبدو شخصًا مهمًا. مساعد القبطان يجب أن يظل مكانه و لا يأكل الخبز المحمص مع رجال المقدمة.

اندفع الفارس قائلاً:

- هل تريد أن تقول أن الرجال يضعون له السم؟

- لا سيدى، لكنه يتعامل معهم ببساطة شديدة.

سأل الطبيب فى عصبية:

- و الآن، ما هى خلاصة كل هذا يا قبطان؟ قدم اقتراحك.

- هل أنتم مصرون على القيام بهذه الرحلة؟

أكد الفارس:

- بكل تأكيد.

قال القبطان:

- حسنًا. طالما أنكم تستمعون لى بحرص يجب أن أضيف بعض الملاحظات. يقومون الآن بتحميل البارود و الأسلحة فى المقدمة. أى سيكون تحت حجرتكم مكان هام. هذا لا ينفع. لماذا؟.. أولاً، طالما أنك تصطحب معك أربعة رجال و يبدو أن معظمهم سينام فى المقدمة، لماذا لا ينامون هنا جوار حجرتكم؟ ثانيًا...

سأل «ترلاونى»:

- هل هذا كل شىء؟

- ليس هذا فقط. إنهم يتكلمون كثيرًا.

قال الطبيب منزعجًا:

- فعلاً، يتكلمون كثيرًا جدًا.

تابع القبطان «سموليت»:

– سأردد لكم بعض ما سمعته. يقولون لديكم خريطة للجزيرة مدون عليها ثلاث صلبان لتحديد مكان الكنز. و هذه الجزيرة موجودة فى...

حدد لهما خط الطول و العرض بدقة.

صرخ الفارس:

– أنا لم أخبر أحد بهذا أبدًا. أبدًا.

تأفف القبطان قائلاً:

– مع ذلك البحارة يعلمون هذه التفاصيل.

صرخ الفارس:

– «ليفسى»! لم يتحدث فى هذا الأمر إلا أنت أو «جيمى».

قال الطبيب فى ملل:

– ليس هذا المهم الآن.

لاحظت أن القبطان أيضًا لا يهتم برأى السيد «ترلاوني» ولايهتم بى أيضًا. لكن الفارس ثرثار بطريقة غير طبيعية. رغم ذلك أعتقد أنه لم يفش السر.

عاد القبطان يقول:

– حسنًا. لا أعلم من منكما يحتفظ بالخريطة و لا يهمنى البحث عنها و لا يجب أن يعلم مكانها السيد «أرو». لو حدث ذلك سأقدم استقالتى.

قال الطبيب:

– حسب كلامك يجب الاهتمام بالدفاع و يجب أن تكون مؤخرة السفينة محصنة برجال صديقى و يجب سلب السلاح من أيدى البحارة. بمعنى أدق تخشى من التمرد.

قال القبطان متحفزًا:

– دون أن أزعجكم سيدى، هذا من عمل القبطان. أما بالنسبة للسيد «أرو» أعتقد أنه شريف و بعض الرجال كذلك. ربما يكونوا جميعا شرفاء. لا أعلم. لكنى المسئول عن تأمين السفينة و كل ما عليها. أرى أن العمل لا يسير بشكل جيد. يجب أن تتخذوا كل الاحتياطات أو تتركوا لى المسئولية أو أقدم استقالتى.

قال الطبيب ساخرًا:

– قبطان «سموليت»، هلى تعلم أسطورة الجبل الذى ولد فأرًا؟ سامحنى، لقد ذكرتنى بهذه الحكاية. كنت أتوقع منك كلام آخر.

– ترى الأمور بوضوح يا طبيب. أنا كنت أتوقع أنكما ستعفيانى من هذه المهمة. لم أكن أتوقع أن يستمع لى السيد «ترلاونى».

صرخ الفارس:

– و لن أسمع أكثر من ذلك. لولا وجود «ليفسى» لألقيت بك فى الجحيم. سأنفذ مطالبك رغم أننى لا أقتنع برأيك.

قال القبطان فى أدب:

– كما تريد. تعلم جيدًا أننى أقوم بواجبى.

قال ذلك ثم انصرف فالتفت الطبيب و قال:

– «ترلاونى»، رغم أننى لا أثق فى رأيك كثيرًا لكنى أعتقد أنك نجحت فى الحصول على رجلين شريفين. هذا الرجل و«جون».

– «جون» شريف لكن هذا الرجل غير مُحتمل.

قال الطبيب:

– حسنًا، سنرى.

عندما صعدنا إلى جسر السفينة كان العمال يحملون البارود والأسلحة. يعملون بكل جدية تحت إشراف القبطان و السيد «آرو».

كنت أحدث عضو فى طاقم السفينة. لدينا ست حجرات فى المؤخرة. لا تتصل الحجرات بأعلى المقدمة إلا بممر ضيق يؤدى

إلـى المطبـخ. علـى حسـب الموقـف المبدئـى، القبطـان، السـيد «آرو»، «هانتـر»، «جوبيس»، الطبيب و الفـارس سيشـغلون الحجـرات السـتة. حتـى الآن يوجـد حجرتـان محجوزتـان لـ «ردروث» و أنـا. السـيد «آرو» و القبطـان سـيقيمان فـى حجرتـى المقدمـة تحـت الجسـر. الأسـقف هنـا منخفضـة جـدًا لكـن يوجـد مسـاحة كافيـة لتعليـق أرجوحـة مـن الشـباك. مسـاعد القبطـان لا يسـعد بالنـوم إلا علـى هـذه الأرجوحـة و يبـدو واثقًـا مـن الطاقـم تمامًـا.

كنـا نعمـل بـكل نشـاط، نحمـل الذخائـر و الأفـرش، عندمـا رأينـا «جـون» يتجـه نحونـا فـى زورق بصحبـة رجـل أو رجلـين.

قفز الطباخ «جون» إلى الجسر مثل القرد ثم صرخ:

– أهلاً يا أصدقاء! ماذا تفعلون؟

أجاب أحدهم:

– نقلب البارود.

صرخ «الطويل جون»:

– لو تأخرنا لن نلحق بمد الصباح.

التفت القبطان إلى الطباخ و قال بجفاء:

– يجـب طاعـة الأوامـر. اذهـب الـى المطبـخ يـا ولـد. الطاقـم سـيتناول طعامـه.

أدى الطباخ التحية و قال:

- حسنا سيدى.

قال الطبيب:

- أعتقد أن الطباخ رجل جيد يا قبطان.

- لا نستطيع الحكم إلا فى عرض البحر.

ثم التفت إلى البحارة قائلاً:

- برفق يا رجال. تحميل البارود يتم بهدوء.

و بعد أن تفحص المدفع الذى يتوسط السفينة التفت إلىّ صارخًا:

- اذهب أيها البحار الصغير و اطلب من الطباخ أن يسند إليك عمل.

نفذت الأمر بسرعة ثم سمعته يقول للطبيب:

- لا أحب المجاملات على سفينتى.

بدا لى أن الفارس محقًا فى رأيه. أصبحت أكره القبطان تمامًا.

●●●

(١٠)

أمضينا الليل كله فى الاستعداد للسفر و ترتيب كل شىء فى مكانه. نستقبل القوارب المحملة بأصدقاء الفارس الذين أتوا لوداعه و هم يتمنون له التوفيق و العودة سالمًا. لم أذهب لقضاء الليلة الأخيرة فى فندق «بنبو» حيث كان المجهود أقل من نصف المجهود هنا. صفر القائد ليذهب كل واحد إلى مكانه. كنت فى غاية الإرهاق لكن لا أستطيع ترك العمل أبدًا.

كل شىء هنا جديد بالنسبة لى، القادة الأشداء، صوت الصفارة الحاد، الرجال يجرون إلى مواقعهم تحت الضوء الشاحب. قال أحدهم:

- هيا «الخنزير المشوى» ألقى علينا أنشودتك.

صرخ آخر:

- أنشودتك القديمة.

قال «جون الطويل» و هو يستند إلى عكازه:

- حسنًا.

ثم قال بلحن أعرفه جيدًا:

- كنا خمسة عشر فوق النعش..

و ردد كل الطاقم:

- يو هو هو! و زجاجة الروم.

رغم اللحظات المضطربة تذكرت فندق «بنبو» و سمعت صوت القبطان العجوز المقتول يتردد داخلى. بدأ الهلب يخرج من المياه شيئًا فشيئًا حتى أصبح يتلألأ فوق مقدمة السفينة. ارتفعت الأشرعة و انتفخت بالهواء و ابتعدت الأرض بينما سفينتنا تتحرك ببطء وسط السفن الراسية على الجانبين. قبل أن أذهب للاستراحة لمدة ساعة واحدة فقط كانت «إسبانيولا» قد بدأت رحلتها إلى جزيرة الذهب.

لن أطيل عليكم وصف تفاصيل هذه الرحلة بدقة، هناك أشياء أهم. السفينة جيدة، الطاقم مكون من أمهر البحارة، القبطان يعلم كل تفاصيل عمله. لكن على كل حال، قبل الوصول إلى الجزيرة وقعت حادثتان أو ثلاث يجب أن أقصها عليكم.

فى البداية أعترف أن السيد «آرو» يبدو أكثر تفاهة مما يتوقع الفارس. لا يستطيع إحكام سيطرته على الرجال، أنهم لا يهابونه. لكن ليس هذا هو الأهم. بعد يومين أو ثلاثة أصبح لا يصعد إلى سطح السفينة الا زائغ البصر، ملتهب الوجه، يتلعثم فى الكلام، تبدو عليه كل أعراض السكر. فى بعض الأحيان يفقد توازنه فيسقط و يصاب بالجروح. و أحيانًا يمضى النهار كله

ممـددًا فـى فراشـه فـى كابينتـه. فـى أحيـان قليلـة يبـدو متماسـكًا و يـؤدى مهـام عملـه فـى إهمـال. مـع ذلـك لا نعلـم مـن أيـن يأتـي بالكحـل. كل مـن علـى السـفينة يعجـز عـن حـل هـذا اللغـز رغـم أننـا بحثنـا كثيـرًا فـى كل مـكان. عندمـا تسـأله يضحـك عندمـا يكـون ثملاً، و إذا كان متماسـكًا يقسـم أنـه لا يشـرب إلا الميـاه فقـط.

ليـس مهمـلاً فـى عملـه فقـط و قـدوة سـيئة للرجـال، لكنـه بهـذا الشـكل يسـير في اتجـاه المـوت و بسـرعة ثـم فوجئنـا باختفائـه تمامًـا فـى ليلـة معتمـة حـين ارتفعـت الأمـواج و هبـت الريـاح. أعلـن القبطـان فـى سـخرية:

- رجل بحر! يجب حبسه يا سادة.

لا يمكـن أن يسـير العمـل بـدون مسـاعد قبطـان. يجـب أن يقـوم أحـد بعملـه. «أندرسـون» المسـئول عـن المهمـات هـو الأجـدر بهـذا العمـل بالإضافـة إلـى عملـه الأصلـي. السـيد «ترلاونـى» يمتلـك خبـرات بحريـة كبيـرة و هـذا يفيدنـا كثيـرًا. أمـا «هانـدز» فهـو بحـار عجـوز خبيـر، حـازم و حكيـم. مـن الممكـن أن نثـق بـه عنـد الحاجـة. وهـو محـل ثقـة «جـون سـيلفر الطويـل».

هنـا يطلقـون علـى «جـون الطويـل» لقـب «الخنزيـر المشـوى». يربـط عـكازه بحـزام حـول رقبتـه و يسـتند إليـه لكـى يسـتطيع العمـل بكلتـا يديـه. مـن المُدهـش أنـه يتحـرك بيسـر رغـم حركـة السـفينة

ويعد الطعام بسهولة كما لو كان فى مطبخ بيته. لكي نعاونه على الحركة قاموا بربط بعض الحبال بطول السفينة، و هو قادر على الحركة بخفة و رشاقة بمساعدة عكازه و هذه الحبال. من أبحروا معه من قبل يشفقون عليه. قال لى «هاندز»:

- «الخنزير المشوى» ليس رجلاً عاديًا. تعلم الإبحار منذ نعومة أظافره. و هو شجاع جدًا. أقوى من الأسد. رأيته بنفسى يصارع أربعة خصوم و ذبحهم جميعًا.

كل الطاقم يحبه و يطيعه. أنه يتحدث مع الجميع و يقدم خدماته للجميع. بالنسبة لى فهو لا يمل منى أبدًا. يرحب بى فى مطبخه النظيف جدًا حيث تتلألأ الأوانى المعلقة على الحوائط ويحتفظ ببغاء داخل قفص فى أحد الأركان. قال لى:

- هيا يا «جيمى»، تعالى تحدث معى. أنا أحبك أكثر من الجميع يا ولدى. اجلس لسماع الأخبار. هذا هو القبطان «فلان» (أطلق هذا الإسم على الببغاء تخليدًا لاسم القرصان الشهير). هذا القبطان «فلان» يبارك رحلتنا. أليس كذلك يا قبطان؟

أجاب الببغاء فى عصبية: قطعة من ثمانية! قطعة من ثمانية! قطعة من ثمانية!

ظل يردد الكلمة حتى غطى «جون» القفص بمنديله ثم قال لي:

– هـذا الببغـاء يتجـاوز عمـره المائتـى عـام. فـى بعـض الأحيـان يعيـش أكثـر مـن ذلـك. لـم يشـاهد أحـد جرائـم أكثـر منـه إلا الشـيطان نفسـه. لقـد أبحـر مـع «إنجلانـد»، القبطـان العظيـم «إنجلانـد»، القرصـان. سـافر معـه إلـى أماكـن كثيـرة مثـل مدغشـقر و «بورتوبلـو»، وحضـر معـه اقتسـام الغنائـم و تعلـم كلمـة «قطعـة مـن ثمانيـة». الأمـر ليـس غريبـا يـا «جيمـى»، كان هنـاك ثلاثمائـة و خمسـين ألفًـا! كان يعيـش فـى مملكـة الهنـد. قـد تعتقـد أنـه بـرئ لكنـه خبيـث، أليـس كذلـك يـا قبطـان؟

أجاب الببغاء:

– إهتم بشأنك! أتركنى في حالى.

قال «جون الطويل» و هو يمنحه قطعة السكر:

– آه! يا لك من خبيث.

التقط الببغاء السكر بنهم و أكمل «جون»:

– إنـه شـره جـدًا، لكـن هـذا الطائـر البـرئ قـادر علـى إشـعال الحـروب. أنـا واثـق مـن ذلـك. إنـه يعتـرف بـكل مـا يعرفـه بسـرعة كمـا لـو كان يقـف أمـام القاضـى.

مـر الفـارس و القبطـان «سـموليت» أمـام المطبـخ. لا يتفقـان أبـدًا. الفـارس يتشـكك فـى القبطـان. و القبطـان لا يتكلـم إلا للإجابـة

عن سؤال فقط و يتحدث بأسلوب صارم و جاف دون أن يضيف أية كلمة. قال القبطان و هو يشير إلينا:

- هذا الرجل يتعامل مع الشاب كما لو أنه زوجته. رحلتنا لم تنته بعد، و أنا لا أحب هذه الرحلة.

أجال القبطان ببصره يمسح السفينة كلها من أولها الى آخرها و قال:

- هذا الرجل يضايقنى و لا أعرف السبب.

واجهنا بعض تقلبات البحر و أثبتت «إسبانيولا» متانتها. الكل مبتهج، لا يطمعون فيما هو أكثر من ذلك. علمت منهم أن كل ظروف البحر مناسبة. السيدان يتشاجران لأتفه الأسباب. على سبيل المثال، علم الفارس أن اليوم عيد ميلاد أحد رجال الطاقم فأمر أن يأتوا ببرميل التفاح إلى سطح السفينة للإحتفال. مال القبطان نحو الطبيب «ليفسى» و قال:

- على ما أظن، لا يوافق أحد على هذا الأسلوب. إنه يفسد البحارة، يحولهم إلى شياطين. هذا هو اعتراضى.

لكن الجميع استمتع ببرميل التفاح. هكذا كانت تسير الأمور.

استسلمنا للرياح التجارية التى ستقودنا إلى الجزيرة. لا أستطيع تقدير الموقف بدقة لكننى شعرت أننا سنصل إليها بعد

يـوم واحـد. ربمـا تكـون آخـر ليلـة فـى رحلـة الذهـاب. قـد نلمـح الجزيـرة الليلـة أو صبـاح الغـد. تأرجحـت «إسـبانيولا» علـى الأمـواج لكـن كل الاشـرعة سـليمة و الجميـع يعمـل مبتهجًـا. مالـت الشـمس نحـو المغيـب. اتجهـت إلـى الفـراش بعـد الإنتهـاء مـن العمـل لكنـى شـعرت بحاجـة إلـى التهـام تفاحـة.

كان كل رجـال المقدمـة يبحثـون عـن الجزيـرة و آخـرون يرقبـون حركـة الأشـرعة و لا نسـمع إلا حركـة الهـواء و الميـاه تتخبـط بجسـم السـفينة.

دخلـت بـكل جسـدى داخـل البرميـل الـذى كان خاويًـا و أصبحـت محاطًـا بالظـلام. فـى هـذه اللحظـة سـمعت رجل يسـتند علـى البرميل و اسـتعددت للقفـز لكنـه بـدأ الحديـث. عرفـت صـوت «جـون الطويل». قـال عشـر كلمـات لا أسـتطيع البـوح بهـا أبـدًا. بقيـت فـى مكانـي أرتجـف و أسـتمع. مـن هـذه الكلمـات العشـرة أصبحـت مسـئولاً عـن حيـاة كل الشـرفاء علـى السـفينة.

●●●

(١١)

قال «جون الطويل» :

- لا، كان «فلان» هو القبطان بينما كنت أنا أعمل تحت قيادته بسبب ساقي الخشبية. فقدت ساقى فى نفس المعركة التى فقد بها «بو» بصره. من بتر ساقى كان طبيب جراح.. رغم مكانته العلمية فى الجامعات، رغم إتقانه اللاتينية و أشياء أخرى كثيرة، لكن تم شنقه مثل الكلب الأجرب و تركوا جثته تجف تحت الشمس مع الآخرين. حدث ذلك فى «كورسو كاسل». إنهم رجال «روبرت». سبب كل بؤسهم أنهم غيروا أسماء سفنهم. «الثروة الملكية» و «كاتيرا». قلت لهم عندما نستولى على سفينة يجب ألا نبدل اسمها أبدًا. هذا ما حدث فى سفينة «كاساندرا» التى حملتنا من «مالابار» بعد أن تم أسر «إنجلاند» فى الجزر الهندية و هذا ما حدث لـ «والرس» سفينة «فلان» القديمة. شاهدت المذبحة بنفسى فى السفينة المحملة بالذهب المصهور.

صرخ الصوت الآخر (صوت أصغر بحار فى السفينة) فى إعجاب:

- آه! كان «فلان» زهرة البحارة!

عاد «جون الطويل» يقول:

- «دافيس» هو أيضًا وغد بكل المعايير. لكني لم أبحر معه أبدًا. فى البداية أبحرت مع «إنجلاند» ثم «فلان». هذا كل ما فعلته فى حياتى. و الآن أبحر من أجل حساباتى الخاصة إلى حد ما. فى زمن «إنجلاند» إدخرت تسعمائة جنيه، و إدخرت ألفي جنيه فى زمن «فلان». مبالغ معقولة بالنسبة لى. وضعت كل الأموال فى البنك. صدقنى الربح ليس مهم. الأهم أن تحافظ على ما لديك. ما هو مصير رجال «إنجلاند»؟ لا أعرف. و ما هو مصير رجال «فلان»؟ معظمهم معنا هنا فى السفينة، يبحثون عن نصيبهم من الكعكة. قبل ذلك كانوا يتسولون بالتأكيد. العجوز «بو» فقد بصره. كان ينفق ألف و مائتى جنيه فى العام كأنه ثرى كبير. أين هو الآن؟ مات فى عمق القبو بعد أن عانى البؤس لمدة عامين. عانى الجوع، تسول، سرق، قتل، و رغم ذلك عانى الجوع .

قال البحار الصغير:

- الأمر لا يستحق كل هذا العناء.

قال «جون الطويل»:

- بالنسبة للحمقى الأمر لا يستحق.. اسمعنى، أنت صغير حقًا لكنك حكيم. لاحظت ذلك فيك من أول وهلة. أحدثك مثل الرجال.

لقد استخدم نفس هذه الكلمات معى من قبل. فى هذه اللحظة تمنيت قتله. ثم سمعته يستكمل:

– هذا هو مصير رجال الثروة الأذكياء. يعيشون حياة قاسية ويغامرون بحياتهم لكنهم يأكلون مثلما تأكل الدجاجات فى الحظيرة. و فى نهاية الرحلة يحصلون على الفتات. لذلك نجد معظمهم يشرب محاولاً الاستمتاع بحياته ثم يعودون إلى البحر لا يسترهم إلا قميص قديم. لكنى لست من هذا النوع. أدخر بعض المال هنا و البعض هناك و لا أنفق أكثر من اللازم خوفًا من الغد. أصبحت في الخمسين من العمر كما تلاحظ، عندما أعود من هذه الرحلة سأتفاهم مع من نعمل لديهم بسرعة. نعم، أعيش معزولاً لكن لن يطردنى أحد. أنام على الرياش و آكل جيدًا فى أى مكان إلا فى البحر. و كيف بدأت حياتى؟ بدأت مثلك.

قال الصوت الآخر:

– لكنك فقدت كل الأموال التى ربحتها من قبل، أليس كذلك؟ لن تستطيع العودة إلى «برستول» بعد هذه الرحلة.

قال «جون» ثملاً:

– آه! فى ظنك أين توجد ثروتى؟

أجاب الآخر:

– فى «برستول»، فى البنوك و أماكن أخرى.

– كانت فى هذه الأماكن قبل أن نبحر. أصبح كل شىء الآن مع صديقتي القديمة. بعت الحانة و كل شىء و فتاتي الشجاعة رحلت و تنتظر وصولى. سأقول لك عن المكان المُتفق عليه لأننى أثق بك. لكن هذا سيجعل كل زملائك يغيرون منك.

– هل تثق فى فتاتك؟

– رجال الثروة الأذكياء لا يثقون فى بعضهم البعض، و هم محقون فى ذلك، صدقنى لكن لدى أسلوبى الخاص. عندما يحاول أحد الأصدقاء الغدر بى لن يبقى فى هذا العالم إلا «جون العجوز». البعض كان يخشى «بو» و آخرون يخشون «فلان»، لكن «فلان» نفسه كان يخشانى رغم غطرسته. الطاقم هنا ليس مناسبًا مثل طاقم «فلان». حسنًا، أنا لست متبجحًا لكن يجب على الجميع أن يطيعنى فى العمل، حتى أخطر القراصنة. يجب أن تكون واثقًا من نجاحك عندما تكون على سفينة العجوز «جون».

قال الصغير:

– حسنًا، أعترف لك أن الناس هنا لا تروق لى. لكن الآن، بعد أن تحدثت معك يا «جون» الأمر يختلف.

قال «جون»:

- أنت شاب شجاع و يجب أن تعتمد على ذراعك.

ثم مدد ذراعه بقوة و عنف حتى أرتج برميل التفاح. لم أر فى حياتى رجل يصر على أن يكون رجل ثروة ذكى أكثر من ذلك.

بدأت الآن أفهم معنى كلماتهم. كلمة رجل ثروة ذكى لا تعنى إلا قرصان شرس. و ربما يكون هذا آخر حوار أسمعه فوق هذه السفينة. ثم أطلق «جون» صفارة حادة و أتى شخص ثالث كان يجلس على مقربة. قال «جون»:

- «ديك» تعالى.

قال «هانتر»:

- آه! لا يوجد من هو أكثر حماقة من «ديك».

ثم مسح فمه بقميصه و بصق وأكمل:

- لكن أخبرنى «الخنزيرالمشوي»، إلى متى ستظل حياتنا هادئة على هذه السفينة؟ القبطان «سموليت» ليس موجودًا الآن، إنه يزعجنى كثيرًا. يجب أن أذهب إلى حجرتى. أريد بعض المخلل والنبيذ و كل المتبقى.

قال «جون»:

- أعلم يا «هاندز» أنك لست داهية. لكنك قادر على التنصت والتفكير. على الأقل أذنيك تعمل بطريقة جيدة. هذا أمرى: ستنام

فى المقدمة، ستكون حياتك قاسية. يجب أن تحتفظ بالهدوء وتتحرك برصانة حتى آمرك بالتحرك. يجب أن تثق فىّ يا ولدى.

غمغم «هاندز»:

- لا أعترض على أوامرك لكنى أسأل: إلى متى؟ هذا هو سؤالى.

صرخ «جون» ساخرًا:

- إلى متى؟ سأخبرك إلى متى؟ مازال الوقت مبكرًا جدًا. نقوم برحلة فاخرة، القبطان «سموليت» يقود السفينة المقدسة. معنا الفارس و هذا الطبيب و لديهما خريطة و.. لا أعرف مكان الخريطة و لا أنت تعلم، أليس كذلك؟ إذًا آمل أن يعثر الطبيب والفارس على التاجر و يتعاونا على الإبحار. سنرى ما يحدث. أنا أثق فى كل الموجودين على السفينة لأنهم أبناء «هولاندى». و لذلك آمل أن يصل بنا «سموليت» إلى منتصف الطريق.

قال «ديك» الصغير:

- كلنا هنا من البحارة .

قاطعه «جون»:

- بل قل كلنا من أوغاد البحر. نستطيع الإبحار فى كل اتجاه لكن من يحدد لنا الاتجاه الصحيح؟ جميعنا لا نعرف إلى أين نتجه.

لا أستطيع إلا الانتظار حتى يصل بنا القبطان «سموليت» إلى الرياح التجارية. أخشى أن يكون هناك خطأ فى الحسابات. لقد رأيت من قبل هذه الجزيرة و أعرف التاجر. إنه بائس مسكين. لكنكم لا تستمتعون بشىء إلا بعد الشراب. الإبحار معكم ممل.

قال «هاندز»:

- اهدأ «جون». من يعارضك هنا؟

- عملت من قبل للاستيلاء على سفن ضخمة، التقيت الكثير من الأوغاد على الرصيف، و كان كل شىء يتم بسرعة، بسرعة. أتسمعون؟ رأيت أشياء صغيرة فى البحر. يجب أن نسير فى الاتجاه الصحيح ثم نكمل طريقنا بالقوارب. نعم! لكن ماذا نفعل مع الآخرين. أعرفكم، بعد أن تشربوا الروم سيشنقونكم غدًا.

اعترض «هاندز»:

- تتحدث بلغة الكاهن يا «جون». الآخرون ينهمكون فى عملهم و هم يعلمونه أكثر منك. إنهم يمزحون. و على كل حال ليسوا متغطرسين و ليسوا ضعفاء. يتقبلون كل الملاحظات.

عاد «جون» يقول:

- و أين هم الآن؟ «بو» كان من هذا النوع و أصبح متسولاً. «فلان» أيضًا قُتل، قُتل بالروم فى «سافانا». آه! إنهم من رجال المجارى! أين هم الآن؟

اعترض «ديك»:

– لكن ماذا نفعل معهم عندما يصبحون تحت رحمتنا؟

صرخ «جون»:

– هذا الشاب يركلنى. يجب أن نفكر بطريقة عملية. ما هو رأيك؟ نتركهم على الأرض؟ هذا أسلوب «إنجلاند». أو نذبحهم مثل الخنازير؟ هذا ما فعله «فلان» و «بيلى جونز».

قال «هاندز»:

– «بيلى» جدير بفعل ذلك. يعتقد أن الموت لا يسبب الآلم. والآن هو نفسه مات. لا يوجد من هو أقسى منه.

أكد «جون»:

– قلت الحق. كان قاسيًا و متعجلاً. ألا تلاحظون أننى رجل هادئ. أنا رجل شهم أليس كذلك؟ لكن هذه المرة الأمر خطير. العمل قبل أى شىء يا أصدقائى. أنا أفضل الموت. عندما أذهب إلى المحاكمة لا أريد إلا مثل هؤلاء القضاة البحريين الإرتجاليون. مبدأى هو الانتظار حتى تأتى الفرصة و أنا واثق أن الفرصة ستأتى.

قال «هاندز» فى إعجاب:

– «جون»، أنت رجل.

– ستتأكد من ذلك عندما تشاهد بنفسك. أنا لا أطالب إلا بـ «ترلاونى» . بيدى سأفصل رأسه من جسده.. «ديك»، أريد تفاحة ليهدأ «جون».

تخيلوا مدى الذعر الذى شعرت به. يجب على القفز و الهرب لكنى لم أجد فى نفسى الشجاعة الكافية و لا القوة أيضًا. من الصوت أدركت أن «ديك» هب واقفًا لكن يبدو أن أحد استوقفه ثم سمعت «هاندز» يقول:

– اترك التفاح الآن يا «جون»، لنشرب الروم، هذا أفضل.

قال «جون»:

– «ديك»، ها هو المفتاح، هات الزجاجة.

ذهب «ديك» و استغل «هاندز» الفرصة و راح يهمس فى أذن «جون». لم أسمع إلا كلمات قليلة و من أهم هذه الكلمات: لن ينضم إلينا أحد من الآخرين. إذًا يوجد رجال مخلصون فوق السفينة.

عاد «ديك» حاملاً الزجاجة و راح الثلاثة يشربون. أحدهم قال:

– فى نخب نجاحنا.

و قال الآخر:

– فى نخب العجوز «فلان».

و قال «جون» بصوت أجش:

- أنا أشرب فى نخب أنفسنا.

فى هذه اللحظة رأيت شعاع الضوء و أنا داخل البرميل. كان القمر يهل من الشرق مرسلاً أشعته الفضية على صفحة المياه. وفى نفس اللحظة تقريبًا سمعت الصيحة:

- الأرض.

●●●

(١٢)

دبت الحركة فى السفينة و هذا ما سمح لى بالهرب من البرميل و ذهبت الى شراع الميزان للحاق بـ «هانتر» و الطبيب «ليفسى».

تجمع كل الطاقم. بدأ الضباب يتبدد قليلاً تحت ضوء القمر. نلمح هناك، فى اتجاه الجنوب الغربى، جبلين صغيرين على بعد ميلين تقريبًا، و يظهر جبل ثالث أضخم خلف أحدهما و مازالت قمته مختفية فى الضباب. الجبال الثلاثة مهجورة و مخروطية الشكل.

شعرت كأننى أعيش فى حلم بسبب حالة الذعر التى عانيتها منذ لحظات. ثم سمعت القبطان «سموليت» يلقى أوامره. انحرفت «إسبانيولا» قليلاً لتفادى الإصطدام بالجزيرة.

بعد أن أهبطوا الأشرعة سأل القبطان:

– و الآن يا شباب، هل رأى أحدكم هذه الأرض من قبل؟

أجاب «جون»:

– نعم سيدى. رأيتها من قبل عندما كنت طباخًا على سفينة تجارية.

سأل القبطان:

- على ما أعتقد المرسى فى اتجاه الجنوب خلف جزيرة صغيرة.

- نعم سيدى نطلق عليها جزيرة «الهيكل العظمى». كانت ملجأ للقراصنة . و كان معنا بحار يعرف كل الأسماء هنا. هذا الجبل فى الشمال يطلقون عليه جبل «الميزان». يوجد ثلاث قمم على خط مستقيم من الشمال للجنوب هم «الميزان»، «الصارى الكبير» و «صارى المؤخرة». لكن جبل «الصارى الكبير» هو الأعلى و قمته مغلفة بالجليد، يطلقون عليه اسم «المشهد الواسع» لأنه يكشف المرسى بوضوح حيث يجهزون سفنهم.

قال القبطان «سموليت»:

- لدى خريطة، لنرى إذا كان المكان المحدد.

برقت عينا «جون الطويل» عندما حصل على الخريطة. لكن الورقة تبدو جديدة و فهمت أنها مزورة. ليست الخريطة الأصلية التى عثرنا عليها فى حقيبة «بيلى جونز»، نسخة أخرى مرسومة بإتقان شديد، مدون عليها الأسماء و الوصف و الأعماق لكنها بدون الصلبان الحمراء و لا الملاحظات. كتم «جون» غيظه و قال:

- نعم سيدى. من المؤكد أنه المكان المحدد و الخريطة مرسومة بدقة. أتساءل عن الشخص الذى يرسم بهذه الدقة. القراصنة

جاهلـون جـدًا علـى مـا أظـن.. نعـم، هنـا مرسـى القبطـان «كيـدا». عرفـت الاسـم مـن صديقـى فـى الرحلـة السـابقة. يوجـد تيـار طويـل علـى السـاحل الغربـى ثـم يلتـف إلـى الشـمال حـول السـاحل الغربـى. فعلـت حسـنًا سـيدى بالإبحـار عـن قـرب. علـى الأقـل لـو رغبـت فـى النـزول إلـى الأرض لاسـتقبال الهدايـا. أعتقـد أن هـذا أفضـل مـكان فـى المنطقـة.

قال القبطان «سموليت»:

– أشكرك. سأحتاج إلى معاونتك فيما بعد. اذهب الآن.

دُهشـت عندمـا رأيتـه يلقـى بـكل معلوماتـه ببسـاطة شـديدة وشـعرت بالخـوف عندمـا رأيتـه يقتـرب منـى. بالتأكيـد لا يعلـم أننـى كنـت مندسًـا فـى برميـل التفـاح. رغـم ذلـك أهـاب قسـوته و دهائـه. ارتجفـت عندمـا وضـع يـده علـى كتفـى و قـال:

– هـذا المـكان مناسـب، هـذه الجزيـرة.. مـكان مناسـب لشـاب يرغـب فـى العـودة إلـى الأرض. هنـا تسـتطيع السـباحة و تسـلق الأشـجار و اصطيـاد الماعـز، و تسـتطيع تسـلق الجبـال مثـل الماعـز. فـى الحقيقـة هـذا يجـدد شـبابى. سأنسـى سـاقى الخشـبية. مـن المبهـج العـودة إلـى الشـباب.. عندمـا تريـد الخـروج للاستكشـاف يجـب أن تخبـر العجـوز «جـون» و سأرسـل معـك مـن يعاونـك.

قال ذلك ثم ضرب كتفى بكل قسوة و اختفى. كان القبطان «سموليت»، الفارس و الطبيب «ليفسى» يتجمعون فوق سطح السفينة. أرغب فى أن أقص عليهم ما سمعته لكنى لا أستطيع قطع حوارهم أمام الجميع. كنت أبحث عن الحجة المناسبة عندما نادانى الطبيب «ليفسى». قبل أن أسمع منه كلمة واحدة اندفعت قائلاً:

- أرجو أن تصحب القبطان و الفارس إلى الكابينة فى الأسفل، و أرجو أن تطلبنى بأية حجة. لدى أخبار مرعبة و يجب أن أعلمكم بها.

اكفهر وجه الطبيب برهة ثم تماسك و عاد إلى هيأته الأولى وقال بصوت مرتفع:

- حسنًا «جيمى». هذا ما كنت أسأل عنه.

ثم التفت إلى صديقاه يتحدث إليهما. لم يرتجف أى منهم ولم يرفع أى منهم صوته. يبدو أن الطبيب أفصح لهم عن طلبى لأننى سمعت القبطان يقول بصوت مرتفع:

- أيها الرجال، أريد أن أقول لكم كلمة. هذه الأرض التى ترونها هى هدفنا. السيد «ترلاونى» يتمتع بالذكاء الخارق كما تعلمون. سألنى عنكم و أخبرته أن الجميع يؤدى واجبه على أفضل وجه. و هذا يسعدنى. سأهبط أنا و الفارس و الطبيب إلى الكابينة لنشرب نخبكم و نخب نجاحنا و سنقدم لكم الشراب فى

مقدمة السفينة لتشربوا نخبنا و نخب نجاحنا، يبدو لى هذا من ذكاء و نبل الفارس.

ارتفعت صيحات البهجة بشكل غير طبيعى و شعرت كأنهم يشربون نخب موتنا. صرخ «جون الطويل»:

– فى نخب القبطان «سموليت».

و صرخ الجميع يرددون: فى نخب القبطان «سموليت».

هبط السادة الثلاثة و بعد برهة أتى من يطلبنى للنزول إلى الكابينة.

كانوا يجلسون حول زجاجة نبيذ إسبانى و طبق من العنب المجفف. الطبيب يضع قبعته على ركبته و هذا يشير إلى قلقه. النافذة مفتوحة على الهواء الساخن و نرى القمر يداعب سفينتنا. قال الفارس:

– هيا يا «جيمى». لديك ما تقوله. تكلم.

قصصت عليهم كل التفاصيل و ظل الثلاثة يستمعون فى صمت دون أية حركة، يرقبوننى بجدية و حزم. ثم قال الطبيب:

– اجلس يا «جيمى».

جلست معهم حول نفس الطاولة و وضعوا لى العنب فى يدى. ثم راح كل منهم يشرب نخبى و يمدح شجاعتى. ثم قال الفارس:

- كنت على حق يا قبطان و كنت أنا على خطأ. أعترف بحماقتى و الآن أنتظر تعليماتك.

قال القبطان:

- لايوجد من هو أحمق منى. لم أسمع عن طاقم يتفاهم مع بعضه البعض بمثل هذه السرية و هذه المهارة.

قال الطبيب:

- هذا بفعل «جون الطويل». داهية.

قال القبطان:

- هذا واضح سيدى. لكن نحن نتحدث كثيرًا وهذا لن يقودنا إلى شىء. لدى ثلاث أو أربع ملاحظات بعد إذن السيد «ترلاونى».

قال السيد «ترلاونى» فى نبل:

- أنت القبطان. تحدث.

بدأ القبطان «سموليت»:

- أول نقطة علينا أن نتقدم لأننا لا نستطيع التراجع. لو أمرت بإخلاء السفينة سيثورون. النقطة الثانية: لدينا الوقت الكافى.. على الأقل حتى نعثر على الكنز. النقطة الثالثة: لدينا بعض البحارة الأوفياء و يجب أن نتصل بهم عاجلاً أم أجلاً.

أعتقد يجب استغلال الفرصة و نبدأ نحن بالضربة الأولى. هذا يحتاج إلى معاونة رجالك سيد «ترلاونى».

– و أنا أيضًا سأتعاون معكم بنفسى.

– نحن ثلاثة و معنا سبعة بما فيهم «جيمى». و ماذا عن بقية البحارة الشرفاء؟

قال الطبيب:

– لا يبدو أمامنا إلا الرجال الذين اختارهم السيد « ترلاونى» بنفسه .

اعترض الفارس:

– لا . كنت أعتقد أن «هاندز» من رجالى.

أضاف القبطان:

– و مع ذلك أنا فخور به.

أعلن الفارس:

– كلهم من الإنجليز. نستطيع رميهم من السفينة.

عاد القبطان يقول:

– حسنًا يا سادة. كان حديثنا مثمرًا . يجب أن نذهب إلى مقدمة السفينة و نقضي ليلة جميلة. أعلم أن الأمر مزعج لكن

من الأفضل أن يكونوا تحت أعيننا لنعلم من هم رجالنا الأوفياء. نذهب إلى المقدمة و نترقب ما يحدث. هذا رأيى.

قال الطبيب:

- «جيمى» هو الأقدر على مساعدتنا. الرجال لا يشكون فيه وهو شاب ذكى.

أضاف الفارس:

- «جيمى»، أضع على عاتقك مسئولية كبيرة.

بدأت أشعر باليأس رغم سعادتى لأنهم شربوا نخبى و رحبوا بى بينهم. يجب أن تعلموا من بين ستة و عشرين رجلاً كنا سبعة فقط و أحدهم شابًا صغيرًا. أى نستطيع القول ستة رجال فى مواجهة تسعة عشر.

●●●

(١٣)

عندما صعدت إلى سطح السفينة فى صباح اليوم التالى بدت لى الجزيرة فى هيئة مختلفة تمامًا. رغم سكون الرياح إلا أننا قطعنا مسافة طويلة أثناء الليل. فى هذه الساعة كان الهدوء المميت على بعد نصف ميل تقريبًا فى اتجاه الجنوب الشرقى حيث تتمدد الغابات الرمادية يتخللها بعض مساحات من الرمال الصفراء تكشف الكهوف الصخرية. كميات ضخمة من مختلف أشجار الصنوبر، بعضها معزولاً و بعضها فى مجموعات. الألوان متداخلة بينما الجبال الصخرية الموحشة تبدو فى الخلف. كل شىء هنا غريب، «المشهد الواسع» على بعد ثلاثمائة أو أربعمائة قدم و يبدو أنه الأعلى فى الجزيرة، و هو يضيف الغموض إلى المكان، يبدو مثل قاعدة رخامية أُعدت لتمثال ضخم.

«إسبانيولا» تندفع شيئًا فشيئًا فى المحيط. لا نسمع إلا صوت الدفة و ضربات المجاديف. السفينة كلها تطقطق كما لو كانت مصنع. يجب علىّ الثبات و الصمت و هذا يضايقنى.

الجزيرة تبدو حزينة بغاباتها الرمادية و صخورها الموحشة. لكن الشمس الساطعة الدافئة و صيحات الطيور البحرية التى تصطاد حولنا فى بهجة، كل هذا جعلنى مبتهجًا للوصول إلى جزيرة الكنز.

فـى الحقيقـة كان العمـل شـاق جـدًا فـى هـذا الصبـاح. أنزلنـا القـوارب لتجـر السـفينة لمسـافة ثلاثـة أو أربعـة أميـال إلـى أن وصلنـا الـى طـرف الجزيـرة ثـم دخلنـا قنـاة ضيقـة للوصـول إلـى المرسـى. كنـت فـى أحـد الـزوارق لكـن لـم يكـن لـى عمـل. الحـرارة شـديدة والرجـال يعانـون. «أندرسـون» يقـود زورقـى و بـدلاً مـن أن ينظـم رجالـه كان أكثرهـم تذمـرًا.

ألاحـظ الآن علامـات سـيئة. كان البحـارة يمارسـون عملهـم مـن قبـل بهـدوء و رضـا لكـن مـا أن رأوا الجزيـرة حتـى بـدأوا يتعاملـون فيمـا بينهـم بغلظـة.

«جـون الطويـل» يقـف جـوار الدفـة و يقـود السـفينة. يعلـم كل تفاصيـل المـكان و يتحـرك دون تـردد.

رسـونا فـى المـكان المحـدد علـى الخريطـة، علـى بعـد ثلـث ميـل مـن جزيـرة الهيـكل العظمـى. القـاع مـن الرمـال الناعمـة. ضجـة نـزول الهلـب أفزعـت طيـور الغابـة فأطلقـت صيحاتهـا الغامضـة، ثـم عـاد الهـدوء التـام بعـد لحظـات.

المينـاء محـاط بـالأرض و الأشـجار الكثيفـة تلقـى بغصونهـا إلـى الميـاه العميقـة. الأرض و الأشـجار الكثيفـة تلقـى بغصونهـا إلـى الميـاه العميقـة. الأرض مسـطحة بصفـة عامـة بينمـا قمـم الجبـال تتـدرج فـى البعيـد. يوجـد نهريـن صغيريـن، أو بالأحـرى مجريـين فـى هـذا

المنفى. أوراق الشجر تبدو سامة. لا يمكن رؤية البرارى من السفينة بسبب كثافة الأشجار. لو لم يكن لدينا خريطة لقلنا: لم يصل أحد قبلنا إلى هنا.

لاتوجد أية نسمة و لا يوجد أى صوت سوى تخبط الأمواج بالصخور. مجموعة مختلفة من النباتات تحيط بالمرسى. الطبيب يتشمم الرائحة بتقزز كما لو أنه إشتم رائحة البيض الفاسد. ثم قال:

– لا أعلم شيئًا عن الكنز لكنى واثق من وجود الحمى هنا.

إذا كان سلوك الرجال فظًا فى الزوارق إلا أنه أصبح خطيرًا بعد أن عدنا إلى السفينة. أصبحوا يجلسون فى مجموعات يتحاورون بهدوء. بعد أن كانوا ينفذون الأوامر بنظرة عين أصبحوا يهملون الأوامر. يبدو أن العدوى انتقلت للبحارة الشرفاء. لا يلوم أى منهم الآخر على هذا الإهمال. التمرد واضح تمامًا و قد تهب الثورة فى أية لحظة.

لسنا نحن فقط، شركاء الكابينة، من شعر بالخطر. «جون الطويل» يتجول من مجموعة إلى أخرى و يتجاوب مع الجميع. يعتبر قدوة حسنة للجميع. يلتزم بالواجب و الكياسة. يوزع الابتسامات على الجميع وعندما يتلقى الأمر يأتى على عكازه مبتسمًا و يقول: حسنًا سيدى. و عندما لا يكون هناك عمل ينشد الغنوة تلو الأخرى لمعالجة حالة الضيق المتفشية.

و لأن المخاوف من «جون» نمت الآن اجتمعوا فى الكابينة بعد الظهيرة. قال القبطان للفارس:

– أخشى ثورة الطاقم المفاجئة. نعم سيدى. يتعاملون معى بغلظة. لو أحكمت قبضتى سيتعاملون بإهمال شديد. لو صمت «جون» سيشعر بخطتنا و نفقد نصيبنا. حتى الآن لا أجد إلا رجل واحد أعتمد عليه.

سأل الفارس بسرعة:

– من هو؟

– «جون» يرغب فى تهدئة الأمور أكثر منى و منك. يجب أن نستغل الفرصة بسرعة. سأسمح للرجال بالنزول إلى الأرض الآن. لو نزلوا جميعًا ستصبح السفينة تحت سيطرتنا. لو لم ينزل أحد سنبقى فى الكابينة و يفعل الله ما يريد. لو هبط بعضهم فقط، أرجو أن تنتبه لكلامى سيدى، «جون» سيعيدهم إلى السفينة مثل الخراف.

بدأ تنفيذ الخطة. وزعوا المسدسات و الذخيرة على الرجال الموثوق بهم. ضموا إلينا «هانتر»، «جونسون» و «ردروث» و أخبروهم بكل التفاصيل ثم صعد القبطان إلى السطح و قال:

– أيها الرجال، اليوم شديد الحرارة و نحن مرهقون. نزهة على الأرض لن تضر فى شىء. ستظل سفينتنا هنا، خذوا الزوارق وتجولوا فى الأرض و سنطلق المدافع بعد نصف ساعة لتعودوا إلينا.

كان هؤلاء الحمقى يتعجلون الوصول إلى الكنز. ذهبت الكأبة فجأة و دبت صيحات البهجة تجلجل فى الجبل و ترددت صيحات الطيور البحرية فى المرسى.

كان القبطان حريصًا على البقاء بالقرب منهم للمراقبة لكنه ترك لـ «جون» مهمة قيادة الرحلة الإستكشافية. اختفى «جون» بسرعة و أعتقد أن هذا أفضل. اندفع الرجال إلى الزوارق. حتى الموثوق بهم أصبحوا أكثر حماقة و اندفعوا بينهم. لكن كان هناك من يتحلى بالحذر و يرفض الابتعاد كثيرًا.

تم ترتيب الرحلة على أن يبقى فى السفينة ستة بحارة بينما يرحل ثلاثة عشر مع «جون». هنا أتتنى أول فكرة مجنونة أنقذت حياتنا. طالما أنه ترك على السفينة ست رجال فمن الواضح جدًا أنه يخشى من الاستحواذ عليها. و طالما أنه لن يبقى إلا ستة فقط فمن الواضح أن شركاء الكابينة لن يحتاجوا إلى وجودى جوارهم. وشعرت بالبهجة للنزول إلى الأرض. انزلقت إلى أقرب قارب و لم ينتبه إلىّ إلا رجل الدفة فقال:

- ستأتى معنا يا «جيمى». اخفض رأسك.

كان «جون» فى زورق آخر و عندما سمع ذلك التفت الىّ بسرعة. فى هذه اللحظة ندمت على ما أقدمت عليه.

اندفعت الزوارق تتسابق إلى الشاطئ و كان زورقى هو الأسرع و الأخف و الأكثر تنظيمًا. اقتربنا من الأرض وسط الأشجار الكثيفة بينما زورق «جون» يتبعنا على بعد خمسين قامة. سمعته ينادينى:

- «جيمى»! «جيمى»!

لكنى تظاهرت بعدم سماعه و اندفعت أجرى على الأرض حتى هدنى الإرهاق و توقفت.

●●●

(١٤)

كنت سعيدًا بالفرار من «جون الطويل» و بدأت الاستمتاع لاكتشاف الأرض الجديدة.

عبرت منطقة مستنقعات مكتظة بأشجار الصفصاف و أشجار أخرى أجهلها، إلى أن وصلت منطقة مكشوفة مفروشة بتموجات الرمال لمسافة ميل تقريبًا. يوجد هنا القليل من أشجار الصنوبر وأشجار أخرى ضخمة متشابكة، تشبه البلوط لكن أوراقها فضية مثل أوراق الصفصاف. فى المدى يرتفع الجبل ذو كهوف كثيرة وله قمتين يتلألأن تحت ضوء الشمس.

استمتعت ببهجة الاستكشاف لأول مرة فى حياتى. الجزيرة مهجورة و الرفقاء خلفى، و لا أجد أمامى أى كائن حى إلا بعض الحيوانات. تجولت عشوائيا بين الأشجار. نباتات مجهولة هنا وهناك. بعض الثعابين هنا و هناك، أحدهم يطل برأسه من شق صخرى و هو يصفر كأنه يتغزل ضحيته. لم أشك أبدًا أننى أمام عدو قاتل، انه صوت الأفعى الرنانة الشهيرة.

وصلت إلى غابة طويلة من أشجار البلوط – علمت فيما بعد أنهم يطلقون عليه البلوط الأخضر – غابة من الشجيرات لها فروع متشابكة تبدو مثل القش. الغابة تهبط من تل رملى و تتسع

حتى نصل إلى مستنقع واسع ملئ بالبوص، و على مقربة نجد بعض النهيرات قادمة من المرسى. المستنقع يتمدد تحت الشمس الحارقة و ملامح جبل «المشهد الواسع» تبدو فى البعيد.

فجأة، بين الشقوق حدثت الضجة. صيحة متوحشة من بطة برية، ثم صيحة أخرى ثم ترددت الصيحات فى المكان كله. ثم ظهر سرب ضخم من الطيور المتوحشة يحلق فى السماء. استنتجت إقتراب رفاقى و كان ذلك صحيحًا. سمعت أصوات آدمية ضعيفة من بعيد و الصوت يقترب شيئًا فشيئًا.

إنتابنى الخوف الشديد. إختفيت خلف أقرب شجرة و إلتزمت الهدوء التام.

تعرفت على صوت «جون الطويل» و هو يتحاور مع آخر، ثم سمعت رجلين أو ثلاثة يتحاورون بحماس فى البعيد. لكنى لم أستطع سماع كلمة واحدة.

تقدم رجلان فى عجلة و جلسا. أدركت ذلك ليس لآن الصوت يقترب فقط بل لأن الطيور البرية هدأت شيئًا فشيئًا و عادت إلى أعشاشها فى المستنقع.

فى هذه اللحظة اكتشفت أننى أهمل واجبى. طالما أننى هبطت معهم إلى الأرض، على الأقل يجب التنصت. يجب الإقتراب دون أن يشعرا بى.

استطعت تحديد المكان من صوتهما و من خلال آخر طائر برى. حبوت نحوهما بحرص شديد. لمحتهما خلال فرجة بين أوراق الشجر. «جون الطويل» يتحاور مع رجل آخر من رجال الطاقم.

كانت الشمس ساطعة. خلع «جون» قبعته و وضعها إلى جواره على الرمال، يستحث محاوره الأشقر الذى يتصبب عرقًا. قال له:

- يا ولدى، أنا أقدرك بالذهب.. نعم، الذهب، و يجب أن تتأكد من ذلك! لست سمجًا. هل تعتقد أننى مشغول بمراقبتك؟ تم تنظيم كل شىء. لا تستطيع فعل شىء و لا تستطيع منع أى شىء. أحدثك لأنقذ حياتك. لا أحد من هؤلاء الأوغاد يعلم من أنا؟ هل تعلم من أنا يا «توم»؟

احتقن وجه الآخر بالحمرة و نعق مثل الغراب بصوت مرتجف:

- «جون». أنت عجوز و شريف و تتمتع بالشهرة و بالإضافة لذلك لديك أموال على عكس البحارة الفقراء. و أنت شجاع على ما أعتقد. هل ستقص علىّ عما التقطه من هؤلاء الأوغاد؟ لا! مستحيل. الرب يرقبنى و سيعاقبنى إن أهملت واجبى.

ثم سمعت ضجة بعد أن أدركت أن «توم» أحد البحارة الشرفاء. لاحظت وجود شخص ثالث فى البعيد وسط المستنقع يصرخ و يتبعه شخص آخر. ثم دبت صرخة الهلع. كانت صخور «المشهد الواسع» تتفاعل مع بعضها البعض و تردد الصدى فى

المكان و فرت كل الطيور من أعشاشها ترفرف فى السماء و هى تطلق صرخاتها ثم عاد الصمت و عادت الطيور إلى أعشاشها.

قفز «توم» مذعورًا مثل حصان جامح لكن «جون الطويل» لم يهتز. بقى ثابتًا فى مكانه مستندًا إلى عكازه يتابع محدثه مثل ثعبان يستعد للهجوم. قال «توم» ملوحًا بيده:

- «جون».

أمر «جون» و هو يتراجع إلى الخلف بحماس و دقة:

- اجلس. يجب أن تخضع لأوامرى.

- أنا تحت قيادتك بالفعل.. طباعك السيئة هى ما تجعلك تتخوف منى. لكن أستحلفك بالرب ما سر هذه الضجة؟

ابتسم «جون» دون أن يفقد تركيزه بينما عيناه تتلألأ مثل الزجاج و قال:

- هذه الضجة؟ يبدو أنه «آلان».

الكلمة صدمت «توم» فهب واقفًا فى بطولة:

- «آلان»! أعتقد أن روحه ترقد فى سلام. كان بحارًا جيدًا. بالنسبة لى يا «جون»، رافقتك كثيرًا لكنك لم ترافقه. لو كُتب علىّ الموت مثل كلب إلا أننى سأموت أثناء تأدية واجبى. قتلت «آلان» أليس كذلك؟ اقتلنى أنا أيضًا لو قدرت على ذلك، لكنى أتحداك.

استدار الشاب الشجاع متجهًا إلى الساحل. استند «جون» على فرع شجرة ضخمة و ضربه بعكازه بكل قوة. رفع المسكين ذراعه وهو يصرخ و يتلوى فى ألم.

هل الجرح خطير؟ أعتقد ذلك بسبب شدة صرخته. ربما تكون كسرت رقبته. لكن «جون» لم يمنحه الفرصة للوقوف. هب فوقه برشاقه القرد و طعنه مرتين فى جانبه. من مكانى سمعت تأوهاته.

حتى الآن لم أكن أعرف معنى الغيبوبة، لكنى شعرت بكل شىء يدور حولى. «جون»، الطيور، الجبل و كل شىء يتراقص أمام عينيى و سمعت الأجراس تطن فى أذنى.

عندما استعدت الوعى رأيت الرجل الفظ واقفًا فى ثبات، يرتدى قبعته مستندًا إلى عكازه بهدوء بينما «توم» يتمدد على الأرض. بالنسبة للقاتل لم يكن هناك أية مشكلة. مسح السكين بالأعشاب بهدوء. لم يتغير أى شىء. الشمس مازالت ساطعة على المستنقع و سفح الجبل الرطب لكنى أعجز عن تصديق ما حدث.

صفر «جون» و تردد الصفير فى المكان. لا أعلم ماذا يعنى هذا؟ سيأتون و يكتشفوننى فى مخبأى. قتلوا من قبل اثنان من البحارة الشرفاء. بعد «توم» و «آلان» هل سأكون الثالث؟

تراجعت إلى الجزء الأقل كثافة فى الغابة بسرعة و خفة بقدر ما أستطيع. سمعت النداءات تتردد بين القرصان و أصدقائه ودفعنى الخوف إلى الإسراع. بعد أن خرجت من الغابة جريت بكل سرعتى. لم أفكر فى الاتجاه، كل ما يهمنى هو الهروب من القتلة وكاد الخوف أن يصيبنى بالجنون.

ما الذى سيحدث لو التقونى؟ سيذبحوننى مثل دجاجة؟ هل لم يشعروا بغيابى؟ قُضىّ الأمر. لن أستطيع العودة معهم مع سماع ضربة المدفع. الوداع «إسبانيولا» و الفارس و الطبيب و القبطان. سأموت من الجوع أو ضربات الأشقياء و لا يوجد حل ثالث.

كنت أجرى دون أن يلمحنى أحد حتى وصلت إلى سفح الجبل ذو القمتين. فى هذا المكان أشجار البلوط أقل كثافة لكن توجد أشجار يصل ارتفاعها الى خمسين قدم أو سبعين قدم. و الهواء أكثر صفاء من المستنقع. ثم حدث ما دفعنى إلى التوقف.

●●●

(١٥)

تساقطت الصخور بين الأشجار فى سفح الجبل الصخرى الموحش. التفت و لمحت شبحًا يقفز و اختفى بسرعة خلف شجرة صنوبر. دب، إنسان، أو قرد؟ من المستحيل تحديد هويته. كائن أسود مكسو بالفراء. لم ألمح غير ذلك. ثبت فى مكانى مدهوشًا.

القتلة خلفى و أمامى مخلوق مجهول يتربص بى. بلا شك من الأفضل مواجهة المخاطر المعروفة عن المخاطر المجهولة. «جون» نفسه يبدو أقل قسوة من إنسان الغاب. التفت متجهًا إلى الزوارق.

فى هذه اللحظة هاجمنى الشبح ليقطع طريق العودة. كنت فى غاية الإرهاق و أدركت عجزى عن الفرار بسرعة. الشبح ينتقل من شجرة إلى أخرى برشاقة غزال برى. يسير على ساقيه مثل الإنسان لكن بطريقة غريبة جدًا. محنى الظهر بزاوية تسعين درجة. رغم ذلك من المؤكد أنه إنسان.

تذكرت كل معلوماتى عن آكلى لحوم البشر. لكن فكرة أنه آدمى، حتى لو كان متوحش، طمأنتنى، و استيقظت مخاوفى من «جون». توقفت بحثًا عن أسلوب للتفاهم و فى هذه اللحظة تذكرت مسدسى. إذًا لست أعزل. استجمعت شجاعتى متجهًا إلى إنسان الغاب.

كان يتابع التخفى خلف الأشجار لكنه يتابعنى بحذر شديد. عندما رأنى أتجه إليه كشف عن نفسه متجهًا نحوى. تقدم وتراجع فى تردد و أخيرًا أدهشنى. ركع أمامى و هو يمد يده متوسلاً. سألته:

- من أنت؟

أجابنى بصوت أجش مثل صرير الأقفال الصدأة:

- «بن جان». أنا المسكين «بن جان». نعم، لم أتكلم مع مسيحى منذ ثلاث سنوات.

لاحظت بسرعة أنه أبيض مثلى و ملامحه مألوفة جدًا. بشرته محترقة بلهيب الشمس، شفتاه سوداوتان عيناه زرقاوتان فى وجهه الشاحب جدًا. بالمقارنة مع كل المتسولين الذين رأيتهم فى حياتى أو فى خيالى هو الأكثر بؤسًا. يرتدى ثيابًا رثة. كل هذا البؤس لا يتناسب أبدًا مع زجاجة معدنية، أربطة من الخوص والحبال المعقودة. يلف حول خصره حزام من الجلد يتزين بقطعة نحاسية وهى تقريبًا الشىء المعدني الوحيد فى ثيابه. صرخت:

- ثلاث سنوات! غرقت سفينتك؟

غمغم قائلاً:

- لا يا صديقى.

من هيأته استنتجت حكايته مع القراصنة و المعارك البحرية فى الجزر الموحشة. استكمل قائلاً:

- منذ ثلاث سنوات أعيش على أكل الماعز و الفاكهة و القواقع البحرية. فى ظنى من الممكن أن تعيش فى كل الظروف. لكنى أتطلع إلى طعام مسيحى. قل لى هل معك قطعة من الجبن؟ لا؟ أه! أحلم بالجبن منذ ليالى طويلة، خاصة الجبن المقلى.. ثم أستيقظ من حلمى لأجد نفسى هنا.

قلت له:

- لو كنت أستطيع العودة للسفينة لآتيت لك بالجبن.

أثناء ذلك كان يتلمس ثيابى، يقبل يدى، يتفحص حذائى و فى عينيه بهجة طفولية للقاء بى. لكن مع كلمتى الأخيرة رفع رأسه بدهشة مصطنعة و سأل:

- لو كنت تستطيع العودة للسفينة؟ ما يمنعك من العودة؟

- ليس أنت من يمنعنى. أعلم ذلك.

قال:

- بالتأكيد لا أمنعك! حسنًا.. ما اسمك يا صديقى؟

- «جيمى».

قال ببهجة واضحة:

– «جيمى»، «جيمى».. حسنًا يا «جيمى». كنت أعيش حياة وحشية أخجل أن أقصها عليك. على سبيل المثال، لن تصدق كان لدى أم تقية ترعانى.

– لا أعتقد ذلك.

– مع ذلك كان لدى أم تقية جدًا. كنت ولد مهذب و تقي وتعلمت كل الطقوس الدينية المعقدة بسرعة. هكذا كانت بدايتى. لكن ليس هذا مهمًا، للأسف والدتى التقية علمتنى كل شىء. لكن الإرادة الإلهية أتت بى إلى هنا. تأملت جيدًا كل هذا فى هذه الجزيرة المعزولة و عدت للتقوى. لم يعلموني شرب أى شىء سوى الروم. أقسمت على أن أكون إنسان خير. و أعرف كيف أفعل ذلك. بالإضافة إلى ذلك يا «جيمي»..

لف حول نفسه و قال هامسًا:

– أنا ثرى.

لم أشك فى إصابته بالجنون فى هذه العزلة. و يبدو أنه شعر بشكوكى من تعبيرات وجهى فأكد بكل ثقة:

– ثرى! نعم ثرى! و من الممكن أن أجعلك تنعم بالثراء يا «جيمى». أه! من حسن حظك أنك أول من التقيت به.

مـع هـذه الكلمـات تبدلـت ملامحـه تمامًـا. ضغـط علـى يـدى ورفـع إصبعـه فـى وجهـي مهـددًا و سـأل:

– هيا يا «جيمى»، قل الحق. أليست سفينة «فلان»؟

جأتنـى فكرة جميلة. أصبحت أعتقد أننـى عثرت على حليف فأجبتـه بسـرعة:

– ليسـت سـفينة «فـلان». «فـلان» نفسـه مـات لكنـى سـأخبرك بالحقيقـة كمـا طلبـت منـى.. لدينـا فـى السـفينة الكثيـر مـن بحـارة «فـلان» و هـذا يزعجنـا أيضًـا.

سـألني بسرعة:

– هل معكم رجل بساق خشبية؟

– «جون»؟

– نعم «جون».

– إنه الطباخ و هو أيضًا زعيم.

ضغط على يدى حتى كاد أن يفعصها و قال:

– لـو رآنـى «جـون الطويـل» سيسـلقنى. أعرفـه جيـدًا. لكـن مـا الـذى حـدث معـك؟

تفكرت برهة قبل إجابته ثم قصصت عليه كل التفاصيل وكشفت له عن موقفنا. استمع إلىّ بانتباه شديد ثم ضرب رأسى وقال:

- أنت شاب شجاع يا «جيمى». ألستم جميعًا فى مأزق؟ حسنًا، لا يوجد حل أمامكم إلا التعاون مع «بن جان».. «بن جان» هو الرجل الذى ينقصكم. لكن هل تعتقد أن فارسك سيكون جشعًا.. مع ملاحظة أنكم فى مأزق؟

أكدت له أن الفارس من أكثر الرجال اعتدالاً فقال:

- لا أريد إلا مكانة مناسبة و ملابس نظيفة. لا أريد غير ذلك يا «جيمى». هل سيترك لى نصيبى فى الأموال التي يعتبرها ملكًا له الآن؟

- اطمئن من هذه الناحية. اتفق على أن يحصل كل البحارة على نصيبهم.

ثم سأل فى قلق:

- و رحلة العودة؟

- ستتأكد بنفسك. الفارس رجل محترم و نحن نحتاج مساعدتك.

- ليس كثيرًا.

يبدو أنه اطمأن تمامًا فقال:

– و الآن سأقول لك بعض التفاصيل و أرجو ألا تسألنى عن شىء بعد ذلك. كنت في سفينة «فلان» عندما دفن كنزه هنا و كان معه ستة آخرين.. ستة من البحارة الأشداء. مكثوا على الأرض أسبوع بينما كنا نتأرجح على السفينة القديمة «وارلوس». و فى ذات صباح مشرق لمحنا الإشارة، ها هو «فلان» قادمًا وحيدًا فى زورق صغير و لا يرتدى العصابة الزرقاء. بدا شاحبًا جدًا وعلى وشك الموت. لكن هل مات رفاقه الستة و دفنهم هنا؟ كيف حدث ذلك؟ لم يستطع أى منا تخمين ما حدث. على كل حال كان يقاتل بوحشية فى هذه المعركة. كان «بيلى جونز» هو الأقرب إليه و «جون الطويل» مساعده. سألناهم عن مكان الكنز و كانت الإجابة: اذهبوا إلى الأرض لو كان هذا يروق لكم و ابقوا هناك لكن بالنسبة لرجال السفينة يجب أن يعودوا للبحر من أجل غنائم جديدة. هذا ما قالوه لنا. و بعد ثلاث سنوات كنت أعمل على سفينة أخرى و رأينا هذه الجزيرة فقلت لرفاقى: هنا كنز «فلان»، نهبط الأرض و نبحث عنه. تضايق القبطان لكنهم وافقوا جميعًا على الهبوط إلى الأرض. بحثنا لمدة اثنى عشر يومًا. بمرور كل يوم تصبح معاملتهم لى أسوأ. و فى صباح يوم مشرق عادوا جميعًا للسفينة و قالوا لى: بالنسبة لك يا «بن جان» لديك بندقية و الأشجار حولك، ابق هنا و ابحث عن أموال «فلان» وحدك.

هكذا بقيت هنا ثلاث سنوات يا «جيمى» دون طعام حتى اليوم. لكنى تغيرت كثيرًا عما كنت عليه من قبل.

غمز بعينه و قرصنى و استكمل:

- بلغ كلامى بكل دقة لفارسك يا «جيمى». إن كنت لا تجيد الحديث قل له: أننى أمضيت هنا ثلاث سنوات وحيدًا تحت الشمس الساطعة الحارقة و الأمطار. فى بعض الأحيان كنت أفكر فى الصلاة، و أحيانًا أفكر فى والدتى العجوز، هل مازالت على قيد الحياة؟ لكن فى معظم الوقت كنت مشغولاً بشىء آخر. و بعد أن تخبره بذلك أقرصه كما فعلت معك.

قرصنى بكل ثقة ثم استكمل:

- حاول أن تبدل فكرته عنى. قل له أن «بن جان» إنسان خير وأنه ثرى جدًا، أثرى مما يتخيل. قل له أننى رجل ثرى ذكى.

قلت:

- حسنًا، لا أفهم معظم حديثك و هذا ليس مهمًا لأننى لا أستطيع العودة إلى السفينة.

- نعم، بسبب البلطجى بالتأكيد.. لكن يوجد زورقى الذى صنعته بيدى. أخفيه تحت الصخرة البيضاء. تستطيع المحاولة عندما يحل الظلام.

فى هذه اللحظة جلجلت ضربات المدفع تدوى فى المكان كله فصرخت:

- بدأوا المعركة!

نسيت كل مخاوفى و جريت نحو المرسى بينما الرجل المجهول يجرى جوارى بكل خفة و رشاقة مثل ماعز الجبل. قال لى:

- إلى اليسار، إلى اليسار صديقى «جيمى»! اذهب تحت هذه الأشجار. هناك اصطدت أول ماعز. الماعز لا تهبط إلى هنا الآن، لقد هربوا إلى الجبال خوفًا منى. و ها هى المقبرة. هل ترى التلال؟ آتى للصلاة هنا من حين لآخر، عندما أظن أنه يوم الأحد. لا يوجد هيكل هنا مثل كل الكنائس.

ظل يتابع كلامه و هو يجرى دون أن ينتظر منى أى تجاوب. تتابعت ضربات المدفع بعد فترة صمت طويلة. ثم رأيت على بعد ربع ميل العلم البريطانى يتراقص فوق الغابة...

●●●

(١٦)

هذا ما كتبه الطبيب:

كانت الساعة الواحدة والنصف ظهرًا عندما تحرك الزورقين من «إسبانيولا». القبطان، الفارس و أنا كنا فى الكابينة نتحاور حول موقفنا. مع أول نسمة هواء سننقض على المتمردين الستة الباقين فى السفينة، ثم نفك الحبال و نتجه إلى عرض البحر. لا ينقصنا إلا الريح. اكتمل الموقف تعقيدًا عندما أتى «هانتر» ليخبرنا أن «جيمى» قفز إلى الزورق مع الآخرين متجهًا إلى الأرض.

لم نشك لحظة فى «جيمى» لكننا نخشى على حياته. مع هؤلاء الرجال قد لا نراه مرة أخرى إلا بضربة حظ. صعدنا إلى السطح. الملعب فى حالة غليان. الرائحة الكريهة فى المرسى أصابتنى بالغثيان: رائحة الحمى و الديزونتاريا تملأ أنفى فى هذا المكان البغيض. الأنذال يتسابقون للوصول إلى الأرض. عندما وصلوا رأيناهم يهبطون بسرعة و تركوا رجلين لحراسة الزورقين أحدهما يدعى «ليليبوليرو».

الانتظار يحرق أعصابنا، يجب أن أذهب أنا و «هانتر» إلى الأرض بحثًا عن الأخبار.

كانت زوارقهم اتجهت الى اليمين لكن أنا و «هانتر» توجهنا مباشرة إلى المكان المحدد فى الخريطة. ارتبك الحارسان عند اقترابنا. هب «ليليبوليرو» واقفًا و راح يتحاور مع زميله. هل سيخبران «جون» بوصولنا؟ كل شىء ممكن لكن أعتقد أن لديهما تعليمات محددة و لذلك توصلا إلى البقاء فى هدوء.

يوجد في الساحل تعريجات كثيرة، اختفينا فى هذه التعريجات قبل الهبوط إلى الأرض. نزعت رباطة الصوف الكبيرة من حول رقبتى لأتحرك بحرية و تسلحت بمسدسين مشحونين للدفاع وتقدمت بسرعة و حذر.

قبل أن نتقدم خمسين خطوة وصلنا إلى الحصن.

المكان يتكون من نبع صاف يهبط تقريبًا من قمة الجبل. فوق التل، حول النبع نجد منزلاً خشبيًا ضخمًا يتسع لأربعين رجلاً تقريبًا، و نجد أسلحة قديمة فى واجهة المنزل. حول ذلك مساحة واسعة مخفية بحواجز يصل ارتفاعها إلى ستة أقدام، بلا أبواب ولا نوافذ. رغم متانتها الشديدة إلا أنه يمكن استخدامها بسهولة وبسرعة لإحكام الحصار. الأبراج فى كل الأركان و تكشف كل المكان. لا ينقص المكان أى شىء للمراقبة بدقة و المواجهة المسلحة.

الأهم من وجهة نظرى هو نبع المياه. لدينا فى الكابينة تحصينات جيدة، لدينا كمية من الأسلحة و الذخيرة، كميات من

الطعام و النبيذ الجيد لكن ينقصنا المياه. لم أنتبه لذلك إلا عندما لاحظت شبح الموت يحوم حول الجزيرة. لم تكن أول تجربة عنيفة لى. خدمت من قبل فى قوات دوق «كامبر لاند» و جُرحت كثيرًا فى المعارك. رغم ذلك اقشعر بدنى و تذكرت «جيمى».

لدى خبرات عسكرية كبيرة، كما أننى طبيب. ليس لدينا رفاهية التأجيل فى مهنتنا، لا يجب إضاعة أية لحظة. و لذلك عدت للزورق. و من حسن الحظ أن «هانتر» يجيد التجديف فصعدنا إلى السفينة بسرعة.

رأيت رفاقى صامتين. الفارس شاحب بعد أن اكتشف أن أخطاءه هى التى أوقعتنا فى هذا المأزق أما البحارة الستة فى حالة سيئة. قال القبطان «سموليت» و هو يشير إلى الفارس:

- إنه رجل مبتدئ عديم الخبرة. يفقد وعيه عند سماع الصيحات و ضربات المدافع. و مع ذلك هو من رجالنا.

شرحت خطتى للقبطان و اتفقنا على التفاصيل.

وضعنا العجوز «رودروث» فى الممر الذى يصل الكابينة برجال المقدمة مع ثلاث أو أربع بنادق قديمة مشحونة بالذخيرة و «هانتر» أهبط الزورق بينما «جويس» و أنا حملنا الحقائب بالبارود والبراميل باللحم و الكونياك و الأدوية الأساسية. أثناء ذلك كان الفارس والقبطان يجلسان على سطح السفينة، و كان القبطان يهدد معاونه فقال له:

– سيد «هانتر»، نحن اثنان و مع كل منا مسدسان. لو صدرت أية إشارة غريبة من أى منكم الستة سيموت الشاب الصغير.

دارت محاورة قصيرة بين البحارة الستة ثم اجتمعوا فى المقدمة. يبدو أنهم يرغبون فى مداهمتنا من الخلف. لكن عندما رأوا «ردروث» ينتظرهم فى الممر عادوا إلى السطح بسرعة منكسون رءوسهم. صرخ القبطان:

– إلى الأسفل يا كلاب.

اختفوا داخل السفينة و يبدو أننا انتهينا من مشكلة هؤلاء البحارة الستة.

حملنا القارب و اتجهت أنا و «جويس» إلى الأرض بكل سرعتنا .

هذه الرحلة أربكت الحراس. هب «ليليبوليرو» صامتًا بينما قفز الآخر إلى الأرض و اختفى. اختفينا عن أنظارهما خلف منحنى. يجب تعديل الخطة. «جون» و رفاقه يستطيعون فعل الكثير.

عندما وصلنا إلى نفس المكان السابق فى الأرض بدأنا فى تمويل الحصون. فى أول رحلة كنا ثلاثة معا و وضعنا الطعام تحت الحواجز و تركنا «جويس» للحراسة. وحيدًا لكنه مسلح بست بنادق. عدت أنا و «هانتر» إلى القارب لنعود بحمولة أخرى.

استمرينا فى النقل و التحميل دون التقاط الأنفاس ثم صعد الحارسان إلى الحصون و جدفت أنا بكل سرعتى متجها إلى «إسبانيولا».

المخاطر فى الحمولة الثانية كانت أكبر من الأولى. خصومنا أكثر عددًا لكن لدينا السلاح. كل أعدائنا على الأرض لا يملكون بندقية واحدة و نستطيع إحكام سيطرتنا عليهم قبل أن يستخدموا المسدسات خلال دقائق معدودة.

أصبح الفارس يعانى الوهن الشديد و هو ينتظرنى فى السفينة. تعاون معنا فى التحميل بكل سرعة. اللحم، البارود والبسكويت بالإضافة إلى بندقية و سكين لكل واحد منا، الفارس وأنا، «ردروث» و القبطان.

فى هذه اللحظة انخفض المد و ظهر الهلب. سمعنا الأصوات تأتى من ناحية الأرض و هذا جعلنا نتعجل الأمور أكثر.

«ردروث» ترك مكانه فى الممر و قفز إلى القارب و صرخ القبطان:

- أيها الرجال، هل تسمعوننى؟

لم يجب أحد من الرجال المحجوزين فى المقدمة. عاد القبطان يصرخ:

- أحدثك يا «أبراهام جراى».

لم يجب أحد. قال القبطان بصوت أعلى:

- «جـراى»، غـادرت السـفينة و آمـرك أن تتبعنـى. أعلـم أنـك رجـل شـجاع فـى داخلـك و أعلـم أن أعوانـك ليسـوا غداريـن فـى داخلهـم. أمامـك ثلاثـون ثانيـة لتتبعنـى.

لا يوجد أية إجابة. استكمل القبطان:

- هيـا يـا صديقـى، لا تتـردد. أغامـر بحياتـى و حيـاة مـن معـى مـع كل ثانيـة.

ثـم حدثـت ضجـة شـديدة و قفـز «أبراهـام» مجروحًـا فـى وجهـه. جـرى نحـو القبطـان و قـال:

- تحت أمرك سيدى.

و اتجهنا إلى الأرض ...

●●●

(١٧)

تكملة مذكرات الطبيب:

هـذه الرحلـة الخامسـة كانـت مختلفـة تمامًـا. مـن ناحيـة القـارب محمـل بـوزن ثقيـل. خمسـة رجـال ناضجـين مـن بينهـم ثلاثـة «ترلاونـي»، «ردروث» و القبطـان يتميـزون بجسـد ثقيـل. بالإضافـة الـى البـارود واللحـوم و حقائـب الدقيـق. غاصـت خلفيـة القـارب حتـى دخلـت بعـض الميـاه و ابتلـت ثيابـى قبـل أن نقطـع مسـافة خمسـين ذراعًـا.

مـن ناحيـة أخـرى كان التيـار يتجـه نحـو الغرب ثم الجنوب متجهًا إلـى عـرض البحـر مـن خـلال الخليـج الـذي عبرنـاه فـى الصبـاح. هـذا يعنـى أننـا نبتعـد عـن المـكان المحـدد للرسـو. لـو استسـلمنا للتيـار سـنقترب مـن قـوارب القراصنـة.

كنـت أحـاول التوجيـه بينمـا القبطـان و «ردروث» يجدفـان ثـم قلـت للقبطـان:

- لا أسـتطيع التوجـه للحصـن. المـد يجذبنـا. هـل تسـتطيع التجديـف أقـوى مـن ذلـك؟

أجابني:

- القارب ثقيل. حاول الاقتراب من الحصن بقدر ما تستطيع.

حاولت و رأيت بخبرتى أن المد يقودنا إلى الغرب و لا أستطيع توجيه مقدمة القارب للشرق. أى أننا نبحر بزاوية تسعين درجة عن طريقنا المنشود. أعلنت:

- بهذا الشكل لن نصل أبدًا.

شرح القبطان:

- إن لم نستطع تبديل الاتجاه فلنستسلم للتيار. إن لم نصل إلى المكان المحدد للرسو من الصعب تحديد مصيرنا. من ناحية أخرى الاقتراب من قواربهم مغامرة كبيرة. لو استمرينا فى هذا الاتجاه سيهدأ التيار و هذا يسمح لنا بالعودة إلى الساحل.

قال «جراى» الذى كان يجلس فى المقدمة:

- التيار يضعف بالفعل يا سيدى. من الممكن أن ترتاح قليلاً.

أجابه:

- شكرا يا ولدى، لكن يجب الاستمرار فى التجديف.

فى الحقيقة كنا نتعامل مع «جراى» كما لو أنه أحد رجالنا. وفجأة قال القبطان بصوت حاد:

- المدفع!

توقعت أنه يريد استخدامه فى الحصن فقلت:

- فكرت به لكننا لن نستطيع حمله إلى الارض. و لو فعلنا ذلك من المستحيل أن نعبر به الغابة.

قال القبطان:

- انظر خلفك.

يا للهول! نسينا المدفع الصغير تمامًا و رأيت الأوغاد الخمسة الذين تركناهم على السفينة يلتفون حول المدفع و يرفعون الغطاء. فى هذه اللحظة تذكرت أننا تركنا القذائف فى السفينة. قد تنتهى حياتنا فى لحظة واحدة. صرخ «جراى» فى ذعر:

- «هاندز» كان مدفعجى «فلان».

غامرنا و وضعنا مقدمة القارب فى اتجاه المكان المنشود. من الأفضل الهرب من التيار الشديد و الاقتراب من الأرض ببطء. نجحت فى تحقيق هدفى لكن المخاطر شديدة. هكذا نوجه مقدمة القارب نحو السفينة بدلاً من الخلفية. لم أرى «هاندز» لكنى سمعت إحتكاك القذائف بسطح السفينة. سأل القبطان:

- أيكما أمهر في الرماية؟

أجبته:

- السيد «ترلاونى» بالتأكيد.

قال القبطان:

- سيد «ترلاونى»، هل تستطيع إصابة أحد هؤلاء الرجال؟ «هاندز» لو أمكن.

رفع «ترلاونى» بندقيته بثقة فقال القبطان:

- عليك التصويب بحرص شديد و سنحاول جميعًا الحفاظ على ثبات القارب.

رفع الفارس البندقية على كتفه و اتجهنا جميعًا إلى الناحية الأخرى لتثبيت القارب. كانوا هناك يعملون على تثبيت المدفع بينما «هاندز» يقف خلف الفوهة استعدادًا للقذف. لكن لم يكن لدينا حظ. أطلق السيد «ترلاونى» الطلقة و فى نفس اللحظة خفض «هاندز» رأسه فأصاب شخصًا آخر.

ترددت صرختة ليس فى السفينة فقط ، بل ذهبت إلى الموجودين على الشاطئ فهرولوا يستطلعون الأمر و اتخذوا أماكنهم فى القوارب. صرخت:

- هيا، القوارب تتقدم سيدى.

صرخ القبطان:

- إذًا إلى الأمام بسرعة. لو لم نصل إلى الأرض سنفقد كل شىء.

قلت:

- لا يتقدم إلا قارب واحد سيدى. القارب الآخر يلتف ليقطع طريقنا.

احتج القبطان:

- إنهم يرغبون في الفرار. من السهل مواجهتهم على الأرض. هذا الأمر لا يشغلنى. المهم هو المدفع.

جدفنا بكل طاقتنا رغم الحمولة الثقيلة حتى أصبحنا على مقربة من الأرض، قد نصل بعد ثلاثين أو أربعين ضربة بالمجاديف و ظهر لنا ممر ضيق من الرمال وسط الأشجار. لا نخشى الآن قارب الأعداء لكن يجب الاتصال بأعواننا. قال القبطان:

- أقترح الوقوف قليلاً لإصابة رجل آخر.

لكن من الواضح أن رجالنا لا يرغبون فى التوقف، إنهم لا يرغبون فى تحديد شخصية المصاب الذى يبدو أنه لم يمت. صرخ الفارس:

- احذر!

صرخ القبطان:

- استمر.

«ردروث» و القبطان قاما بتصفية المياه من مؤخرة قاربنا، وفى نفس اللحظة دوت طلقة المدفع. كانت أول ضربة تصل إلى أذنى «جيمي». أين ذهبت الطلقة؟ لا نعلم . لكن أعتقد أنها مرت فوق رؤوسنا و كادت أن تؤدى الى كارثة.

بدأت مؤخرة قاربنا فى الغرق و جلست أنا و القبطان فى المقدمة للحفاظ على الاتزان.

حتى الآن لم تكن الإصابات كثيرة. لا يوجد قتلى و لا نستطيع الوصول إلى الأرض المنشودة. غرق الكثير من طعامنا و فسدت أشياء أخرى. لا يبقى إلا بندقيتين من خمس. بندقيتي أنا والقبطان.

ما ضاعف من مشاكلنا أننا سمعنا الأصوات تقترب من الغابة. فى هذه اللحظة تساءلت عن دورى «هانتر» و «جويس». نعلم أن «هانتر» سيقوم بواجبه لكننا لا نثق كثيرًا فى قدرات «جويس». إنه لا يصلح للحروب.

أخيرًا وصلنا إلى الأرض بعد أن فقدنا الكثير من الطعام والسلاح.

●●●

(١٨)

تكملة مذكرات الطبيب:

وصلنا بسرعة إلى الشريط الساحلى الذى يفصلنا عن الحصن. مع كل خطوة نسمع أصوات القراصنة تقترب ثم سمعنا خبطات فروع الأشجار أثناء عبورهم الدغل.

أدركت أننا لن نتفادى المناوشات الجادة و بدأت التمهيد. قلت:

- يا قبطان، السيد «ترلاونى» رام ماهر. امنحه بندقيتك لأن بندقيته غير جيدة.

استبدلا البنادق. كان السيد «ترلاونى» مازال هادئًا صامتًا منذ بداية المعركة. توقف لحظة ليتأكد من شحن السلاح. لاحظت أن «جراى» أعزل فمنحته خنجرى و راح ينظفه و يشحذ شفرته. هذا جعلنا نشعر بالثقة. هذا يؤكد حسن نية العضو الجديد فى جماعتنا.

بعد خمسين خطوة وصلنا نهاية الدغل و رأينا الحصن أمامنا. صعدنا من وسط الجانب الجنوبى و فى نفس اللحظة ظهر سبعة من المتمردين تحت قيادة «أندرسون» فى الجنوب الغربى.

توقفوا جميعًا مرتبكين. قبل أن يستعدوا للمواجهة أطلقنا النيران عليهم، الفارس و أنا بالإضافة إلى «هانتر» و «جويس» من

الأبـراج. لـم يكـن تصويبنـا دقيقًـا لكنـه فعـالاً. سـقط أحـد الأعـداء والباقـون جـروا دون تـردد و اختفـوا فـى الغابـة.

بعـد إعـادة شـحن السـلاح توجهنـا إلـى الحواجـز و رأينـا عدونـا ممـددًا ميتًـا.

عندمـا هنأنـا أنفسـنا بهـذا النجـاح سـمعنا طلقـات المسـدس تأتى مـن الغابـة. شـعرت بالطلقـة تمـر بالقـرب منـى ثـم تمايـل المسـكين «ردروث» و سـقط مـن أعلـى البـرج. دُهشـنا مـن المفاجـأة و رحـت أنـا والفـارس نطلـق النيـران بعشـوائية، و هـذا يعنـى ضيـاع الذخيـرة دون داع. أعدنـا شـحن سـلاحنا و التفتنـا للجريـح. تفحصـه القبطـان و«جـراى» لكنـي أدركـت مـن أول نظـرة أنـه سـيموت.

أدركـت بسـرعة أن ضرباتنـا العشـوائية لـم تذهـب سـدى لأن أعدائنـا فـروا هاربـين، و سـحبنا الجريـح إلـى داخـل المنـزل الخشـبى.

العجـوز المسـكين لـم يطلـق أيـة صيحـة دهشـة، و لا خـوف و لا شـكوى، منـذ بدايـة رحلتنـا إلـى أن سـقط جريحًـا. كان يقـف شـاهرًا خنجـره فـى الممـر مثـل بطـل إغريقـى قـديم، كان ينفـذ كل الأوامـر بهـدوء. كان يكبرنـا بعشـرين عامًـا، و الآن هـذا التابـع الوفـى يقـدم اسـتقالته.

ركـع الفـارس جـواره و قبـل يديـه و هـو يبكـى مثـل الأطفـال. سـأل الجريح:

- هل سأترككم يا طبيب؟

أجبته:

- «ردروث»، صديقى، ستذهب إلى الوطن السماوى.

- كنت أتمنى استخدام سلاحى مع هؤلاء الأوغاد.

قال الفارس:

- «ردروث»، أرجو أن تسامحنى.

- هل يجوز أن الفارس النبيل يطلب منى السماح؟ على كل حال أسامحك.

بعد لحظة صمت رهيبة طلب منا الاستماع إلى الصلوات. ثم أضاف: أنها العادة سيدى. و بعد لحظات أطلق النفس الأخير.

فتح القبطان صدره و جيوبه و أخرج منها أشياء كثيرة: راية بريطانيا، الإنجيل، لفة من حبل متين جدًا، أشياءً للكتابة، كتابًا عن البحر و لفافة تبغ. ثم راح يجمع بعض الأغصان من شجرة قريبة بمعاونة «هانتر» ليصنع منها سلم خشبى فى الركن و صعد بنفسه إلى السطح و لوح بالراية.

يبدو أن هذا يريحه كثيرًا. نزل إلى المنزل و بدأ جرد مخزون الطعام بدقة دون أن يلقى نظرة على الجثة. بعد الجرد عاد حاملاً راية بريطانية أخرى و رفعها جوار القتيل بكل تقوى ثم قال و هو يفرك يديه:

– لا تتأثر كثيرًا سيدى. كل الأمور ستسير بشكل جيد بالنسبة له. لا يجب أن نتألم لبحار قُتل فى سبيل الواجب. قد لا يكون هذا صحيحًا حسب الدين لكنها الحقيقة.

ثم انتحى بى جانبًا و سأل:

– الحماية ستصل بعد كم أسبوع؟

شرحت له أن الحماية لن تأتى خلال أسابيع بل شهور. لو لم نعد فى نهاية أغسطس سيبدأ «بلاندلى» فى البحث عنا. لن يتحرك قبل و لا بعد الموعد المتفق عليه. ثم أضفت:

– إحسبها بنفسك.

هرش رأسه ثم قال:

– حسنًا سيدى، الحظ يحالفنا حتى الآن لكننا نقترب من المهالك.

سألته:

– ماذا تقصد؟

– من المؤسف أن نفقد هذا المعاون. ما أريد قوله أن لدينا ذخيرة تكفى لكن الطعام ليس كافيًا أبدًا، ليس كافيًا أبدًا.. رغم أن عددنا نقص واحد.

أشار الى الجسد الملقى جوار الراية.

فـى هـذه اللحظـة دوت قذيفـة فـوق سـطح المنـزل و سـقطت بعيـدًا فـى الغابـة. قـال القبطـان:

- الحرب مستمرة! ليس لديكم بارود يكفى، الأوغاد!

الضربـة التاليـة كانـت أكثـر دقـة و سـقطت داخـل الفنـاء و أثـارت سـحابة مـن الرمـال دون إصابـات. قـال الفـارس:

- يـا قبطـان، الحصـن غيـر مـرأى مـن السـفينة. ربمـا يـرون الرايـة. أليـس مـن الأفضـل نزعهـا؟

صرخ القبطان:

- تسقطون رايتى. لا سيدى. أبدًا.

بدأنـا جميعًـا فـى تفهمـه. ليـس مجـرد بحـار شـرس بـل لديـه أراء سياسـية كثيرة.

ظلـوا يقذفـون بالمدفـع طـوال الليـل القذيفـة تلـو الأخـرى. القذائـف تمـر فـوق رءوسـنا أو تسـقط بعيـدًا أو تطيـح بالرمـال فـى الفنـاء. مـن حسـن الحـظ أن القذائـف إبتلـت بالميـاه و لا تصـل إلينـا إلا ضعيفـة. لكـن إحـدى القذائـف أصابـت سـقف المنـزل الخشـبى. ثـم اعتدنـا الضجـة فقـال القبطـان ملاحظًـا:

- رغـم ذلـك لدينـا فرصـة جيـدة. مـن المؤكـد عـدم وجـود أحـد فـى الغابـة أمامنـا. لـم يحـدث أى قـذف مـن الـوادى منـذ فتـرة طويلـة. يجـب أن نأتـى ببقيـة طعامنـا مـن القـارب.

تطوع «جراى» و «هانتر» للقيام بهذه المهمة. تسلحا جيدًا وخرجا لكن فشلت المحاولة. المتمردون أكثر قوة مما نتوقع. كان «جون الطويل» يجلس فى مؤخرة القارب و يستولى على الطعام.

جلس القبطان يكتب تقريره اليومى:

- «سموليت» القبطان، «ليفسى» طبيب الرحلة، «جراى» مساعد نجار، «ترلاونى» مالك السفينة، «هانتر» و «جويس» خدم المالك، من الفلاحين. إنهم الأوفياء من كل طاقم السفينة. اليوم رفعنا الراية البريطانية على المنزل الخشبى فى جزيرة الكنز. «ردروث» خادم المالك قُتل من المتمردين، «جيمي» صبى الكابينة...

فى هذه اللحظة تساءلت عن مصير المسكين «جيمى». ثم أتت صيحة «هانتر» الذي يقوم بحراسة الباب الآن:

- هناك من يستغيث بنا.

ثم سمعت صراخ طلب النجدة:

- يا طبيب، الفارس، القبطان! «هانتر» هل أنتم هنا؟

جريت إلى الباب لأجد «جيمى» يتقدم فى إعياء شديد.

●●●

(١٩)

عودة إلى مذكرات «جيمى»:

عندما لمح «بن جان» الراية جرى و هو قابضًا على ذراعى ثم جلس و قال:

- حتى الآن من المفترض أنهم أصدقائك.

أجبت:

- على الأرجح.

أكد لى:

- اذهب إذًا! اذهب إلى المكان الذى لا يأتيه إلا رجال الثروة الأذكياء. «جون» لا يستخدم إلا راية القراصنة. أنا واثق من ذلك. من المؤكد أنهم أصدقائك. حدثت معركة و انتصر أصدقائك و هم الآن على الأرض فى الحصن القديم الذى شيده «فلان» منذ سنوات طويلة. أه! كان «فلان» يمتلك كأسًا فاخرًا لا مثيل له لشرب الروم. لم يكن يخشى أحدًا إلا «جون».. نعم «جون» يتمتع بهذا الشرف.

قلت له:

- ممكن. أصدقك . لهذا يجب الالتحاق بأصدقائى.

قال «جان»:

– لا صديقى. أنت شاب قوى لكنك مازلت مراهقًا. أنا تعلمت الكثير. أنا لن أذهب إليهم من أجل الروم. لا.. يجب أن أحصل على كلمة شرف من سيدك النبيل. و لا تنسى كلماتي: رجل ثرى.. ثرى أكثر مما تتخيل.. ثم تقرصه..

قرصنى للمرة الثالثة بنفس الطريقة ثم استكمل:

– عندما يحتاج إلى «بن جان» فأنت تعلم مكانى يا «جيمى». نفس المكان الذى التقينا به اليوم. و من سيأتى يجب أن يحمل فى يده راية بيضاء و يأتى وحيدًا.. أه و قل له أن «بن جان» هو الذى أخبرك ذلك.

أجبته:

– حسنًا. أعتقد أننى فهمت . لديك اقتراحات و ترغب فى مقابلة الفارس أو الطبيب، و سنجدك فى المكان المتفق عليه. هل هذا كل شىء.

أضاف قائلاً:

– متى سيكون اللقاء؟ من ساعة الظهيرة حتى الثالثة عصرًا تقريبًا.

– حسنًا. هل أذهب إليهم الآن؟

عاد يلح فى قلق:

- لا تنس. رجل ثرى جدًا و لديه مبررات. لديه مبررات تخصه. هذه أهم نقطة. أنا واثق من ذلك.

كان يحدثنى و هو مازال قابضًا على ذراعى. أكمل:

- أعتقد تستطيع التحرك يا «جيمى». و إذا رأيت «جون» بالمصادفة هل ستبيع صديقك «بن جان»؟ سيحاولون تعذيبك يا «جيمى» لمعرفة الحقيقة.

ثم اندفعت القذيفة تخرق الأشجار حتى سقطت فى الرمال على بعد خمسين قامة منا. فى هذه اللحظة جرى كل منا فى اتجاه مختلف.

ظلت الجزيرة ترتجف بطلقات المدفع لمدة ساعة. كنت أجرى من مخبأ إلى مخبأ محاولاً الاقتراب من الحصن. لكنى لاحظت أن كل القذائف موجهة إليه فاستجمعت شجاعتى و غامرت متجهًا إلى الدغل.

مالت الشمس نحو المغيب و هبت رياح البحر على المرسى. مازال المد مستمرًا حتى ظهر القاع بوضوح. ارتجفت من البرد.

مازالت «إسبانيولا» فى مكانها لكنها الآن ترفع راية القراصنة. ثم انطلقت قذيفة و تردد الصدى فى المكان.

سمعت الصيحات التى تلى الهجوم بالقرب من الحصن. سمعت صوت التحطم و علمت بعد ذلك أنها نهاية مدفعنا الصغير. فى البعيد كانت النيران تدب وسط الأشجار و القوارب تتحرك فى البحر بسرعة. تأملت الموقف بحرص. الرجال الذين رأيتهم فى منتهى الشراسة يغنون الآن مثل الأطفال. من نبرات صوتهم علمت أنهم شربوا.

فى النهاية جريت نحو الحصن. رأيت نفسى بعيدًا جدًا فى الأرض المنخفضة الرملية فى المرسى الذى يفصلنا عن جزيرة الهيكل العظمى. ثم اكتشفت أننى أقرب إلى الغابات المنخفضة. رأيت صخرة شاهقة ناصعة البياض. استنتجت أنها الصخرة البيضاء التى حدثنى عنها «بن جان». هنا يوجد قاربه. قد نحتاجه يومًا ما.

عندما توغلت فى الدغل وصلت إلى خلفية الحصن حيث يوجد دفء الصداقة و الوفاء.

بعد هذه المغامرة تلفت حول نفسى. المنزل مشيد من جذوع أشجار الصنوبر غير المصقول، يتكون من السقف و الجدران والأرضيات متعددة المستويات. الردهة خلف الباب تطل على نبع المياه و يوجد هنا مغسلة غير عادية، المغسلة ما هى إلا مرجل سفينة من الحديد مغروس فى الرمال. لا ينقص المنزل إلا الإطار.

فى إحدى الأركان نجد صخرة ضخمة بدلاً من تمثال العذراء، كما نجد حوض صغير من الحديد الصدء يستخدم بدلاً من المدفأة.

الأرض حول المنزل مزروعة بالخضروات المروية بالأمطار أو الندى. حول المرجل نجد سجادة من زبد الموجات بين الرمال. فى القرب نجد أبراج الدفاع التى يشغلها الآن أصدقائى و هى أقوى وأشد من ناحية البحر.

رياح الليل الباردة تضرب المنزل من كل الجهات بالرمال الصفراء الناعمة التى أصابت أعيننا و أسناننا و وصلت إلى طعامنا. الرمال تتراقص داخل المرجل كما لو كانت مرقة البصل تغلى. يوجد فتحة مربعة فى السقف بدلاً من المدخنة و هى لا تسمح إلا بنفاذ كمية قليلة من الدخان. يتكاثف الدخان المتبقى ويرتفع فى المنزل و بدأنا نعانى من السعال.

بالإضافة إلى ذلك «جراى» المنضم إلينا حديثًا، يربط رأسه بضمادة بسبب إصابته أثناء عزل المتمردين. أما جثة «ردروث» ملقاة بجوار الحائط.

لو بقينا فى الصمت سنسقط فى الحزن، لكن لا يجب أن نخشى ذلك مع القبطان «سموليت». جمعنا أمامه و وزع علينا المهام. الطبيب و «جراى» و أنا فى جانب بينما الفارس، «هانتر» و«جويس» فى جانب آخر. رغم الإرهاق الشديد أرسل رجلين

للعمل فى الغابة المحترقة و اثنين آخرين لحفر قبر «ردروث» والطبيب عين طباخًا. خرجت لحراسة الباب و القبطان نفسه يمر علينا لمتابعة العمل.

من حين لآخر يتجه الطبيب ناحية الباب لالتقاط النفس وليريح عينيه الحمراء من الدخان. يقول لى بعض الكلمات. فى مرة قال لى:

– «سموليت» أفضل منى يا «جيمى». ليست مجاملة.

و فى مرة أخرى بقى صامتًا ثم سألنى:

– هل «بن جان» مثلهم؟

أجبته:

– لا أعلم سيدى. لست متأكدًا من صدقه و نزاهته.

– المخاطر الأقل تأتي من الشرق. عندما نعيش ثلاث سنوات فى جزيرة معزولة لا يمكن أن تتمتع بالصدق و النزاهة أبدًا. هذا ضد قانون الطبيعة. ألا يشتهى الجبن؟

– نعم سيدى، الجبن.

– حسنا يا «جيمى». ألا تلاحظ أنه يتذوق الطعام جيدًا؟ هل رأيت علبتى؟ أنا لا أفتحها إلا نادرًا لأنها تحوى جبن إيطالي شهى! سأمنحها له!

قبل تناول العشاء قمنا بدفن العجوز «رودروث» فى الرمال وبقينا حوله برهة صامتين للصلاة. جمعنا كمية معقولة من الأخشاب و أشعلناها لكن القبطان يعتقد أن الكمية غير كافية. هز رأسه و قال: غداً يجب أن نجمع كمية أكبر. و بعد العشاء اجتمع القادة الثلاثة فى ركن لمناقشة الموقف.

يبدو عليهم الانزعاج لأن الطعام قليل جداً. أملنا الوحيد فى قتل عدد كبير من القراصنة المتخفين فى الغابة و الهاربين إلى «إسبانيولا». أصبح عددهم الآن خمسة عشر بينهما اثنان مصابان، أحدهما الرجل الذى كان يقف جوار المدفع و هو مازال على قيد الحياة. يجب تركيز كل نيراننا على مدفعهم بقدر المستطاع. على كل حال لدينا كمية من الروم و أحوال الجو مناسبة.

قام الطبيب بفحص الأدوية ثم قال:

- إذا قتلونا جميعًا سيستولون على السفينة بكل سهولة ثم يستخدمونها فى القرصنة.

تنهد القبطان فى أسى:

- ستكون أول سفينة تضيع منى.

كنت فى غاية الإرهاق، و بعد أن شربت رحت فى نوم عميق.

استيقظ رفاقى مبكرًا و تناولوا إفطارهم و قطعوا نصف أشجار الدغل و أحرقوا نصف الأخشاب التى معنا. استيقظت على ضجة فقلت:

- كأنني فى البرلمان.

بسرعة سمعت صيحة الدهشة:

- «جون» نفسه!

قفزت بسرعة أفرك عينى و جريت.

●●●

(٢٠)

لمحنا رجلين يقتربان، أحدهما يرفع راية بيضاء و الثانى «جون» نفسه يسير جواره فى هدوء.

كان الوقت مبكرًا جدًا، نرتجف من برودة الصباح. السماء صافية و الشمس تتساقط على أوراق الشجر. مازال «جون» ومرافقه فى منطقة الظلال بين الأشجار، وسط الضباب الكثيف المتصاعد من المستنقعات أثناء الليل. البرد مع الضباب يجعلان الجزيرة رطبة موبؤة. قال القبطان:

- ابقوا فى الداخل يا أصدقائى. عشرة ضد واحد، قد يفترضون سوء النية.

ثم التفت للقرصان و قال:

- توقف مكانك و إلا سنطلق النيران.

صرخ «جون»:

- نطلب الحوار.

كان القبطان يقف خلف ساتر خوفًا من طلقة غادرة. التفت إلينا و قال:

- انتبهوا جيدًا. «ليفسى» اتجه إلى الشمال من فضلك، «جيمى» إلى الشرق، «جراى» فى الغرب. على الجميع أن يشحن سلاحه.

ثم التفت إلى المتمردين و قال:

- و بماذا تطالبون في هذا التفاوض؟

فى هذه المرة أجاب حامل الراية البيضاء.

- إنه القبطان «جون» سيدى. يريد أن يقدم لكم بعض الاقتراحات.

صرخ القبطان:

- القبطان «جون»؟ لا أعرفه. من يكون؟

ثم أضاف ساخرًا:

- قبطان؟ أه! هذه هى البداية!

ثم قال «جون» نفسه:

- إنه أنا سيدى. هؤلاء المساكين اختارونى لأكون قبطان بعد أن هجرتهم (أكد هذه الكلمة برفع صوته). نحن نستسلم لكن دون أى تلاعب لو اتفقنا. كل ما أطلبه منك قبطان «سموليت» هو الوعد أن تتركونى أدخل هذا الحصن و تمنحونى الوقت للخروج من هذا الموقف دون أن تطلقوا النيران.

قال القبطان:

- يا صغير أنا لا أرغب فى الحوار معك. لو كنت تريد الحوار تقدم. لو كان هناك غدر فمن ناحيتكم.

قال «جون الطويل» مبتهجًا:

- هذا يكفى. كلمة منك تكفى. أنت رجل شجاع.

تقدم حامل الراية البيضاء مع «جون». هذا أسلوب تعامل الفرسان على حسب رأى القبطان. لكن «جون» انفجر فى الضحك بغرور و هو يضرب مرافقه ليؤكد أنه أعزل من السلاح. اقترب من العتبة و نجح فى صعود الساتر بعكازه.

فى الحقيقة كنت قلقًا جدًا مما يحدث. مهمتى فى الحراسة تتطلب منى متابعة كل شىء بدقة. تركت موقعى فى الشرق ووقفت خلف القبطان الذى كان يجلس على العتبة يتابع المياه المغلية فى المرجل بثبات. ثم قال بين أسنانه: أهلاً بكم.

ظهر الخوف على وجه «جون» و هو يصعد التل. بسبب تجاعيد المنحدر و جذوع الأشجار و الرمال المبتلة أصبحت حركته ثقيلة مترددة بعكازه. لكنه رغم ذلك تقدم بكل شجاعة و مثل أمام القبطان و قدم له التحية بكل احترام. كان يرتدى أفضل ثيابه: سترة زرقاء مزينة بالأزرار النحاسية و قبعة مجدولة أنيقة. رفع القبطان رأسه و قال:

- ها أنت يا ولدى. أنصحك بالجلوس.

قال «جون»:

- ألن تسمح لى بالدخول يا قبطان؟ البرد قارس هذا الصباح.

أجاب القبطان:

- «جون»! لو تريد أن تكون شريفًا يجب أن تكون الآن فى المطبخ. إما أن تكون طباخ سفينتى - دون شكوى - أو القبطان «جون»، متمرد، وغد، قرصان. و فى هذه الحالة تستطيع الانصراف و لن أقتلك.

قال «جون» و هو يجلس على الرمال حسب الأوامر:

- حسنًا، حسنًا يا قبطان. تضربنى لتعلمنى. هذا كل ما فى الأمر. اخترتم مكان جيد هنا. ها هو «جيمى»، صباح الخير يا «جيمى». أقدم كل احترامى للطبيب. اجتمعتم هنا مثل أسرة جميلة. و هكذا أصرح لكم...

قاطعه القبطان:

- لو لديك شىء تقوله أنصحك بالحديث مباشرة.

- معك حق يا قبطان. الواجب قبل أى شىء. هذا أكيد. لقد قمتم بجولة رائعة بالأمس. لا أستطيع إنكار ذلك. يوجد بينكم

من يجيد التعامل مع القذارة. و لا أنكر أن معظم رجالى مهتزين. هذا كل ما فى الأمر و ربما لهذا جئت لأقدم بعض الشروط. لكن انتبه يا قبطان، الفرصة لا تأتى مرتين . كنا نشدد الحراسة على الروم. ربما تعتقد أننا جميعًا من الأوغاد. لكنى أؤكد لك أننى لم أشرب. فقط كنت فى غاية الإرهاق. لو استيقظت مبكرًا لقاتلت. لم يكن ميتًا عندما اقتربت منه.

قال القبطان بهدوء شديد:

- و ماذا بعد؟

كل ما قاله «جون» يعتبر من الطلاسم بالنسبة للقبطان. لكنها طلاسم متقنة. بالنسبة لى بدأت فى التكهن. تذكرت كلمات «بن جان» الأخيرة. فهمت أنه زار القرصان عندما كان ثملاً. هكذا يضمحل عدد الأعداء ليصبح أربعة عشر.

استكمل «جون»:

- حسنًا، نريد الكنز و سنحصل عليه. هذا رأيى. و أنتم ترغبون فى إنقاذ حياتكم، أعتقد أن هذا رأيكم. اليس معكم خريطة؟

أجاب القبطان:

- ممكن جدًا.

– أه! أعلم جيدًا أن الخريطة معكم . لا يجب أن تكون فظًا مع الناس.. سنقدم لكم خدمات كثيرة.. ما أريد قوله أننا نحتاج الخريطة و لن نؤذيكم، بالنسبة لنصيبى..

قاطعه القبطان:

– هذا لا يهمنى يا ولدى. لا يهمنى إن كنت تعلم هدفك جيدًا، لأنك لن تصل إليه.

ثم نظر إليه بهدوء و هو يشعل غليونه. استكمل «جون»:

– لو «جراى»..

صرخ القبطان «سموليت»:

– كفى! «جراى» لم يقص لى شيئًا و لم أطلب منه ذلك. كل ما أريده أن تنفجر أنت و هو و كل هذه الجزيرة و تتطايرون فى الهواء. هذا ما يجب أن تعلمه يا ولدى عن هذا الموضوع.

هذه الغطرسة الخفيفة جعلت «جون» يهدأ قليلاً فقال:

– قد يكون الأمر جيدًا بالنسبة لى، لكن لا أعرف رأى رفاقى. وطالما أنك تشعل غليونك يا قبطان فمن حقى أنا أيضًا أن أشعل غليونى.

أشعل غليونه و ظل الرجلان يدخنان فى صمت و يتبادلان النظرات من حين لآخر مثل كلاب خزفية. يدخنان و يبصقان. ثم قال «جون»:

– الآن، ستعطوننا الخريطة للوصول إلى الكنز و تكفوا عن مهاجمة البحارة المساكين و مضايقتهم أثناء النوم. أفضل ذلك و لكم الاختيار.. إما أن تعودوا إلى السفينة و فى هذه الحالة أعدكم بالعودة إلى الوطن سالمين، أو إن لم يرق لكم ذلك، بما أن رجالى متوحشين، ستبقون هنا. سنتقاسم الطعام معكم بنسبة متساوية وسأتفاوض مع أول سفينة عابرة لتحملكم. هذا قرار نهائى، و هو الأفضل بالنسبة لكم لأنكم لا تستطيعون البقاء هنا. مستحيل. آمل (رفع صوته) أن يفكر كل البحارة المتواجدين فى أبراج الحراسة فى كلامى. كلامى موجه للجميع.

هب القبطان واقفًا و أفرغ غليونه بيده اليسرى و سأل:

– هل هذا كل ما لديك؟

أجاب «جون»:

– إنها كلمتى الأخيرة. لو رفضتم لن تجدوا منى إلا طلقات البنادق.

قال القبطان:

– حسنًا، دوري فى الكلام. لو آتيتم هنا الواحد تلو الآخر، عزل من السلاح، سأضع الكلبشات الحديدية فى أيديكم وأعيدكم إلى إنجلترا لمحاكمتكم. لو رفضتم ذلك يجب أن تعلم أن اسمى

«ألكسندر سموليت» و قادر على فعل ما أقوله. لن تستطيعوا الوصول إلى الكنز و لا تستطيعوا الإبحار.. لا يوجد بينكم من هو قادر على الإبحار. لن تستطيعوا محاربتنا.. ها هو «جراى» ترك خمسة من أعوانكم. سفينتكم فى مهب الريح يا سيد «جون» وأنتم تستعدون للنزول إلى الأرض و لن تتأخروا فى ذلك. سأبقى هنا ويجب أن تعلم أنها آخر مرة أحدثك كصديق لكن المرة القادمة سأعاملك بأسلوب مختلف. ستجد سلاحى فى ظهرك. يا ولدى اسحب كلامك بسرعة أرجوك.

اكفهر وجه «جون» من الذعر و جحظت عيناه. سحب نفس من غليونه و قال:

- ساعدونى على الوقوف.

قال القبطان فى تحد:

- أبدًا.

صرخ «جون»:

- من يعاوننى على الوقوف؟

لم يتحرك أحد. جاهد ليقف ثم تلقف عكازه و رحل و هو يهدد:

- قبل أن تمر ساعة سأحول أبراجكم إلى كتل من النار. اضحكوا! قبل أن تمر ساعة ستضحكون فى الجحيم. القتلى سيكونوا أكثر سعادة من الأحياء.

رحل مهدداً و هو يدهس الرمال المبتلة حتى وصل إلى حامل الراية البيضاء و اختفيا وسط الأشجار.

●●●

(٢١)

رحل «جون» و القبطان يتابعه بحرص شديد إلى أن اختفى. ثم عاد إلى داخل المنزل و لم يجد إلا «جراى» فقط فى مكانه، ورأينا غضبه لأول مرة. صرخ:

- إلى أماكنكم.

عدنا إلى أماكنا و استكمل غضبه:

- «جراى»، سأدون فى مذكراتى أنك تقوم بواجبك على أفضل وجه. سيد «ترلاونى» تصرفك أدهشنى و أنت أيها الطبيب أرى أنك تتصرف كما لو كنت فى بيتك الفاخر. كنت أفضل أن تظلوا فى فراشكم عن هذه الفوضى.

دار الطبيب لتفقد الثغرات والباقون شحنوا البنادق والمسدسات. الجميع يعمل فى صمت وخجل.

تأملنا القبطان برهة فى صمت ثم قال:

- أصدقائى، تحديت «جون» كما ترون. سيهاجمون قبل أن تمر ساعة واحدة. تعلمون أنهم أكثر عدداً و نحن نحارب مكشوفين. أعاملكم بأدب حتى الآن. سنسحقهم لو أردتم ذلك. أنا واثق من ذلك.

كان يوجد ثغرتان على جانبى الحصن، من الشرق و الغرب، أما من ناحية الجنوب حيث المدخل يوجد ثغرتان و من ناحية الشمال يوجد خمس ثغرات. أعددنا عشرين بندقية لنا نحن السبعة. جمعنا الحطب و وضعنا أربعة مقاعد، واحدة في كل جانب و وضعنا فوق كل منضدة وسائل الدفاع، الذخيرة مع أربع بنادق. فى وسط المنزل رتبنا السيوف. ثم قال القبطان:

- أخمدوا النيران. ذهب البرد و الدخان يضايقنا.

حمل السيد «ترلاونى» السلة الحديدية إلى الخارج و بعثر الفحم. أكمل القبطان:

- «جيمى» لم يتناول إفطاره، خذ طعامك و اتجه إلى مكانك بسرعة يا ولدى، ليس وقت التسكع. «هانتر» وزع المياه على الجميع.

كان القبطان يرتب الخطة و هو يلقى بأوامره. استكمل:

- الطبيب سيشغل الباب، يجب أن تراهم دون أن يروك. ستطلق النيران من الداخل. «هانتر» اتجه إلى الشرق، نعم هناك. «جويس» ابق فى الغرب يا ولدى. السيد «ترلاونى» أنت أفضل رامى، ستذهب مع «جراى» إلى الشمال حيث توجد خمس ثغرات. هنا مكمن الخطر. لو أتوا هنا و هاجموا من موانئنا سيصبح الموقف خطير. «جيمى»، أنت لا تجيد الرماية مثلى، سنبقى هنا لشحن السلاح.

عندما قمنا بهذه الاستعدادات كانت الشمس تسطع على المستنقع و تبدد الضباب. دبت الحرارة فى الرمال بسرعة و وصل الدفء إلى أبراج الحراسة. شمرنا سواعدنا و ثبت كل منا فى مكانه يترقب فى قلق.

مرت ساعة ثم قال القبطان:

- اللعنة! هل سننتظر كثيرًا؟

مع هذا الاعتراض ظهرت أول بوادر الهجوم. سأل «جويس»:

- أسف سيدى، لو رأيت أحد أطلق عليه النيران؟

أجاب القبطان فى ضيق:

- هذا واجبك!

قال «جويس» بأدب شديد:

- شكرًا سيدى.

لم يحدث شىء حتى الآن لكن هذا الحوار السريع دفعنا جميعًا للانتباه بينما القبطان يقف أعزل وسط أبراج الحراسة يضغط على أسنانه.

مرت لحظات ثم أطلق «جويس» النيران. ثم دوت الطلقات من كل مكان إلى المنزل الخشبى لكن لم تستطع أية طلقة اختراق

المنـزل. بعـد أن تبـدد الدخـان ظهـر الدغـل هادئًـا مهجـورًا أكثـر مـن ذى قبـل. لا يتحـرك غصـن شـجرة و لا أيـة طلقـة تـدل علـى وجـود الأعـداء. سـأل القبطـان:

– هل أصبته؟

أجاب «جويس»:

– لا سيدى. لا أعتقد.

غمغم القبطان:

– أعتقـد أنـك تقـول الصـدق. «جيمـى» اشـحن سـلاحه. كـم طلقـة أتـت مـن ناحيتـك يـا طبيـب؟

أجاب الطبيب:

– أسـتطيع تحديدهـم بدقـة. ثـلاث ضربـات مـن هـذه الناحيـة. رأيت ثلاث ومضات، اثنتان متقاربتان جدًا و الثالثة فى اتجاه الغرب.

استفسر القبطان:

– ثلاثة! و كم من ناحيتك يا سيد «ترلاونى»؟

لـم تكـن الإجابـة واضحـة. هنـاك الكثيـر فـى اتجـاه الشـمال.. سـبعة علـى حسـب رأى الفـارس، ثمانيـة أو تسـعة حسـب رأى «جـراى». مـن الواضـح أن الهجـوم يأتـى مـن الشـمال. لكـن القبطـان

«سمولیت» لم یغیر شیئًا فی خطته. لو أن المتمردین هاجموا سنهاجم من کل أبراج الحراسة و نصطادهم مثل الفئران. مع ذلك لم یمهلونا الفرصة للتفکیر. اندفع القراصنة فی الدغل من ناحیة الجنوب متجهین إلی الحصن مباشرة. فی نفس اللحظة، من خلف الأشجار، أتت طلقة تخترق المدخل و أصابت بندقیة الطبیب.

قفز المهاجمون مثل القرود فوق السیاج و اندفع الطبیب و «جرای» یطلقان النیران و سقط منهم ثلاثة، أحدهم سقط فی الداخل و اثنان بالخارج و ظهر الرابع مفزوعًا و جری إلی الأشجار.

اثنان من الأعداء زحفا علی الرمال و هرب واحد، و نجح أربعة رجال فی الاقتراب من الحصن. لجأ إلی الداخل سبعة أو ثمانیة، ومن المؤکد یحملون بنادق کثیرة. أطلقوا النیران علی المنزل الخشبی لکن دون إصابات.

الأربعة الذین اقتربوا جروا نحو الحصن و هم یصرخون وتجاوب معهم المتخفین خلف الأشجار لتشجیعهم. کانوا یطلقون النیران بعشوائیة. و فی لحظة خاطفة صعد القراصنة الأربعة التل و أصبحوا فوق رءوسنا.

ظهرت رأس «اندرسون» فی ثغرة الوسط و صرخ بصوت کالرعد:

- لتعلموا جمیعًا، استولینا علی المکان.

فـى نفـس اللحظـة انتـزع أحدهـم البندقيـة مـن يـد «هانتـر» وأطلـق النيـران عليـه و تمـدد الشـاب الصغيـر علـى الأرض جامـدًا. وفـى نفـس اللحظـة ظهـر قرصـان آخـر فـى الردهـة رافعًـا السـكين وهجـم علـى الطبيـب.

تبـدل الموقـف تمامًـا. منـذ دقيقـة واحـدة كنـا نطلـق النيـران مـن مخبأنـا و الآن أصبحنـا بـلا حمايـة و عاجزيـن عـن الدفـاع.

امتـلأ المنـزل الخشـبى بالدخـان الـذى قـد يشـكل حمايـة لنـا. دبـت صرخـات الفـزع مـع طلقـات المسدسـات ثـم أمـر القبطـان:

- إلى الخارج يا رجال، حاربوا بالسيوف فى الهواء الطلق.

خطفـت السـيف و جريـت. شـعرت بشـخص مـا يتبعنـى عـن قـرب ورأيـت أمامـى مباشـرة، تحـت التـل، الطبيـب يدفـع أحـد المهاجمـين. قـال القبطـان:

- لف حول المنزل يا ولدى. لف حول المنزل.

تكهنـت وجـود أعـداء بالخلـف. اتجهـت إلـى الشـرق شـاهرًا السـكين فوجـدت نفسـى فـى مواجهـة «أندرسـون» نفسـه رافعًـا فأسـه يتـلألآ تحـت ضـوء الشـمس. هاجمنـى بصرخـة مدويـة. لـم يكـن لـدى وقـت للشـعور بالخـوف، قفـزت بسـرعة إلـى الرمـال المبتلـة وتدحرجـت حتـى أسـفل المنحـدر.

منذ أن خرجت من الباب كان بقية المتمردين يصعدون العتبة ليصلوا إلينا. أحدهم يرتدى قبعة حمراء و يعض على السكين بأسنانه. تمكن من الوصول إلى أعلى. عندما استعدت توازنى رأيت الآخر يتبعه. دارت معركة خاطفة فى هذه اللحظة و كان النصر حليفنا.

«جراى» الذى كان يتبعني طعن قائد الطاقم و الرجل الآخر سقط برصاصة و تمدد على الارض و فى يده مسدسه. و الطبيب تمكن من اصطياد الثالث. لم يبق سالمًا إلا واحد من الأربعة الذين تسلقوا العتبة. لقد ترك سيفه فى ميدان المعركة و فر هاربًا خائفًا. أمر الطبيب:

- النيران! أطلقوا النيران من المنزل! و أنتم يا رجال عودوا إلى مخبأكم.

لكننا لم نسمع شيئًا. لا أحد يطلق النيران و آخر مهاجم فر هاربًا إلى الدغل مع الآخرين. فى خلال ثلاث ثوانى سقط من المهاجمين خمسة رجال، أربعة فى الداخل و الخامس خارج الحصن. الطبيب، «جراى» و أنا جرينا للاختفاء. المهاجمين قد يعودوا لاسترداد بنادقهم فى أية لحظة.

فى المنزل كان الدخان قد تبدد قليلاً و أدركنا ثمن النصر. «هانتر» يتكوم أمام ثغرته، «جويس» أمام ثغرته مُصاب بطلقة فى

رأسه. فى وسط المنزل الفارس جوار القبطان شاحبين. قال لنا سيد «ترلاونى»:

- القبطان مُصاب.

سأل «سموليت»:

- هل هربوا؟

أجاب الطبيب:

- لا يستطيعون فعل شىء. و قتلنا خمسة.

هتف القبطان:

- خمسة! تقدم مذهل. فقدوا خمسة و فقدنا ثلاثة. هكذا أصبحنا أربعة ضد تسعة. الموقف أفضل الآن، كنا سبعة ضد تسعة عشر.

●●●

(٢٢)

لم يعد المتمردين، لم تصلنا أية طلقة. أخذوا جرعة اليوم، على حسب تعبير القبطان. توفر لدينا الهدوء الكافى لمعالجة الجرحى وتحضير الغداء. طالما أن الخطر بعيد بدأ الفارس معاونتى فى المطبخ الخارجى. لكننا نعمل بقلق و حذر و نستمع الى تأوهات الجرحى.

من الثمانية الذين سقطوا فى المعركة لا يبقى على قيد الحياة إلا ثلاثة فقط. القرصان الذي هاجم الثغرة، «هانتر» والقبطان «سموليت». الأولان فى حالة خطيرة، المتمرد يتألم تحت يد الطبيب الذى يضمد جراحه. «هانتر»، رغم كل رعايتنا له يفقد الوعى، يتنفس بصعوبة شديدة، عظام صدره محطمة بإحدى الطلقات بينما رأسه محطم من السقوط. فى اليوم التالى، دون أية كلمة ولا أية حركة عاد إلى خالقه.

بالنسبة للقبطان جراحه عميقة لكنها ليست خطيرة. مُصاب فى كل أعضاء جسده. طلقة «أندرسون»، و هي أول طلقة، أصابت كتفه و وصلت إلى الرئة لكن الإصابة سطحية. الطلقة الثانية مزقت عضلات ساقه. أعلن الطبيب أنه يمكن علاجه بشرط الالتزام بالراحة لعدة أسابيع و عدم الحديث إلا عند الضرورة.

بعد الغداء اجتمع الفارس و الطبيب جوار فراش القبطان للتحاور. فى ساعة الظهيرة أخذ الطبيب قبعته و مسدساته وتسلح بسيفه. وضع الخريطة فى جيبه وعلق البندقية على كتفه و خرج متجهًا إلى الشمال مخترقًا الأشجار بخطوات سريعة.

لأننى كنت بصحبة «جراى» فى أبراج الحراسة لم أسمع ما دار بين القادة. دُهش «جراى» و سحب غليونه و نسيه تمامًا و قال:

– هل جُن الطبيب؟

أجبته:

– لا أعتقد. أنه آخر رجل يُصاب بالجنون.

عاد «جراى» يقول:

– حسنًا يا صغيرى، ربما أكون مخطئًا، لكن إن لم يكن مجنونًا سأُصاب أنا بالجنون.

فسرت له:

– أعتقد لديه فكرة محددة. على حسب ظنى سيذهب الآن لمقابلة «بن جان».

صدق ظنى، حسب ما علمنا بعد ذلك. لكن أثناء الانتظار كانت الحرارة شديدة فى المنزل و الرمال تحترق فى الخارج تحت لهيب الشمس، و بدأت تراودنى أفكار بعيدة تمامًا عن الصواب.

بـدأت أحسـد الطبيـب علـى التجـوال بحريـة تحـت ظـلال الأشـجار مسـتمتعًا بتغريـد العصافيـر و رائحـة الصنوبـر بينمـا أنـا أعانـى الحـرارة مبتـلاً بالعـرق وسـط رائحـة الـدم المنبعثة من كل هـذه الجثث الحزينـة. استحوذت علىّ هـذه الفكرة كثيـرًا حتى شعرت بالخوف.

كنـت أفكـر فـى هـذا أثنـاء تنظيـف بـرج الحراسـة و غسـل أوانـى الطعـام. حسـدى عليـه ينمـو حتـى وجـدت نفسـى جـوار حقيبـة الخبـز ولا يرانـى أحـد. قمـت بالخطـوة الأولـى فـى طريـق الهـرب بمـلء جيوبـى بالبسـكويت.

قـد تعتقـدون أنهـا حماقـة، و بالتأكيـد أرتكـب عمـلاً جنونيًـا، لكنـى عزمـت علـى اسـتكمال رغبتـى حتـى النهايـة. هـذا الخبـز يمنعنـى مـن المـوت جوعًـا حتـى مسـاء الغـد.

تسـلحت بمسدسـين و علبـة بـارود و بعـض الطلقـات. أعتقـد هـذا التسـليح مناسـب جـدًا.

خطتـى ليسـت سـيئة. كنـت أخطـط لعبـور الرمـال التـى تفصـل المرسـى عـن عـرض البحـر فـى اتجـاه الشـرق، حتـى أصـل الـى الصخـرة البيضـاء التـى لمحتهـا بالأمـس و لأتأكـد بنفسـى مـن وجـود القـارب الـذى حدثنـى عنـه «بـن جـان». هـذه المعلومـة تسـتحق المغامـرة علـى مـا أعتقـد. و لأنهـم لـن يسـمحوا لـى بالخـروج فمـن الأفضـل طلـب فتـرة راحـة وأخـرج دون أن يلمحنـى أحـد. و أعلـم جيـدًا أنهـم سـيغضبون منـى فيمـا بعـد.

كانت كل الظروف مناسبة. الفارس مشغول مع «جراى» فى تغيير ضمادات القبطان. الطريق مفتوح أمامى. انطلقت مثل سهم وذهبت إلى الأشجار الكثيفة. عندما لاحظ رفاقى غيابى كنت قد ذهبت بعيدًا. لم أترك إلا رجلين قادرين على حراسة المكان لكنى اعتمدت على حالة الهدوء الراهنة.

هنا ارتكبت عملاً أكثر جنونيًا من السابق. اتجهت مباشرة إلى الساحل الشرقى للجزيرة بدلاً من الرمال جوار البحر وذلك حتى لا يلمحنى أحد من المرسى و هربًا من حرارة الشمس الشديدة. فى هذه اللحظة سمعت الرياح و تخبط الأشجار مما يعنى أن رياح البحر أصبحت أشد من المعتاد. و بعد عدة لحظات وصلت إلى مكان مكشوف وسط الدغل و رأيت البحر الممتد حتى الأفق والموجات تتحطم على الشاطئ.

البحر يتمدد بهدوء حول جزيرة الكنز، الشمس ساطعة والمياه زرقاء صافية رغم الرياح المهددة طوال الليل و النهار و تضرب كل مكان فى الجزيرة.

البحر يتمدد خلفى و أمامى المرسى. بدأت الأمواج ترتفع قليلاً و هبت الرياح خفيفة و مضطربة، تهب من الجنوب إلى الجنوب الشرقى و تحمل معها السحب البيضاء. لكن بما أن المرسى فى حماية جزيرة الهيكل العظمى فالبحر هنا مازال هادئًا مثل يوم وصولنا.

رأيت أحد الزوارق تحت قيادة «جون» – أعرفه جيدًا – كان بصحبة رجلين فى مؤخرة القارب، أحدهما يرتدى قبعة حمراء وهو نفس الرجل الذى لمحته يهاجم الحصن منذ عدة ساعات. لكن من هذه المسافة – أكثر من ميل – لم أستطع سماع أية كلمة. و فجأة صرخوا بوحشية.

ما أن وصلوا حتى اختفى ذو القبعة الحمراء بصحبة الآخر عن طريق السلم الخشبى.

فى نفس اللحظة مالت الشمس خلف جبل «المشهد الواسع» وتكاثفت السحب بسرعة و بدأ الظلام الخفيف. ليس لدى وقت لأضيعه لو أردت اكتشاف القارب الليلة.

الصخرة البيضاء واضحة جدًا وسط الأشجار، تبعد مائتى قامة عن الشاطئ. لا أحتاج إلا لحظات للوصول إليها، أحبو على أربع حتى لا يرانى أحد. كان الليل على وشك الهبوط عندما لمست سطحها الخشن. تحتها حفرة صغيرة حيث الأعشاب ترتفع لتصل إلى ركبتى. في وسط الحفرة نجد خيمة صغيرة من جلد الماعز مثل خيام الغجر فى إنجلترا. رفعت رأس الخيمة و رأيت قارب «بن جان». بدائى جدًا، يتكون من ألواح الشجر الملتوية، مكسو بجلد الماعز من الداخل. صغير جدًا بالنسبة لى و لا أعتقد أنه يتسع لشخص ناضج إلا بصعوبة شديدة. يحتوى على قطعتين من الخشب للتجديف.

فى هذه الفترة لم أكن قد رأيت سفن البريطانيين القدماء، لكن عندما شاهدتها بعد ذلك لاحظت التشابه الكبير مع قارب «بن جان» و لا يمكن صنع أفضل من ذلك بالإمكانيات البسيطة المتاحة. لكنه قارب خفيف و يمكن حمله بسهولة.

بعد أن عاينت القارب أعتقد يجب العودة و الإعلان عن اكتشافى، لكن دبت فى رأسى فكرة أخرى لأسعد القبطان «سموليت». التسلل إلى «إسبانيولا» فى جنح الظلام و فكها. لاحظت أنهم تركوا الحراسة دون قوارب و لذلك من السهل القيام بهذه المهمة دون مخاطر.

أكلت طعامى منتظرًا حلول الظلام. إنها ليلة ميمونة. الضباب يغطى كل السماء الآن، الظلام التام يحيط بجزيرة الكنز. حملت قارب «بن جان» الصغير و لم ألمح فى كل المرسى إلا نقطتين فقط.

إحداهما على الشاطئ حيث يجتمع القراصنة يتحاورون والأخرى فى هلب السفينة و لا يوجد أى ضوء على السفينة إلا فى الكابينة فقط، و هو الذى ينعكس على الهلب.

انخفض المد منذ فترة. تقدمت على الرمال الناعمة و غاصت أقدامى عدة مرات قبل الوصول إلى البحر.

●●●

(٢٣)

يبدو أن القارب البدائى الصغير صنع خصيصًا من أجلى، يتناسب تمامًا مع طولى و وزنى. متين، يسهل حمله و الإبحار به. لكنها كانت رحلة صعبة جدًا. القارب صعب التوجيه، يلف حول نفسه دائمًا. «بن جان» نفسه اعترف بصعوبة قيادته قبل التعود عليه.

و أنا لست معتاد عليه أبدًا. يدور فى كل الاتجاهات إلا الاتجاه الذى أرغب به. من المؤكد أننى ما وصلت إلى السفينة إلا بفضل المد. من حسن الحظ أن المد هو الذى دفعني إلى هناك.

تبدو السفينة بقعة سوداء معتمة مثل القبور. ثم لمحت الأشرعة و المطبخ. دفعنى التيار إلى جوار الحبال.

الحبال التى تربط السفينة بالهلب ضخمة جدًا. فى العتمة تدور المياه حول نفسها فى دوامات مخيفة. همست فى نفسى: بضربة سكين سترحل «إسبانيولا» مع المد.

هذا أمر رائع لكن الحبال كثيرة و متشابكة. عشرة حبال تقريبًا و فى كل الاتجاهات. لو قطعتها كلها دفعة واحدة قد تدور «إسبانيولا» بعنف و تغرقنى فى قاربى البدائى. في هذه اللحظة بدأت أفكر فى التراجع.

الرياح الخفيفة التى كانت تهب من الجنوب و الجنوب الشرقى بدلت الاتجاه بعد هبوط الليل و تهب الآن إلى الجنوب الغربى. دارت «إسبانيولا» متجهة ضد التيار. ابتهجت عندما شعرت بالحبال فى قبضة يدى.

سحبت السكين و فتحته بأسنانى و قطعت تفرعات الكابل حتى لم يبق إلا فرعين فقط يربطان السفينة. يجب انتظار الرياح المناسبة قبل قطع هذين الرابطين.

فى الانتظار سمعت ضجة فى الكابينة لكنى فى الحقيقة كنت أفكر فى أشياء أخرى كثيرة. لم أفكر فى التنصت لكنى استمعت رغم أنفى.

أحدهما هو «هاندز» نفسه الذى كان مدفعجى «فلان» والثانى، على ما أعتقد، قد يكون ذو القبعة الحمراء. الرجلان يعانيان السكر. رأيت أحدهما يفتح النافذة و يلقى بزجاجة فارغة. يبدو أنهما فى حالة غضب. تداخلت أصواتهما و لم أستطع تمييز شىء.

فى الأرض، وسط أشجار الساحل، رأيت شعلة بقية القراصنة. أحدهم ينشد أغنية بحرية حزينة سمعتها كثيرًا أثناء رحلتنا وأذكر منها هذه الكلمات:

لم يجدوا إلا واحدًا فقط من الطاقم المكون من خمسة وسبعين.

أعتقد فضلوا هذه الأنشودة اليوم بسبب خسارتهم المعركة فى هذا الصباح. لكنى لاحظت أن كل هؤلاء القراصنة لا يعلمون حقيقة البحر.

أخيرًا هبت النسمات و اقتربت مقدمة السفينة منى. شعرت بالحبل رطبًا بين يدي و قطعت آخر وصلة.

لم يكن تأثير الرياح شديدًا على قاربى و بدأت « إسبانيولا » تدور ببطء مستسلمة للتيار. دفعت نفسى للخلف و شعرت بالارتياح للتخلص من هذه الصحبة. لكن فى اللحظة الأخيرة اكتشفت أحد الحبال مشتبكًا بقاربى. حاولت الوقوف و النظر من نافذة الكابينة وكنت على وشك السقوط فى أية لحظة.

دارت السفينة بسرعة كبيرة محدثة دوامات فى المياه. كيف لا يشعر الحارسان بما يحدث. بنظرة واحدة أدركت الموقف. «هاندز» وصديقه يتشاجران ثم سمعت الأنشودة التى أعلمها جيدًا:

كنا خمسة عشر فوق النعش

يوهوهو! و زجاجة الروم

الشراب و الشيطان يرسل الآخرين

يوهوهو! و زجاجة الروم.

فهمت الآن كيف يكتمل عمل الشيطان مع الشراب داخل الكابينة. فى هذه اللحظة بدلت السفينة الاتجاه و زادت سرعة التيار.

لم أستطع فك الحبال التى تربطنى بالسفينة. أرى أشرعتها تتمايل فى السماء السوداء و عندما تأملت الاتجاه بحذر تأكدت أنها تتجه نحو الجنوب.

استدرت أرقب الأرض و قلبى يقفز هلعًا. نيران معسكر القراصنة تبتعد. التيار يجذبنى بسرعة إلى السفينة المتجهة إلى عرض البحر.

ثم انحرفت فجأة بزاوية عشرين درجة تقريبًا و فى نفس اللحظة سمعت صيحات الإستغاثة فوق سطح السفينة. أدركت أن السكارى استعادا الوعى.

تمددت داخل قاربى البائس و استودعت نفسى للرب. الرياح تشتد من حين لآخر و هذا ما ساعد على حل المشكلة دون أن أدرى.

من المرجح أننى بقيت لمدة ساعات فى هذا القارب. هدنى الإرهاق و رحت فى النوم أحلم ببلدى و فندق «بنبو».

●●●

(٢٤)

كنا فى وضح النهار عندما استيقظت و رأيت نفسى أبحر على الطرف الجنوبي من جزيرة الكنز. الشمس ساطعة لكنها مختفية بالنسبة لى خلف جبل «المشهد الواسع» و هو ينحدر من هذه الناحية نحو البحر مشكلاً شقوق رائعة.

قمتا «بولين» و«أرتيمون» قريبتان جدًا. القمة الرمادية متصلة بهاوية يصل ارتفاعها إلى أربعين أو خمسين قدمًا، محفوفة بالكثير من الصخور المنهارة. كنت على بعد ربع ميل تقريبًا فى عرض البحر. أول ما فكرت به هو التجديف للوصول إلى الأرض.

لكنى تراجعت عن ذلك بسرعة. الصخور تهدر بعنف و هى تتساقط فى تتابع مستمر. لو غامرت بالاقتراب سأموت على هذا الساحل الوحشى، و إن وصلت لن أستطيع تسلق هذه الصخور المنهارة.

ليس هذا كل شىء، لمحت وحوش رخوية ضخمة و صيحاتها تتردد فى المكان.

علمت بعد ذلك أنها أسود البحر و هى ليست متوحشة. لكن ضخامتها وعنفها أثارت مخاوفى. الموت فى البحر أفضل من أن تلتهمنى هذه الوحوش.

رغم ذلك أمامى فرصة جيدة، على ما أعتقد . فى شمال جبل «بولين» توجد مساحة معقولة على الساحل، المد هناك منخفض حتى أننى ألمح رمال القاع الصفراء. و إذا اتجهنا إلى الشمال أكثر نجد صخرة شاطئية، على حسب الخريطة، مكسوة بالصنوبر الأخضر.

تذكرت كلمة «جون»: التيار يتجه نحو الشمال بمحاذاة الشاطئ الغربى لجزيرة الكنز. على حسب موقعى الآن يجب أن تكون قمة «بولين» خلفى و أحتفظ بقوتى للوصول إلى رأس الغابة.

الريح تنساب هادئة على صفحة البحر متجهة إلى الجنوب، لا توجد أية اضطرابات بين الريح و الموج المنخفض.

على كل حال، كان من المفترض أن أهلك منذ فنرة طويلة، لكنى أرى قاربى الخفيف ينساب بسهولة. عندما أرفع رأسى مستكشفًا المكان أرى راية زرقاء كبيرة ترتفع، و هى قريبة منى بشكل مخيف. لكن قاربى يقفز بخفة، يتراقص مع الأمواج، يتجه إلى الشاطئ بخفة عصفور.

بدأت التجديف دون تردد لكن أقل حركة ترجف قاربى الصغير. نجحت فى الاتزان بصعوبة و انساب القارب مع الموجة التالية.

جدفت بكل قوتى و يبدو أن الحماسة انتقلت للقارب الذى قادنى بين الأمواج بسهولة أكثر من ذى قبل. من الواضح أنه يجب

ألا أتدخل فى حركته لكن فى هذه الحالة كيف يكون لدى أمل للوصول إلى الأرض؟

داهمنى الذعر و رغم ذلك مازلت أحتفظ بالهدوء. أتحرك بحرص شديد. بدأت فى دراسة الموقف لتوجيه القارب إلى الأرض بهدوء.

لاحظت أن تموجات المياه تبدو متشابهة مع تموجات السلاسل الجبلية على الأرض. القارب ينساب من تلقاء نفسه و يتأرجح من جانب لآخر، يتجه إلى الأماكن المنخفضة بين الأمواج و يتجنب قمة الأمواج المرتفعة.

قلت فى نفسى: من الواضح أنه يجب الثبات فى مكانى للحفاظ على التوازن، و يجب أيضًا التدخل بالتجديف من حين لآخر فى أماكن محددة للوصول إلى الأرض. تأكدت من صدق ظنى و بدأت تنفيذ خطتى.

العمل مرهق و ممل، أقترب من الأرض و من رأس الغابة لكنى أبتعد عن القمة. القارب يتجه إلى الشرق. أرى قمم الأشجار، أرى الأوراق الخضراء الطازجة تتمايل مع نسمات الهواء و تأكدت من قدرتى على الوصول للأرض قريبًا.

بدأ الظمأ يصيبنى بالدوار، الشمس ساطعة و تعكس أشعتها على الموجات، مياه البحر تتساقط على جسدى و تجف حتى

شعرت بالملوحة فى فمى. جف حلقى و تصدعت رأسى. مشهد الأشجار القريبة يدفعنى للتعجل لكن التيار يجذبنى بعيدًا ثم لمحت شيئًا جعل كل مشاكلى تتغير.

أمامى على بعد نصف ميل تقريبًا رأيت أشرعة «إسبانيولا». أخشى من القبض علىّ و أخشى الظمأ و لا أعلم إن كنت سأصل إلى الأرض. قبل أن أصل إلى حل داهمتنى المفاجأة تمامًا.

كانت «إسبانيولا» ترفع كل أشرعتها بكل ثقة، تتلألأ مثل سحابة بيضاء أو قطعة فضية. عندما لمحتها كانت تتجه نحو الشمال الغربى و استنتجت أنهم يلفون حول الجزيرة للعودة إلى المرسى. ثم بدأت تتجه للغرب أكثر فأكثر و هذا جعلنى أعتقد أنهم لمحونى و يرغبون فى القبض علىّ. لكنها فى النهاية سقطت فى قبضة الريح الذى دفعها للخلف و وقفت ثابتة برهة.

قلت فى نفسى: الموقف حرج، يالهم من أغبياء. و تذكرت كيف كانوا يعملون تحت قيادة القبطان «سموليت».

مع ذلك تأرجحت السفينة قليلاً ثم عاودت الإبحار بسرعة لمدة دقيقة أو دقيقتين ثم توقفت بتأثير الرياح. هذا ما جدد الأمل فى نفسى. من اليمين و اليسار، بالطول و العرض، من الشمال والجنوب، من الشرق و الغرب، «إسبانيولا» تبحر بشكل متزجزج. وفى جميع الأحوال الأشرعة تتخبط. من الواضح عدم

وجود أحد يقودها. و فى هذه الحالة ماذا يفعل الرجلان؟ هل ماتا سكارى أم تركا السفينة؟ و فى هذه الحالة من الممكن العودة إليها و إعادتها إلى قبطانها.

التيار يتجه نحو الجنوب و يدفع السفينة و القارب بنفس السرعة. حركاتنا متأرجحة و غير منسجمة أبدًا، و فى بعض الأحيان تتوقف الحركة تمامًا. يجب التجديف للوصول إليها. مغامرة كبيرة لكن فكرة وجود خزانات المياه منحتنى الشجاعة.

استجمعت كل شجاعتى و التجديف بكل قوة و كل دقة للوصول إلى «إسبانيولا» الشاردة. أتوقف من حين لآخر و قلبى يرتجف مثل عصفور صغير لكنى نجحت فى توجيه قاربى بين الأمواج.

اقتربت بسرعة، لمحت النحاس يتلألأ على الدفة و لم ألمح أى إنسان على سطحها. من المؤكد أنهما تركاها أو ماتا سكارى، وفى هذه الحالة أستطيع الاستيلاء عليها.

بدت «إسبانيولا» فى حالة سيئة من وجهة نظرى. مقدمتها تتجه نحو الجنوب، الأشرعة تتخبط بالرياح و أنا أعجز عن التحكم بها فى هذه الحالة.

أخيرًا حالفنى الحظ. هبت الرياح لمدة دقيقة و أدارت مقدمة «إسبانيولا» نحوى ببطء. من خلال النافذة الكبيرة فى الكابينة لمحت المصباح مشتعلاً رغم أننا فى وضح النهار. الشراع الكبير ينخفض ساكنًا مثل راية و التيار يعاونها على الثبات.

اقتربت منها أكثر فأكثر خلال دقائق. لا يفصلنى عنها إلا خمسين قامة فقط و هبت رياح شديدة مفاجأة و ابتعدت السفينة بخفة و رشاقة عصفور.

دب اليأس فى نفسى ثم شعرت بالبهجة. السفينة تقترب شيئًا فشيئًا. الموجات تغلى بيننا و بدت لى ضخمة جدًا.

استشعرت المخاوف فجأة. ليس لدى وقت للتفكير فى أى شىء سوى الهرب. كنت على قمة موجة عالية و شعرت بالسفينة تهوى فوقى. كنت تحت منحنياتها مباشرة. قفزت صاعدًا إليها بسرعة وأنا أدفع القارب إلى أسفل. تشبثت بها و سمعت صوت تحطم قاربى.

●●●

(٢٥)

ما أن وقفت على القوس حتى هبت الرياح تغير مسارها. اضطربت السفينة بعنف لكنها استعادت توازنها خلال لحظات بفضل أشرعتها. تعثرت و كدت أسقط.

رأيت نفسى فى المقدمة و الشراع الكبير يتمدد ليخفى عنى المؤخرة. لم أجد أى شخص، الأسطح لم تُنظف منذ بداية التمرد، أثار الأقدام واضحة، زجاجة فارغة و طوق مكسور.

فجأة اندفعت «إسبانيولا» مع الريح. صرخت أسود البحر بعنف، تخبطت الدفة و ارتجفت السفينة كلها و فى نفس اللحظة تحرك الشراع الرئيسى و كشف لى الشاطئ خلال الجسر الخلفى.

الحارسان هنا، ذو القبعة االحمراء مستلقيًا على ظهره مبتسمًا حتى تبدو أسنانه، ممددًا ذراعيه كالمصلوب. «هاندز» منحنيًا على السور، رأسه يتدلى على صدره، قابضًا على السور، شاحب الوجه مثل الشمع.

راحت السفينة تقفز على الأمواج مثل حصان جامح، الأشرعة تتمايل من ناحية إلى أخرى. من حين لآخر يتصاعد الرذاذ يضرب المقدمة. التحكم فى هذه السفينة أصعب من التحكم فى قاربى الصغير الغارق.

مع قفزات السفينة يتقلب ذو القبعة الحمراء من جانب لآخر، والغريب أن هيأته لا تتغير و لا إبتسامته التى تكشف أسنانه. مع قفزات السفينة نجد «هاندز» ينحنى أكثر فأكثر على نفسه، ساقيه تنزلقان حتى أصبحت لا أرى وجهه.

دُهشت عندما رأيت «هاندز» يقوم بنصف دورة و هو يئن ويتأرجح ثم عاد إلى وضعه السابق. تأوهاته تدل على الألم والضعف الشديد حتى أننى أشفقت عليه. لكن عندما تذكرت حديثه عندما كنت مختفيًا فى برميل التفاح زالت الشفقة تمامًا.

تقدمت إلى الشراع الكبير و قلت له، على عكس المتوقع:

- أبحر سيد «هاندز».

تقدم نحوى و فى عينيه نظرات حزينة لكن إرهاقه الشديد منعه من الدهشة و قال:

- أريد الماء.

فهمت أن ليس لدينا الوقت الكافى. هبطت إلى الكابينة و كانت في حالة غير متوقعة أبدًا. حطموا كل ما كان مغلقًا بالمفاتيح بحثًا عن الخريطة. المقاعد متسخة بالطين حيث كان يجلس القراصنة للشراب أو التحاور لإقامة معسكرهم. الجدران المدهونة بالأبيض الناصع و مزينة بالمقابض المذهبة أصبحت

متسخة بأصابع القراصنة القذرة. إثنى عشر زجاجة فارغة فى الأركان. أحد الكتب الطبية مازال مفتوحًا على المنضدة، نزعوا نصف أوراقه لإشعال الغليون على ما أعتقد. وسط كل هذا المصباح مازال يلقى ضوءه الشاحب.

اتجهت إلى المخزن، كل البراميل اختفت و شربوا كل الزجاجات و تركوها فى مكانها فى إهمال. من المؤكد، منذ التمرد لم يقم أى منهم بالتنظيف.

رغم ذلك رأيت زجاجة بها القليل من المياه أخذتها من أجل «هاندز» و من أجلى أنا أيضًا، التقط بعض البسكويت و الفاكهة المحفوظة وعنقود كبير من العنب و قطعة من الجبن و عدت إلى السطح. احتفظت بالطعام لنفسى خلف الدفة، شربت حتى ارتويت ثم قدمت له المتبقى. بعد الشرب قال:

- آه! كنت فى أشد الحاجة للمياه.

أما أنا جلست فى الركن و بدأت تناول الطعام و سألته:

- هل الجرح خطير.

صرخ أو نبح مثل كلب جريح:

- لو كان الطبيب هنا لرميت بنفسى تحت أقدامه. لست محظوظًا كما ترى. هذا ما أندم عليه.

ثم أشار إلى ذو القبعة الحمراء و أكمل:

- أما هذا الخنزير مات. على كل حال ليس بحارًا.. كيف نخرج من هذه الكارثة.

- جئت هنا للاستيلاء على السفينة سيد «هاندز». و حتى صدور أوامر جديدة أنت مضطر أن تعتبرنى قائدك.

نظر إلىّ بمرارة لكنه لم يقل أية كلمة. بدأت الحمرة تدب فى وجهه قليلاً لكنه مازال مهزومًا يترنح مع تحركات السفينة. أكملت:

- لا أريد هذه الراية سيد «هاندز» و لا يهمنى كل ماهو موجود هنا.

جريت إلى الراية السوداء الملعونة و قلت:

- الرب يحمى الملك. انتهى عصر «جون».

نظر إلىّ بانتباه لكن دون أن يستعيد توازنه ثم قال:

- لدى فكرة كابتن «جيمى»، طالما أنك ترغب فى العودة إلى الأرض يجب أن نتحاور قليلاً.

قلت بعنف شديد:

- تحدث بصراحة سيد «هاندز».

عدت لتناول طعامى فقال و هو يشير برأسه إلى الجثة:

- هذا الرجل إسمه «أوبريان».. معتوه من أيرلندا.. هذا الرجل و أنا كنا نحاول العودة بالسفينة لكنه مات و لا أعلم من سيقوم بإدراة السفينة. إن لم تسمع نصيحتي ستعجز عن فعل أى شىء. هذا ما يجب أن تعرفه. أنت ستمنحنى الطعام و الشراب و منديل لربط جراحى و أنا سأعلمك إدارة السفينة أليست الحسبة متعادلة.

قلت له:

- يجب أن تعلم شيئًا مهما، لن أعود إلى المرسى. أريد الوصول إلى الخليج فى الشمال و سنذهب هناك بهدوء.

صرخ:

- بالتأكيد. تعلم أننى فى حقيقتى لست أحمقًا تمامًا. أفكر جيدًا، ألا تعلم عنى ذلك؟ أعترف بالهزيمة و أنت الرابح الآن. خليج الشمال؟ لا يوجد أمامى اختيار! سأعاونك حتى الوصول إلى رصيف المشانق.

بدا لى العرض مناسبًا و اتفقنا على التفاصيل. بعد ثلاث دقائق أبحرت «إسبانيولا» متجهة إلى ساحل جزيرة الكنز. كان لدى أمل فى الوصول قبل الظهيرة و من هناك أتجه إلى خليج الشمال قبل أن يرتفع المد.

هبطت إلى حقائبى بحثًا عن منديل حريرى كانت والدتي أهدته لى، وعاونت «هاندز» فى ربط جرحه الغائر فى فخذه. بعد أن أكلنا و شربنا قليلاً هب واقفًا فى ثبات يتحدث بثقة وبدا لى رجلاً آخر.

الرياح مناسبة تدفعنا برشاقة عصفور، شواطئ الجزيرة تمر أمامنا بسرعة و الحقول تتجدد أمامى باستمرار. عبرنا الأرض العالية و بدت أمامنا المناطق المنخفضة الرملية حيث تنبت أشجار الصنوبر المبتورة ثم وصلنا تلة صخرية عبارة عن الحد الشمالى للجزيرة.

وضعت كل ثقتى فى القائد الجديد. مازال لدىّ المياه والطعام الشهى و بدأت أشعر بالألفة. لا أرغب فيما هو أكثر من ذلك لكنه يرقبنى بنظرات غامضة و هو يبتسم فى توتر. ابتسامته مزيج من الألم و الوهن.. مثل نظرة عجوز شقى بائس، لكنها لا تخلو من المكر و الدهاء.

●●●

(٢٦)

كانت الرياح منسابة تدفعنا إلى الغرب و أصبحت رحلتنا هادئة جدًا منذ أن وصلنا إلى رأس الشمال الشرقى حتى وصلنا إلى مدخل خليج الشمال. لكن من المستحيل أن نلقى الهلب هنا و لا نستطيع التراجع قبل أن يرتفع المد بشكل معقول. أصبح لدينا متسع من الوقت ليشرح لى «هاندز» أسباب تعطلنا و قال أنه سينجح فى استكمال الرحلة. جلسنا صامتين للاستراحة مرة أخرى. قال لى وهو يبتسم فى قلق:

- يوجد هناك صديقى العجوز «أوبريان». أقترح أن تذهب لتلقى به إلى البحر. لست خبيرًا بمثل هذه الأعمال و الأمر لا يحتاج إلى طقوس كثيرة. و أنت؟

أجبته:

- لست قويًا و لا أرغب فى العمل المجهد. أعتقد من الممكن أن نتركه هنا.

قال و هو يغمز بعينيه:

- «إسبانيولا» سفينة بائسة. قُتل عليها الكثير من الرجال. اختفى و مات الكثير من البحارة البؤساء منذ أن أبحرنا من

«برستول». لم أر حظًا بمثل هذا السوء من قبل. مثلاً «أوبريان».. هو ميت الآن و أنا لست متعلما و أنت صبى تعلم القراءة والكتابة، قل لى بصراحة: عندما يموت الإنسان الخير أو الشرير، هل سيعود للحياة؟

– نستطيع قتل الجسد سيد «هاندز» لكن لا نقتل الروح أبدًا. أعتقد أنك تعلم ذلك من قبل. «أوبريان» يعيش الآن فى عالم آخر وربما يرانا الآن.

– أه! يالـه من شقاء: نضيع وقتنا فى قتل الأجساد. على كل حال الروح ليست مهمة على ما أعتقد يا «جيمى». و الآن نستطيع الحديث بحرية، سيكون لطف منك أن تهبط إلى الكابينة و تأتى لى بـ ... ها.. بـ.. أنا مجهد جدًا! ما اسمها؟.. أه، نعم، تأتى لى بزجاجة نبيذ يا «جيمى» أنا لا أحب المياه العادية.

بدا لى ترددە غير طبيعى لكنى أصدق أنه يفضل النبيذ على المياه. من الواضح أنه يبحث عن عذر لأترك له سطح السفينة و لا أعلم سبب ذلك. نظراته تتحدى نظراتى، يرقبنى من اليمين واليسار، من أعلى و من أسفل، أحيانًا يرقب السماء و أحيانا يرقب جثة «أوبريان» خلسة. لا يتوقف عن الابتسام بثقة و هدوء كأنه ينوى المكر بطفل صغير. أعلم أنه أقوى منى لكن مع مثل هذا الرجل الذليل الأحمق يجب أن أخفى هواجسى حتى النهاية. سألته:

- نبيذ؟ هل تريد نبيذ أبيض أو أحمر؟

- بالنسبة لى لا فرق يا صديقى. لكن يجب أن يكون قويًا كثيرًا.

- حسنًا. سأحضر لك الأقوى سيد «هاندز» لكنى سأبحث عنه.

اتجهت إلى الغطاء المحطم، خلعت حذائى و دخلت الممر بهدوء. هبطت سلم المقدمة و تركت رأسى خارج الغطاء. لا يتوقع وجودى فى هذا المكان. يجب الاهتمام بأدق التفاصيل و تأكدت من شكوكى.

حبا على ساقيه و يديه و عبر جسر السفينة بمشقة لأننى كنت أسمع تأوهاته من حين لآخر. خلال نصف دقيقة وصل إلى جانب الدرابزين و انتزع من لفافة خنجر ملطخ بالدم. تأمله بوحشية و هو يمسحه بيده ثم دسه بسرعة فى ملابسه و عاد إلى مكانه جوار الدفة.

فهمت الآن. أصبح «هاندز» يتحكم فى الموقف بسلاحه. أبعدنى عن الجسر لأكون ضحيته. ماذا سيفعل بعد ذلك؟ هل سيعبر الجزيرة من خليج الشمال حتى يصل إلى المعسكر المنعزل أم سيطلق قذائف المدفع ليلحق به معاونيه؟ لا أفهم ما يدور فى رأسه أبدًا.

على كل حال من الممكن أن أثق به لأن لدينا هدف مشترك هو مصير السفينة. نأمل معًا فى الوصول إلى مكان آمن بحيث تستطيع السفينة الإبحار فى الوقت المناسب بدون أية مخاطر. يبدو لى، حتى الآن، لا يوجد ما أخشاه.

لكن يجب الانتباه. ارتديت حذائى و قبضت على أول زجاجة نبيذ وقعت تحت يدى و عللت له تأخرى بالبحث. رأيته فى مكانه ينحنى على نفسه، يغلق نصف عينيه ليتفادى ضوء الشمس. عندما رآنى رفع عينيه و كسر رقبة الزجاجة و يبدو أنه يعتاد ذلك. شرب بنهم و هو يقول: فى نخب نجاحنا. بقى هادئًا برهة ثم أخرج لفافة التبغ و طلب منى قطع جزء منها:

– اقطع لى هذا. ليس لدى سكين. و لو كان لدى سكين ليس لدى القوة الكافية. آه «جيمى»، لن أعيش كثيرًا. اقطع لى، قد تكون آخر مرة يا ولدى، سأذهب دون عودة، هذا مؤكد.

قلت له:

– سأفعل، سأقطع لك التبغ لكنى لو كنت مكانك سأصلى مثل أى مسيحى.

– لماذا؟ قل لى لماذا؟

صرخت:

– لماذا؟ كنت تسألنى عن الموت. ينقصك معلومات كثيرة عن الدين، عشت حياتك مذنبًا، الكذب و الدماء، الرجل الذى قتلته مازال ممددًا تحت قدميك و تسألنى لماذا؟ لكى يسامحك الرب سيد «هاندز».

كنت أتحدث بحماس و أنا أفكر فى الخنجر الملطخ بالدم الذى يخفيه فى ملابسه ليقضى به علىّ. أما هو كان يشرب بنهم ويتحدث مبتهجًا:

– أجوب البحار منذ ثلاثين عاما. رأيت أشياء كثيرة جميلة ورأيت شرور كثيرة، أبحرت فى البحار الهادئة و فى العواصف. رأيت الأحكام العرفية و اللعب بالسلاح و أشياء أخرى كثيرة. لكنى لم أر أبدًا الخير يأتى من السعادة. كنت أول القتلى، الموتى لا ينتقمون. هذا اعتقادى.

ثم بدل نبرة صوته و أكمل:

– و الآن اسمع، كفى حماقات! المد أصبح مرتفعًا الآن. يجب طاعة أوامرى كابتن «جيمى». سنذهب إلى النهاية.

لا ينقصنا إلا ميلين فقط لكن السفينة ضعيفة. المرسى فى الشمال ليس ضيقًا و عميقًا فقط بل محدد من الشرق و الغرب والسفينة تحتاج إلى أيدى ماهرة مدربة. أنا، على ما أعتقد، مرءوس جيد و «هاندز» قرصان ماهر و أصبحنا نعمل فى انسجام.

ما أن دخلنا الخليج حتى أصبحت الأرض تحيطنا من كل جانب. فى اتجاه الشمال الأشجار أكثر كثافة من مرسى الجنوب، لكنها ضيقة و متوغلة مثل مصب نهر و هى كذلك بالفعل. فى جهة اليمين، فى آخر الجنوب، نرى حطام سفينة غارقة و فى

حالة سيئة جدًا. يبدو أنها غرقت منذ وقت طويل لأن الطحالب نمت عليها بكثافة. مشهد مرعب. قال «هاندز»:

- الآن، هذا مكان مناسب لغرق السفن. الرمال ناعمة فى القاع و لا توجد أية موجات، الأشجار حولها و الأزهار تنمو مثل حديقة جميلة.

سألته:

- لوغرقت السفينة كيف نبحر؟

- حسنًا، في المد المنخفض نأتى بحبل من الأرض هناك، نلفه حول أشجار الصنوبر الضخمة و نلف الطرف الآخر حول السفينة وننتظر الطفو. فى المد المرتفع كل الناس تجرى إلى الحبال وترحل السفينة. و الآن يا ولدي انتبه. نحن قريبان جدًا من المكان و أمامنا جولة طويلة. إلى اليمين قليلاً ثم فى خط مستقيم.. إلى اليمين مرة أخرى ثم خط مستقيم.. كان يلقى أوامره بحزم و خضعت له تمامًا. ثم صرخ فجأة:

- و الآن تجرأ!

وضعت الدفة فى اتجاه الريح و اندفعت «إسبانيولا» فى المنحنى نحو الشاطئ السفلى و الدغل.

كنت أعمل بحرص شديد مترقبًا وصول السفينة لكننى لا أنسى التهديدات الواقعة على رأسى. بقيت فى موقعى أرقب الموج الذى يذهب إلى عرض البحر. سأسقط تحت رحمته دون أى مقاومة. سمعت حركة فى المقدمة، التفت لأجد «هاندز» واقفًا أمامى شاهرًا خنجره يتوجه نحوى.

عندما التقت نظراتنا صرخنا نحن الاثنان. صرخة الفزع منى لكن صيحته مثل صيحة الثور الهائج. عندما قفز نحوى قفزت خطوة إلى الأمام. تركت الدفة التي ارتجفت بعنف و هذا ما أنقذ حياتى. صدمته الدفة فى صدره فتوقف فى مكانه برهة صامتًا.

لم يعلم أننى جريت بسرعة إلى مقدمة الجسر، تحت الشراع الرئيسى و انتزعت مسدسى من جيبى. رغم ذلك تقدم نحوى وهو يصرخ مثل كلب جريح. ضغط الزناد لكن لم تحدث الفرقعة و لم تخرج الطلقة. المياه أفسدت المسدس. لعنت إهمالى. لماذا لم أنظف سلاحى و أعيد شحنه؟ أصبحت مثل الخروف الذى يسعى للهرب من الجزار.

رغم جراحه إلا أنه يتحرك بسرعة منفوش الشعر، محتقن الوجه فى غضب. ليس أمامى وقت لتجربة المسدس الثانى وشعرت بعدم جدوى ذلك. لا يجب التراجع أمام عدوى، أنه يسد أمامى كل منافذ الهرب. تقدم نحوى و دفعنى نحو المقدمة شاهرًا

خنجره الملطخ بالدم. غرسه فى كتفى لكنى نجحت فى تسلق الشراع الرئيسى.

وقف «هاندز» لمدة دقيقة أو دقيقتين يترقب سقوطى لكنى كنت أجيد هذه اللعبة. كانت لعبتى المفضلة فى صخور الجبل الأسود ومارست معه كل طقوس اللعبة الطفولية. أعتقد أننى قادر على مواجهة بحار مسن بهذه اللعبة. استجمعت شجاعتى لكنى لا أرى أى أمل مهما طال الانتظار. فجأة ارتجفت «إسبانيولا»، غُرست فى الرمال الناعمة. مال سطحها بزاوية خمسة و أربعين درجة تقريبًا تحت ثقل المياه التى دخلت باطن السفينة.

سقطنا نحن الإثنان جوار جثة ذو القبعة الحمراء الذى مازال يمدد ذراعيه كالمصلوب. كنا متقاربان جدًا فى الحقيقة، رأسى جوار ساق «هاندز» الذى يضم أسنانه فى غيظ و ألم. قمت واقفًا بسرعة و تعثر «هاندز» فى الجثة. انحرفت السفينة مع التيار. يجب البحث عن طريقة جديدة للهرب. أتتنى الفكرة، قفزت بسرعة إلى جوار قفص الببغاء.

تابعت الهرب إلى أعلى بينما وقف «هاندز» مذهولاً من حركاتى. نستطيع القول أن الدهشة جعلته مثل تمثال من الصخر.

انتهزت الفرصة و شحنت سلاحى بسرعة. أدرك «هاندز» أن الحظ أصبح ضده الآن. بعد تردد حاول الصعود خلفى لكنه

كان يتعثر و هذا ما منحنى الفرصة لضربه فى ساقه المجروحة وبسرعة أصبحت أقبض على المسدسين مشحونين و قلت:

- لو تقدمت خطوة أخرى سأقتلك..

ثم أضفت ساخرًا:

- الموتى لا ينتقمون، على حسب قولك.

ثبت فى مكانه. لاحظت أنه يحاول البحث عن أسلوب جديد لكنه يفكر ببطء و تخبط بينما أنا أضحك ساخرًا. حاول التحدث معى فقال:

- «جيمى»، أرى أننا لم نتفق جيدًا. يجب أن نبحث عن الأمان. كما قلت لك الحظ ليس حليفى. يجب علىّ الاستسلام وهذا أمر مؤسف لبحار عجوز مثلى. يجب التفاهم معًا.

ضحكت فى يأس لأننى أشعر بنفسى مثل عصفور معلق على الجدران. وضع يديه فوق رأسه و اعتقدت أن هذا دليلاً على الاستسلام لكنى فى نفس اللحظة سمعت صفير الخنجر و هو يطير فى الهواء ليصيب كتفى و تشممت رائحة حادة. الدهشة أصابتنى ضغطت على زناد المسدسين ثم سقطا من يداى. سمعت صيحة «هاندز» المرعبة و سقط فى البحر برأسه.

●●●

(٢٧)

رأيت الراية تخفق على السفينة، الصوارى ترتفع فوق سطح المياه، و أنا أتمسك بقفص الببغاء و لا أرى بالأسفل إلا الخليج. لم يكن «هاندز» على ارتفاع شاهق و لذا سقط بالقرب من السفينة. ظهر مرة أخرى وسط دوامة من الرذاذ و الدم ثم غاص تمامًا. عندما صفت المياه لمحته ممددًا على القاع و هناك سمكتان أو ثلاثة تدور حول جثته. تحرك قليلاً بتأثير التيار كأنه يحاول الطفو. لكنه مات بالطلقات النارية و الأسماك تستعد لالتهامه.

ذُهلت مما فعلته. مرهقًا مفزوعًا. الدماء الرطبة تتلألأ على صدري و ظهرى. الخنجر فى كتفى يؤلمني لكن الآلام النفسية أشد من الجسدية. أخشى السقوط فى المياه الخضراء. حاولت الهبوط بحرص و أنا أغلق عينى حتى لا أرى المخاطر تحتى، و لم أستعد نفسى إلا عندما عدت لسطح السفينة.

أول ما فكرت به هو الخنجر المرشوق فى كتفى، مهما تكن الآلام انتزعته بعنف و ارتجفت بشدة. سال الدم بسرعة لكننى أصبحت سيد نفسى.

لن أغامر مرة أخرى مهما كانت الأسباب. هبطت إلى الأسفل وحاولت تضميد جراحى بقدر المُستطاع. لم يكن الجرح عميقًا ولا

خطيـرًا و بـدأت الآلام تخفـت عندمـا بـدأت فـى تحريـك ذراعـى. تلفت حـول نفسـى. و لأننـى أصبحـت مالـك السـفينة بـدأت التفكيـر فـى التخلـص مـن آخـر الـركاب، جثـة «أوبريـان».

كان منبطحًـا كمـا قلـت لكـم. يبـدو مثـل دميـة بشـعة منزوعـة، بالحجـم الطبيعـى بالتأكيـد لكنـه بعيـد تمامًـا عـن ألـوان الحيـاة. فـى هـذا الموقـف نسـيت كل مخاوفـى الطبيعيـة مـن الموتـى. مسـكته مـن ذراعـه كأنـه حقيبـة عديمـة القيمـة و ألقيـت بـه إلـى البحـر ففـاص إلـى الأعمـاق بينمـا سـبحت قبعتـه الحمـراء علـى صفحـة الميـاه. مـا أن هـدأت الميـاه حتـى لمحتـه ممـددًا فـى القـاع جـوار «هانـدز»، يتحـركان بتأثيـر التيـار. رغـم شـباب «أوبريـان» لكنـه أصلـع تمامًـا و تجمعـت الأسـماك بسـرعة حـول الجثتـين.

أصبحـت وحيـدًا علـى السـفينة.. بـدأ المـد ينقلـب. الشـمس علـى وشـك الغـروب حتـى أن ظـلال الصنوبـر علـى الشـاطئ تمـددت وسـقطت علـى جسـر السـفينة. اشـتدت ريـاح الليـل، و لأننـى محمـي بـين الجبـال بـدأ تغريـد العصافيـر و رفرفـة الأجنحـة هنـا و هنـاك.

لاحظـت المخاطـر تجـرى نحـو السـفينة. أخشـى مهاجمـة أسـود البحـر، خاصـة أن الريـاح اشـتدت.

و هـذا مـا حـدث بالفعـل. تجمعـت أسـود البحـر ترتـع حـول السـفينة. أعدادهـم كثيـرة جـدًا حتـى أننـى خشـيت التدخـل فـى

الأمـر. أخيـرًا أخـذت السـكين و قطعـت الرايـات فسـقطت منتفخـة فـى الميـاه. قـد يعـوق هـذا حركـة أسـود البحـر. فعلـت كل مـا أسـتطيعه لكـن فـى الحقيقـة كانـت «إسـبانيولا» و أنـا عليهـا تحـت رحمـة القـدر.

الظـلام يهبـط بالتدريـج علـى المرسـى. أتـى آخـر شـعاع مـن الشـمس عبـر الدغـل كأنـه ينسـجم مـع الـورود فـى صـلاة مهيبـة. بـدأ البـرد، المـد يتجـه إلـى عـرض البحـر و السـفينة تقتـرب أكثـر فأكثـر إلـى الشـاطئ.

اتجهـت إلـى المقدمـة و اسـتلقيت. الميـاه تبـدو أقـل عمقًـا. انزلقـت بخفـة حتـى وصلـت الميـاه إلـى صـدرى و سـبحت بهـدوء حتـى وصلـت إلـى الشـاطئ. كانـت الشـمس قـد اختفـت تمامًـا و دبـت الريـاح مـن خلـف أشـجار الصنوبـر المرتجفـة.

أخيـرًا خرجـت مـن البحـر لكنـى لـم أعـد خالـى الوفـاض. خلصـت السـفينة مـن القراصنـة و أصبحـت جاهـزة لاسـتقبال رجالنـا و العـودة إلـى عـرض البحـر. لا أرغـب فـى أى شـىء سـوى العـودة إلـى الحصـن لأعلـن لهـم عـن اكتشـافاتى. بالتأكيـد سـأتلقى بعـض اللـوم بسـبب هروبـى لكـن الاسـتيلاء علـى «إسـبانيولا» يشـفع لـى و أتمنـى أن أحظـى بإعجـاب القبطـان «سـموليت».

بـدأت أسـتعد للعـودة و تذكـرت أن ميناء القبطـان «كيـد» فـى جهـة اليسـار فاتجهـت إلـى هنـاك. الغابـة ليسـت خطيـرة أبـدًا، عبـرت الشـقوق الداخليـة فـى الجبـل بعـد أن عبـرت مجـرى الميـاه.

وصلت إلى المكان الذى التقيت فيه «بن جان». تقدمت بحرص شديد أتجول ببصرى فى كل المكان. اشتد الظلام عندما وصلت إلى الفرجة بين القمتين و لمحت انعكاس شعاع ضوء فى السماء. ربما يكون رجل الجزيرة يطهو حساءه فوق الحطب. على كل حال لن أُدهش إذا ظهر أمامى فجأة. لكن داهمتنى المخاوف. طالما أننى لمحت هذه الانعكاسات أليس من الممكن أن يكون «جون» أيضًا قد لمحها و هو فى الشاطئ المعزول؟

الظلام يشتد و الوصول لهدفى ليس سهلاً. خلفى الجبل ذو القمتين بينما جبل «المشهد الواسع» فى اليمين و أنا لا أرى بوضوح. لا أرى إلا بعض النجوم الصغيرة. كنت متجهًا إلى الأرض المنخفضة و أتعثر على الرمال الناعمة.

فجأة شعرت بالضوء يشتد. الضوء الشاحب يتساقط على «المشهد الواسع» ثم ينساب خلف الأشجار. كان القمر بدرًا.

حاولت استغلال الظروف و اندفعت لاستكمال السير بسرعة. أجرى من حين لآخر متعجلاً الوصول إلى الحصن. توغلت فى الدغل التالى. يجب المتابعة بحرص شديد حتى لا أتلقى الطلقات من أعوانى بالخطأ.

بزغ القمر و نشر ضوءه فى كل أركان الغابة و رأيت أمامى ضوء له لون مختلف وسط الأشجار . ضوء أحمر داكن و يخفت

من حين لآخر كما لو كان الموقد منتهى الصلاحية. و لم أستطع استنتاج أى شىء.

وصلت إلى نهاية الأرض المكشوفة فى الناحية الغربية، مازلت تحت ضوء القمر لكن الحصن نفسه مختفياً فى العتمة. من الناحية الأخرى للمنزل الخشبى رأيت نيران ضخمة و هذا يتناقض مع ضوء القمر الأبيض. لا أسمع أى صوت بشرى، لا أسمع إلا حفيف الأشجار.

وقفت مذهولاً مرعوباً. ليس من عاداتنا إشعال نيران كبيرة، بل كنا نقتصد فى النيران حسب أوامر القبطان. بدأت أخشى مما حدث أثناء غيابى.

درت حول الحصن من الناحية الشرقية متخفيًا فى العتمة. حبوت على أربع بحرص شديد و استشعرت الراحة بالاقتراب. كان الصوت جميلاً جدًا، صوت أصدقائى و هم يشخرون أثناء النوم.

لكننى تأكدت من شىء غريب جدًا. لا أحد يقوم بالحراسة. قلت فى نفسى: هذا ما يحدث مع قبطان جريح . اقتربت بحرص لأقدر حجم المخاطر.

توقفت على الباب الخلفى للحصن. العتمة شديدة فى الداخل و لم ألمح أى شىء. سمعت صوتًا غريبًا وسط شخير أصدقائى ولا أعلم مصدره.

مـددت ذراعـى أمامـى و دخلـت بهـدوء. سـأذهب للنـوم فـى فراشـى و أداعبهـم فـى الصبـاح. دهسـت شـىء مـا، إنهـا سـاق أحـد النائمـين ولـم يسـتقظ. و فجـأة دب صـوت حـاد فـى العتمـة:

– قطعة من ثمانية! قطعة من ثمانية! قطعة من ثمانية!

ظل يردد الكلمة دون تغيير كأنه جرس طاحونة.

ببغـاء «جـون» الأخضـر، القبطـان «فـلان». إنـه أفضـل فـى الحراسـة مـن كل البشـر. هكـذ أعلـن عـن وصولـى.

استيقط النائمون و قفزوا بينما « جون» يهدد و يتوعد:

– من؟

حاولـت الهـرب لكنـى كنـت أتخبـط بينهـم حتـى شـعرت بـأذرع قويـة تحكـم قبضتهـا علـىّ و سـمعت «جـون « يقـول:

– «ديك» هات المصباح.

●●●

(٢٨)

تحت ضوء المصباح تأكدت أن كل الأهوال التى كنت أخشاها تحققت بالفعل. القراصنة استولوا على الحصن و كل المؤن. مازال يوجد برميل من الكونياك و كميات من اللحوم و لكن ما ضاعف مخاوفى عدم وجود أى أثر لأصدقائى. الاستنتاج الطبيعى أنهم ماتوا جميعًا و لو بقيت سأموت مثلهم.

كانوا ستة قراصنة. هب خمسة منهم يترنحون بين النعاس واليقظة، وجوههم متورمة مرهقة. السادس يتمدد على الأرض شاحب واهن يربط رأسه بضمادة ملطخه بالدم و يبدو أنه أصيب حديثًا. تذكرت أننا أصبنا أحدهم فى المعركة الكبيرة و أنه هرب إلى الدغل. من المؤكد أنه الشخص الذى أصبناه من قبل.

الببغاء يقف على كتف «جون» الذى يبدو شاحبًا و حازمًا أكثر من المعتاد. يرتدى ثيابه الفاخرة و بالتأكيد يخفى حاجياته تحت الملابس. لكن الملابس الفاخرة ممزقة من الاحتكاك بجزوع الأشجار. قال «جون»:

- هكذا عدت لزيارتكم يا «جيمى» و سأحصل على كل شىء بسهولة.

جلس فوق برميل الكونياك و هو يمسك غليونه و قال:

- أعطني المصباح يا «ديك».

بعد أن أضاء المصباح قال:

- كل الأمور ستسير بشكل جيد يا ولد! إشعل الحطب و أنتم يا سادة استريحوا.. لا داعى للوقوف أمام السيد «جيمى». أنا متأكد أنه سيسامحكم.

ثم بدأ إعداد غليونه و أكمل:

- ها أنت قد عدت يا «جيمى». المفاجأة لطيفة لهذا المسكين العجوز «جون». كنت أتوسم فيك الحكمة منذ أول لحظة، لم أكن أتوقع أن يصدر كل هذا منك.

لا أعرف ما الذى يجب علىّ فعله. أجلسونى على الأرض مستندًا إلى الجدار. بقيت فى مكانى أحدق فى عينى «جون». أتظاهر بالثقة لكنى فى الحقيقة كنت يائسًا تمامًا.

سحب «جون» نفسين أو ثلاثة من غليونه ثم أكمل:

- الآن يا «جيمى»، طالما أنك وصلت سأطلعك على بعض ما أفكر به. كنت أعتبرك متعقلاً مثلى عندما كنت صغيرًا وفى صحة جيدة. كنت أرغب أن تلعب معنا لتحصل على نصيبك و لتنعم بحياتك حتى آخر لحظة، و الآن أيها الشجاع ستذهب

لمصيرك. القبطان «سموليت» بحار جيد. أعرفه جيدًا لكنه يتمتع بأخلاق الفرسان. يقول أن الواجب قبل كل شيء. و هو محق فى قوله. يجب أن تتنزه مع القبطان. الطبيب نفسه يهاب الموت من أجلك. وغد ناكر للجميل، هذا رأيى. خلاصة الحكاية هكذا: لا تستطيع أبدًا العودة إلى أعوانك لأنهم لا يريدونك. يعنى أنت تكون فريق ثالث بمفردك. و بما أنه ينقصك الرجال فمن الأفضل لك أن تتعاون معى.

الأمور تسير بشكل جيد حتى الآن. أصدقائى مازالوا أحياء لكنهم لا يرغبون فى التعاون معى بسبب هروبى منهم. حسب ما أسمعه الآن العمل مع «جون» هو أفضل حل.

استكمل «جون»:

- طالما أنك ستخضع لارادتنا و أنك ستكون مخلصًا لنا لن أتحدث عن خيانتك السابقة لنا. يهمنى أن تعمل معنا عن اقتناع. التهديد لا يؤدى إلى نتيجة جيدة. لو العمل معنا يروق لك ستلعب معنا و فى حالة العكس يا «جيمى» لك حرية الرفض.. حرية كاملة يا صديقى. لن تجد بحار يحدثك بأسلوب أفضل من هذا.

من سخريته أدركت جيدًا أن الموت يحلق فوق رأسى. اشتعل وجهى و خفق قلبى بشدة. سألت فى ارتباك:

- هل تنتظر إجابتى؟

عاد «جون» يقول:

– يا ولدى لا أحد يضغط عليك. حدد موقفك. لا أحد هنا يضغط عليك. نقضى معًا وقتًا لطيفًا كما ترى.

قلت:

– حسنًا! لكى تشجعنى على الاختيار من حقى أعلم لماذا أنتم هنا و أين أصدقائى.

أجاب أحد القراصنة بصوت أجش:

– كانوا محظوظين.

قاطعه «جون» بوحشية:

– تستطيع أن تصم أذنيك عندما نتحدث يا صديقى.

ثم استكمل بنبرة ودودة:

– فى صباح الأمس يا سيد «جيمى»، من الرابعة حتى الثامنة، أتى إلينا الطبيب «ليفسى» يطلب التحاور. قال لى: كابتن «جون»، خانوك، السفينة اختفت. شربنا قليلاً و استمتعنا بوقتنا. لم أعارضه. على كل حال لم يلحظ أحدنا ما حدث لكننا تأكدنا من غياب السفينة! لم أواجه مثل هذا الموقف أبدًا من قبل. قال لى الطبيب حسنًا، سنرحل. اتفقت معه على أن نبقى هنا مع المؤن والمياه فى الحصن و الدغل المشتعل الذى تراه. أما هم انصرفوا بسرعة و لا أعلم مكانهم.

استنشق نفسًا عميقًا من غليونه و أكمل:

– و لكى تفهم الحقيقة جيدًا يجب أن تعلم آخر حوار دار بيننا. سألته: كم عددكم؟ فأجابنى: أربعة و أحدنا جريحًا، أما بالنسبة للصبى لا أعلم مكانه. فليذهب إلى الجحيم. لا يهمنى، إنه يزعجنا كثيرًا. هذا قوله.

– هل هذا كل شىء؟

– نعم، هذا كل ما يجب أن تعلمه يا ولدى.

– و الآن على أن أختار؟

– نعم عليك أن تختار. صدقنى.

– حسنًا، لست غبيًا لأدعى أننى أفهم كل حديثك. و لا أعلم ما سيحدث لى، لا فرق عندى. رأيت الكثير من القتلى منذ التقيتك. لكن هنا نقطتين أو ثلاثة يجب أن أقصها لك الآن. أول نقطة: أنت فى موقف سىء. السفينة مفقودة، الكنز مفقود، الرجال مفقودون: كل رحلتك ستغرق و يجب أن تعلم أننى سبب كل ذلك. كنت فى برميل التفاح عندما وصلنا الأرض و سمعت حوارك مع «ديك» و«هاندز» وهو الآن فى قاع البحر. أما بالنسبة للسفينة أنا الذى قطعت الكابل و أنا الذى قتلت الرجلان اللذان تركتهما لحراستها وأنا الذى أبحر بالسفينة إلى مكان لن تصل إليه أبدًا. كل السخريات كانت من

ناحيتى منذ البداية. أنا صاحب اليد العليا فى عملك. لا أخشاك أكثر مما أخشى ذبابة. اقتلنى أو أطلق سراحى، كما تريد. لكن يجب أن تعلم أيضًا لو أطلقت سراحى سأنسى كل الماضى و بعد أن تنتهى من قرصنتك سأعاونك بكل استطاعتى. عليك أن تختار. تقتلنى دون أن تستفيد شىء من ذلك أو تطلق سراحي و تحتفظ بشاهد ينقذك من المشنقة.

توقفت لالتقاط النفس و دُهشت كثيرًا عندما لاحظت أن كلامى لم يصب أى منهم باليأس. جلسوا صامتين يرقبوننى مثل قطيع من الخراف. استكملت:

– و الآن سيد «جون»، أعتقد أنك أفضل منهم جميعًا. لو سارت الأمور كما أريد سأكون مضطرًا لإخبار الطبيب بأسلوب تعاملك معى.

قال «جون»:

– لن أنسى لك ذلك.

قال ذلك باهتمام شديد لم ألحظه من قبل. لا أعلم إذا كان أعجب بشجاعتى أو أنه واقع تحت ضغوط لا أعلمها.

صرخ البحار العجوز الذى يصبغ وجهه بالأرجوانى المدعو «مورجان» و الذى شاهدته من قبل فى مطعم «جون» على رصيف «برستول»:

- يجب أن أضيف شىء، هو الذى يعرف الكلب الأسود.

صرخ بحار آخر:

- و أنا أضيف شىء آخر، هذا الولد هو الذى سرق خريطة «بيلي جونز» . إذًا علينا العمل ضد «جيمى».

أضاف «مورجان» بحماقة:

- هكذا علمنا نواياه.

ثم سحب سكينه بمهارة . صرخ «جون»:

- الزم حدودك! ماذا تعتقد نفسك يا «مورجان»؟ قبطان؟ أنت لست القائد! الزم مكانك و إلا ستذهب إلى حيث ذهب السفهاء قبلك منذ عشرين عامًا.. بعضهم ذهب لنهاية العالم والآخرون فى قاع الموانئ تلتهمهم الأسماك. لا أحد يتحدانى يا «مورجان». أحذرك.

و قال آخر:

- أنا أنزعج من العمل تحت قيادة شخص ما. لا فرق عندى بين المشنقة و العمل معك يا «جون».

هب «جون» واقفًا جوار البرميل مستعرضًا ضخامة جسده وهو يلوح لهم بغليونه و صرخ:

– هل يرغب آخر فى التحاور معى؟ تكلموا، لستم صم على ما أعتقد. بعد كل هذا العمر يحاورنى ولد جاهل؟ تعلمون النظام طالما أنكم جميعًا من رجال الثروة الأذكياء. حسنًا، أنا مستعد. من يقدر منكم على رفع سكينه سأقتله فورًا قبل أن أنهى غليونى.

وقفوا جميعًا صامتين. استكمل «جون»:

– هل يجب التعامل معكم بهذا الأسلوب، حسنًا، أنتم تثيرون الضحك، تعجزون عن القتال. أحدثكم بالإنجليزية لتفهموا. أنا قائدكم بالانتخابات. أنا قائدكم لأننى أفضلكم و أفضل من ألف بحار. ترفضون القتال مثل كل رجال الثروة الأذكياء. يجب عليكم الطاعة. أنا أحب هذا الصبى حتى الآن. لم أرى أفضل منه. يفكر أفضل منكم جميعًا و أريد أن أرى من منكم سيرفع السلاح فى وجهه.

مرت لحظة صمت طويلة. كنت مستندًا إلي الجدار و قلبى خفق بشدة مثل مطرقة الحداد لكنى بدأت أشعر بالأمل. «جون» اتجه إلى الجدار يضم يديه و يضع الغليون فى طرف فمه هادئًا جدًا كما لو كان فى كنيسة لكنه يتأمل أعوانه المتوحشين بطرف عينه. أعوانه يتجمعون فى الطرف الآخر من المنزل و هم يغمغمون ثم رفعوا نظراتهم و بدا وميض عيونهم يتلألأ تحت ضوء المصباح ولمحت القلق فى وجوههم. لكن نظراتهم ليست موجهة لى، بل إلى «جون».

قال «جون» و هو يبصق ساخرًا:

- يبدو لديكم ما تقولونه. تكلموا أو اصمتوا.

قال أحدهم:

- نطلب السماح يا زعيم. لديك الحق فى فرض النظام لكن المجموعة مرتبكة، لا يحبون اسلوب التهديد و هذا حقهم مثل أى مجموعة. يحق لنا مناقشة قوانينك البحرية. سامحنى، أنت قائدى الآن لكن لدينا الحق فى التحاور معًا.

قال ذلك ثم قدم له التحية البحرية بكل احترام و خرج والآخرون فعلوا مثله. كل منهم يقدم التحية و يضيف كلمة مثل «لنخضع للنظام» أو «محاورة الأعوان». خرجوا جميعًا و بقيت وحيدًا مع «جون».

فى هذه اللحظة ترك «جون» غليونه و قال بصوت واضح ومنخفض:

- و الآن احذر يا «جيمى». أنت على بعد خطوتين من الموت والأقسى من ذلك عملية التعذيب. يريدون خلعى لكن لاحظ أننى أحميك من الجميع. لم أكن أنوى ذلك عندما كنت تتكلم. أخشى أن أفقد الكعكة الضخمة و أخشى من الإعدام فى السوق لكنى أرى أنك على حق. قلت فى نفسى: احمى «جيمى» و «جيمى» سيحميك. أنت آخر كارت فى يدى.

بدأت أفهم و سألته:

- هل تريد أن تقول أننا فقدنا كل شيء؟

أجاب:

- نعم بالتأكيد. السفينة رحلت يا « جيمى». أفقد صوابى عندما أنظر إلى الخليج و لا أرى السفينة.. أعلم غلطتى لكننى مسالم. أما هؤلاء هم حمقى و جبناء. سأنقذك رغم أنفهم لو كنت أرغب ذلك. لكن انتبه يا « جيمى» عدنى أن تنقذنى من حبل المشنقة.

دُهشت من كلامه. يبدو لى إنقاذه مستحيلاً فقلت:

- أعدك أن أفعل كا ما أستطيع.

قال:

- اتفقنا. أنت تتكلم بالعقل و أعتقد لدى أمل.

عاد إلى المصباح و أشعل غليونه و قال:

- افهمنى يا « جيمى»، أنا أفكر جيدًا. أنا فى جانب الفارس حتى الآن. أعلم أنك وضعت السفينة فى مكان آمن . أعتقد أن «أوبريان» و «هاندز» منافقان. لا أثق فى أى منهما. سجل كلامى هذا. أنا لا أطرح الأسئلة. أعلم ماذا يعنى الوطن و أعلم كلمة الشرف. آه! أنت شاب صغير. أنت و أنا نستطيع فعل أشياء كثيرة جميلة.

غرف من برميل الكونياك و سألنى:

- هل تريد الكونياك يا صديقى؟

رفضت فقال:

- حسنًا، انا أحتاج كأس يا «جيمى». أشعر بالفوضى داخلى. قل لى يا «جيمى» لماذا لا يعطينى الطبيب الخريطة ؟

دُهشت كثيرًا من سؤاله و يبدو أنه لاحظ ذلك فقال:

- فى النهاية هذا لا يهمنى. بالتأكيد يوجد أشياء أجهلها.. بالتأكيد يا «جيمى» أشياء جميلة و أشياء قبيحة.

شرب كأس آخر من الكونياك و هو يدير رأسه الأشقر الضخم.

●●●

(٢٩)

كان القراصنة يتحاورون فيما بينهم بالخارج ثم أتى أحدهم وقدم التحية بأدب و طلب اقتراض المصباح . بدت لى التحية ساخرة لكن «جون» منحها له. انصرف الآخر و بقينا فى العتمة. قال «جون» بنبرة ودودة:

- الوقت يمر بسرعة يا «جيمى».

لمحت من الثغرة القريبة لهيب النيران يكاد يخفت و أدركت لماذا طلبوا المصباح. يتجمعون تحت التل فى منتصف الطريق إلى الحواجز. أحدهم يمسك المصباح و الآخر يجلس وسطهم و لمحت بريق شفرة السكين الحاد فى يده. الآخرون يتابعون العملية. كل ما أستطيع رؤيته هو السكين بالإضافة إلى كتاب و دُهشت من هذا الكتاب. ثم هب الرجل الذى يتوسطهم متجهًا إلى المنزل والآخرون يتبعونه. قلت:

- إنهم قادمون.

درت فى مكانى خوفًا من تجسسهم و قال «جون» مبتهجًا:

- قادمون يا ولدى. قادمون. مازال لدى مناورات كثيرة.

فُتح الباب. الرجال الخمسة يقفون على العتبة يتقدمهم رجل بخطوات بطيئة مترددة فى مشهد كوميدى. قال «جون»:

– تقدم يا ولدى لن آكلك. تقدم يا بحار المياه الهادئة. أعلم القوانين كما ترى. لا أؤذى مبعوث.

هذا التشجيع دفع القرصان للتقدم و وضع شىء ما فى يد «جون» ثم عاد إلى جوار أعوانه المتمردين. نظر «جون» إلى ما فى يده و قال:

– البقعة السوداء! من أين أتيتم بهذه الورقة؟ لا يمكن بالمصادفة! قمت بقصها من الكتاب المقدس! ما هو أحمق من تشويه الكتاب المقدس؟

قال «مورجان»:

– من هُناك! هُناك! أترى؟ ماذا أقول لك؟ لن يأتى الخير منها أبدًا.

استكمل «جون»:

– حسناً، الآن يجب ترتيب كل شىء. ستُعدمون على ما أعتقد. من هو الأهوج الذى كان يحملها؟

أجاب أحدهم:

– «ديك».

– «ديك» حقًا؟ إذًا «ديك» يوحى إليه من الرب. تلقيت شريحتك فى الوقت المُناسب يا «ديك».

الرجل النحيل الطويل ذو العيون الصفراء قاطعه:

– دعك من هذا يا «جون». كفى نقاشًا. هذا الطاقم كافأك بالبُقعة السوداء فى جلسة عامة على حسب التقاليد، و يجب أن تُعيدها لنا حسب التقاليد أيضًا. اقرأها ثم نتحاور.

قال «جون»:

– أشكرك يا «جورج». أنت عملى جدًا و تحفظ كل القوانين. أنا سعيد جدًا للتحقق من هذا. حسنًا، ما هذا؟ انظروا؟ آه..

ثم وضعها أمامهم و أكمل:

– إنها فعلاً البُقعة السوداء مكتوبة بخط جيد جدًا مثل المطبعة. هل هذا خطك يا «جورج»؟ ستُصبح مُهمًا فى هذا الطاقم. لن أُدهش إن أصبحت زعيم بسرعة. هيا إذًا ألا تُعيدون لى المصباح؟ شُعلة غليونى ليست جيدة.

تقدم «جورج» و هو يقول:

– لنرى. لكن لا تسخر كثيرًا من هذا الطاقم. نعلم إنك تُحب المزاح لكنك لا تُساوى شيئًا الآن و يجب أن تنزل من هذا البرميل لتأخُذ مكانك.

قال «جون» ساخرًا:

– أعتقد أننى سمعتك تقول أنك تعلم القوانين. و على كل حال إن لم تعلمها فأنا أعلمها جيدًا و سأنتظر فى مكانى وأنا

زعيمكم دائمًا .. إلى أن تفصحوا عن شكواكم، و فى جميع الأحوال بُقعتك السوداء لا تُساوى أكثر من قطعة بسكويت و بعد ذلك نرى ما سنفعل.

قال «جورج»:

– آه! اتفقنا جميعًا. أول نقطة لقد أثرت الفوضى فى الرحلة، النقطة الثانية تركت أعداءنا يهربون من هذا الفخ دون مقابل، لماذا تركتهم يرحلون؟ لا أعرف لكن من المؤكد أنهم تحت سيطرتنا. النقطة الثالثة لم تترك لنا الفرصة لهجومهم، كلنا نلاحظ أنك تحاول خداعنا، و رابع نقطة هى هذا الصبى.

سأل «جون» بهدوء:

– هل هذا كل شىء؟

احتج «جورج»:

– و هذا يكفى! ستُعدم بسبب أخطائك.

– حسنًا، و الآن اسمعونى جيدًا، سأُجيب على النقاط الأربعة الواحدة تلو الأخرى. أثرت الفوضى فى الرحلة؟ كلكم تعلمون ما أريد، تعتقدون إن لم أفعل ذلك لأصبحنا الآن على سطح «إسبانيولا» و نعيش فى نعيم، نشرب و نأكل فى سعادة والكنز معنا. لماذا فعلت ذلك رغم أننى الزعيم الرسمى؟ ما الذى أدى إلى إفساد البقعة

السوداء يوم وصولنا إلى الأرض؟ حدثت فوضى كثيرة، أنا معكم حدثت فوضى كبيرة على رصيف المشانق بالقرب من المدن الإنجليزية، نعم و من فعل ذلك؟ لكن «أندرسون» و«هاندز» و أنت يا «جورج»! أنت آخر المُنضمين إلى هذا الفريق، أنت المتهور ترغب فى الزعامة بدلاً منى، أنت السبب فى كل المشاكل.

توقف «جون» برهة و لاحظت فى ملامح «جورج» و أعوانه أنهم صامتون لسبب ما. ثم استكمل «جون» صارخًا حتى اهتزت أركان المنزل كله:

– هذا بالنسبة للنقطة الأولى لكنى أعلم أن حديثى معكم بلا معنى، أنتم لا تفهمون و لا تتعلمون و لا أعلم كيف أرسلتكم أمهاتكم لتعملوا فى البحر؟ هل أنتم رجال ثروة أذكياء؟ لا تجيدون العمل إلا فى تفصيل الملابس.

اندفع «مورجان» قائلاً:

– هيا، استكمل الإجابة على بقية النقاط.

– آه بقية النقاط! أليس الأمر جيد؟ تقولون أننى أفسدت الرحلة. هل تعلمون كيف تسير الأمور؟ نحن قريبون جدًا من المشنقة حتى أننى أشعر برأسى تتصلب و تعجز عن التفكير. رأيتم بأنفسكم المشنوقين. أرى نفسى مشنوقًا و البحارة تشير إلىّ فى تساؤل من هذا؟ فيُجيب الآخر إنه «جون الطويل»،

أعرفه جيدًا. أسمع صوت السلاسل التى يُجرونا بها. هذا ما نحن قريبون منه وأصبحنا جميعًا فى هذا الموقف بسبب «هاندز» و«أندرسون» وبعض الحمقى منكم. أما بالنسبة للنقطة الرابعة، هذا الصبى ما هو إلا رهينة، ألا نأخذ هذه الرهينة؟ إنه آخر أمل لدينا، تريدون قتله؟ لن يحدث هذا أبدًا. و بالنسبة للنقطة الثالثة لدى أشياء كثيرة حول النقطة الثالثة، ألا تعلمون أهمية الطبيب الذى يعالجكم. لقد عالجك يا « مورجان» من قبل كما عالج «جورج» عندما كان محمومًا منذ ست ساعات فقط، كما أننا نحتاجه لحمايتنا و لا نعلم طريقة لكى نجبره للعودة إلا بهذه الرهينة. بالنسبة للنقطة الثانية لماذا أقوم بالقيادة؟ لقد ركعتم تحت أقدامى لتولى القيادة، لولا قيادتى لمتم جوعًا. أنتم سُفهاء.

قال ذلك ثم ألقى الورقة التى عرفتها بسرعة. إنها الخريطة الأصلية على ورقة صفراء و مدون عليها الصلبان الحمراء، إنها الخريطة التى وجدتها فى اللفافة المغلفة بالشمع فى حقيبة القبطان. لماذا منحها له الطبيب؟ لم أستطع الوصول إلى سبب مقنع.

دُهشت كثيرًا مما حدث بينما قفز المتمردون فى نشوة وبهجة، يقفزون مثل قطط تطارد الفئران، مرت الخريطة من يد إلى يد وهم يتصايحون فى فرح و يفحصونها بدقة. لا يحلمون بالذهب فقط بل تخيلوا أنفسهم حاملين الذهب و يعودون فى أمان. قال أحدهم:

– نعم، بالتأكيد خريطة «فلان». هذا أسلوبه فى الرسم وهذا توقيعه.

سأل «جورج»:

– حسنًا، لكن ماذا نفعل بعد الحصول على الذهب و نحن بلا سفينة؟

قفز «جون» من فوق البرميل وصرخ:

– هذا ما أفكر به يا «جورج». كيف نحمل الكنز؟ ألم تفكر فى هذا من قبل؟ عليك أنت أن تجيبنى.. أنت و كل من شارك فى فقدان السفينة بحماقتهم. ستذهبون إلى الجحيم. أنتم عاجزون عن تحمل المسئولية، تنقنق مثل دجاجة بلهاء، لكن يجب أن تكون مهذبًا.

قال العجوز «مورجان»:

– ها قد حصلنا على الخريطة.

استكمل «جون»:

– جميل أننا عثرنا على الخريطة. سنحصل على الكنز لكننا فقدنا السفينة الآن. عليكم أن تختاروا زعيمًا لكم.

هتفوا جميعًا:

– «جون»! الخنزير المشوى دائمًا! يحيا الخنزير المشوى! الخنزير المشوى زعيمنا.

قال «جون» منتصرًا:

- إنها أنشودة جديدة. «جورج»، عليك أن تنتظر فرصة أخرى ويجب أن تكون سعيدًا لأننى لست انتقاميًا. و الآن يا أصدقائى ماذا نفعل بهذه البقعة السوداء؟ ليست مهمة جدًا؟ «ديك» أضاع الفرصة عندما مزق الكتاب المقدس.

غمغم «ديك» خائفًا وهو يقدم الكتاب المقدس:

- مازلت على عهدى.

أعلن «جون» ساخرًا:

- الكتاب المقدس ينقصه قطعة، هكذا ما هو إلا كتاب أناشيد.

قال «ديك» مبتهجًا:

- حقًا؟ لكن يجب الاحتفاظ به.

قال «جون» وهو يقدم لى الورقة:

خُذ يا «جيمى»، هذا يثير فضولك.

الورقة تكاد تكون فى حجم درع كبير، إحدى أركانها كتابات مقدسة متصلة بالورقة السابقة و فى الركن الآخر نجد آيات عن نهاية العالم. الكلمات صدمتنى بشدة (فى العتمة الخارجية نجد

أماكن مشبوهة و الثغرات). كان الجزء المطبوع مخفى بالكربون الذى مسحته بإصبعى و رأيت كلمة (نزول) ثم أشكال غامضة بزوايا مختلفة

هكذا مرت الليلة صاخبة و ذهبنا للنوم بعد الشراب. «جون» هدد «جورج» بالقتل إن لم يخضع للأوامر بدقة.

مرت فترة طويلة دون أن أستطيع النوم. كنت أفكر فى أشياء كثيرة. القتل الذى قمت به فى الصباح، المخاطر الشديدة حولى الآن و ألاعيب «جون» الخطيرة.. من ناحية يسيطر على المتمردين و من ناحية أخرى يسعى جاهدًا لإنقاذ حياته. إنه ينام الآن بهدوء و بدأت أشفق عليه من الفخ الذى ينتظره.

●●●

(٣٠)

استيقظت- أو بمعنى أدق استيقظنا جميعًا لأننى رأيت الحارس يقفز على دُعامة الباب- مع صوت يأتى من المكان المكشوف فى الدغل: ياحارس أنا الطبيب.

كان الطبيب نفسه ينادى. ابتهجت بلقاءه فى ارتباك، تذكرت هروبى و المخاطر التى واجهتها و خجلت من مواجهته. يبدو أنه استيقظ أثناء الليل لأننا فى لحظة الصباح الأولى. جرينا إلى الثغرة و رأيت الطبيب واقفًا وسط الضباب و «جون» أيضًا هب واقفًا. صرخ «جون» قبل أن يستكمل يقظته:

- أنت يا طبيب، تستيقظ مبكرًا جدًا، تستيقظ مع طيور الصباح لتحصل على غذاء جيد. «جورج» نكس سلاحك و عاون الطبيب للصعود إلينا. الأمور جيدة سعيدة و نسير فى الطريق الصحيح.

وقف أعلى التل مستندًا على عكازه و يستند باليد الأخرى على دعامة المنزل الخشبى. عاد إلى هيأته الأولى، «جون القديم». استكمل:

- و الآن لدينا مفاجأة حقيقية لكم سيدى. لدينا زائر صغير.. مقيم جديد يا سيدى و نستبشر خيرًا بوجوده. إنه نائم مثل المفوض الرسمى جوار «جون». كان جوارى طوال الليل.

كان الطبيب «ليفسى» قد صعد الحاجز و أصبح قريبًا من «جون». تغيرت نبرة صوته و هو يسأل:

- هل هو «جيمى»؟

- نعم «جيمى» و لا أحد غيره.

توقف الطبيب برهة صامتًا عاجزًا ثم قال:

- حسنًا، الواجب قبل المزاح كما تقول يا «جون». يجب أن نهتم بمرضانا.

بعد برهة دخل أبراج المراقبة و أشار لى برأسه بخفة وبدأ فى معالجة مرضاه. لا يبدو عليه أى خوف رغم أنه يدرك أن حياته معلقة بشعرة وسط هؤلاء الشياطين. بدأ الحوار مع المرضى بهدوء كما لو كان يحاورهم ببساطة فى إنجلترا. من عادته، على ما أعتقد التعامل بإنسانية و تعامل المرضى معه كأنهم قد نسوا كل ما حدث. يتعاملون معه كأنه مازال طبيب السفينة و هم من البحارة الأوفياء. قال للمصاب فى رأسه:

- ستتحسن حالتك بسرعة يا صديقى. أعتقد أن رأسك صلبة مثل الحديد. و أنت يا «جورج» كيف حالك؟ لون وجهك أفضل الآن لكنك لا تفكر بشكل جيد. هل أخذت الدواء؟ يا رجال هل يأخذ دواءه؟

أكد «مورجان»:

- نعم سيدى.

قال الطبيب:

- كما ترون، منذ أصبحت طبيب المتمردين.

ثم استكمل بصوت هادئ:

- أو بمعنى أدق طبيب السجن، أعمل جاهدًا حتى لا أفقد رجل واحد منكم بسبب المرض و لا المشنقة.

تبادلوا النظرات فى صمت ثم قاطع أحدهم:

- «ديك» ليس بخير سيدى.

سأل الطبيب:

- حقًا؟ تعالى هنا يا «ديك» و أرنى لسانك.. بالتأكيد، سأندهش لو كان فى حالة جيدة. لسانه يخيف الفرنسيين. إنها حالة جديدة من الحمى.

قال «مورجان»:

- لأنه أفسد الكتاب المقدس.

قال الطبيب:

- إنها نتيجة عمله كما تقولون، إنه مثل الحمار الوحشى، لا يعرف السموم و طبيعة الأرض المغلقة و أوبئة المستنقعات. من المحتمل جدًا أن يعديكم بالملاريا. يجب عزله. أندهش من موقفك يا «جون» على رغم خبراتك لكنك لا تراعى الأصول الصحية.

ثم دار على المرضى و هو يقدم العلاج بكل هدوء و يمازحهم كأنه يتعامل مع تلاميذ و ليس قراصنة ثم قال:

- حسنًا، هذا يكفى اليوم و الآن أريد التحدث مع هذا الصبى.

ثم أشار لى برأسه فى إهمال.

كان «جورج» يبصق الدواء المر أمام الباب ثم عاد يؤكد رفضه الدواء. ضرب «جون» البرميل بيده و صرخ:

- هدوء.

ثم استكمل بصوته المعتاد:

- يا طبيب، نعلم ضعفك أمام هذا الصبى و فكرت فى ذلك كثيرًا. كلنا نعلم طيبة قلبك و كما ترى نثق بك كثيرًا و نبتلع دواءك مهما كان، و أعتقد أننى وجدت طريقًا يُريح الجميع.. «جيمى»، ما هو رأيك فى رجل الثروة الذكى، لأنك تعلمه منذ نعومة أظافرك؟ رأيك بكل شجاعة.

أكدت له أننى ما زلت على عهدى. قال «جون»:

– أيها الطبيب، خارج الحصن سأعاملك بكل تقوى لكن داخل الحصن الأمور تتعقد. أتمنى لك صباحًا طيبًا سيدى و كل تحياتنا للفارس و القبطان «سموليت».

كانت النظرات وحشية فى عينيى «جون» حتى أن الطبيب غادر المنزل فورًا. فى الحقيقة يلعب «جون» دورًا مزدوجًا. يسعى لتأمين نفسه و لا يضحى بعلاج أعوانه و ضحاياه. بهذا الشكل نلتمس له العذر. تبدو خيانته واضحة أمامى حتى أننى تساءلت كيف يستطيع التحكم فى انفعالاته. يا له من داهية. انتصاره بالأمس أكسبه مكانة رفيعة. يتعامل معهم على أنهم حمقى ضعفاء. رفض أن يتحاور الطبيب معى ثم أشار لهم بالخريطة وهو يسألهم فى سخرية إن كانوا سيخالفون العهد يوم الإستيلاء على الكنز. ثم صرخ:

– لا، نحن الذين سنخالف العهد فى الوقت المناسب. إلى أن يحدث هذا سأخفى الطبيب حتى لا أضطر إلى غسل حذاءه بالكونياك.

أمرهم بإشعال النيران و خرج مستندًا على عكازه من ناحية و على كتفى من الناحية الأخرى. تركنا المتمردين فى ارتباك وصمت بسبب تقلباته ثم قال لى:

- لا تتعجل يا صغير. سيهجمون فى لمح البصر لو رأونا نتعجل.

اتجهنا إلى الناحية الأخرى من الحصن حيث ينتظرنا الطبيب. عندما اقتربنا توقف «جون» وقال:

- يجب الانتباه لما يحدث يا طبيب. الشاب الصغير سيقص لك كيف أنقذت حياته. يا طبيب، عندما يحكم رجل وسط العواصف وعندما يمارس عمله حتى النفس الأخير لا تنتظر منه الكثير ويجب أن تتحدث معه بود. الأمر لا يتعلق بحياتى أنا فقط بل بحياة هذا الصبى أيضًا. يجب أن تتحدث معى برفق وتمنحنى الأمل لاستكمال عملى للنهاية، على سبيل الرحمة.

خارج أبراج المراقبة، و هو يدير ظهره لأعوانه أصبح «جون» رجلاً آخر، شاحبًا مرتجفًا يتحدث بجدية تامة. سأله الطبيب «ليفسى»:

- ألا تخاف يا «جون»؟

- لست جبانًا و أعتمد على ذراعى، و لو كنت جبان لن أكشف مخاوفى. لكنى أرتجف من فكرة الإعدام. أنت رجل حكيم حقًا، لم أرى من هو أحكم منك. لا يجب أن تنسى أعمالى الخيرة ولا تنس شرورى، أنا أنسحب كما ترى و أقايض حياتى بحياة «جيمى» و تعلم ذلك بوضوح.

قال ذلك ثم تراجع خطوات للخلف بحيث لا يستطيع سماعنا، جلس على سلة يلهث، يلتفت من حين لآخر لمتابعتنا أنا و الطبيب ومتابعة القراصنة الذين ينهمكون فى إشعال النيران و إعداد الطعام فى الناحية الأخرى.

قال لى الطبيب:

- أصبحت أسيرًا لديهم. ستدفع ثمن أخطائك يا ولدى. الرب وحده يعلم أننى لا ألومك و لا أعاتبك. حتى عندما يستعيد القبطان «سموليت» صحته لن تستطيع الفرار منهم. تعلم أنه مريض و لا يستطيع مواجهتهم.

بكيت و أنا أقول:

- أرجوك اطلق سراحى. أعلم أننى ارتكبت أخطاء كثيرة. كنت سأُقتل إن لم ينقذنى «جون». صدقنى يا طبيب كنت سأموت وأعلم أننى أستحق ذلك لكنى أخشى التعذيب لو عذبونى...

قال لى الطبيب بنبرة مختلفة:

- «جيمى»، لا أرغب فى ذلك. اقفز من الحواجز و اهرب.

- لقد وعدتهم يا طبيب.

- لا أعرف.. الموقف خطير! أتحمل كل المسئولية دون تردد، أشعر بالخجل و تأنيب الضمير يا ولدى لكن أن تبقى هنا، لا. اقفز! بقفزة واحدة ستصبح خارج الحواجز و نهرب معًا.

أجبته:

– لا. تعلم جيدًا أنك لا تستطيع ذلك، و لا الفارس و لا القبطان و أنا لن أفعل ذلك أبدًا. «جون» يثق فىّ و أنا وعدته وسأفى بوعدى. سأبقى. لكن يا طبيب لا تتركنى تمامًا. لو عذبونى سأتحرر من وعدى و أعود إلى مكان السفينة. لقد استوليت عليها بالمصادفة و ليس بالقوة و هى توجد فى خليج الشمال، على الشاطئ الجنوبى فى عرض البحر تقريبًا، وسط التيار.

هتف الطبيب:

– السفينة!

شرحت له كل مغامراتى و استمع لى بهدوء ثم قال:

– إنها لعبة مصيرية. أنت الذى أنقذت حياتنا. هل تعتقد أننا سنتركك؟ مستحيل يا ولدى! أنت اكتشفت المتآمر، التقيت «بن جان».. هذا أفضل ما قمت به.. المشكلة الحقيقية فى «جون» هذا هو رأيى..

فى هذه اللحظة اقترب «جون» و قال له الطبيب:

– بالنسبة للكنز، لا داعى للتعجل كثيرًا.

قال «جون»:

– أرتب الأمور بشكل جيد سيدى، لكنى آمل أن تحمى حياتى و حياة هذا الصبى أثناء البحث عن الكنز.

- حسناً يا «جون»، طالما اتفقنا سأذهب بعيدًا. يجب الانتباه عندما تعثروا عليه.

- سيدى تحدثنا كثيرًا عن أعمالنا. ما هو هدفك عندما خرجت من الحصن و لماذا منحتنى الخريطة؟ لا أعلم لماذا فعلت ذلك؟ و مع ذلك أعمل حسب إرادتك، أغلق عينى دون أن أسمع أية كلمة منك لكن يجب أن تفسر لى لماذا فعلت ذلك.

فكر الطبيب مليًا ثم قال:

- لا. ليس من حقى أن أقول أكثر من ذلك. الموضوع لا يخصنى يا «جون». لو كان يخصنى لأفصحت لك عن كل شىء لكنى سأذهب معك لأبعد مدى. لو لم تخدعنى. أول نقطة أمنحك بعض الأمل يا «جون». لو خرجت أنا و أنت سالمين من هذا الفخ سأفعل كل ما فى استطاعتى لانقاذ حياتك.

ضحك «جون»:

- لم أسمع كلمة أفضل من هذا.

استكمل الطبيب:

- هذه النقطة الأولى. الثانية هى رأيى. احفظ الصغير جيدًا بجوارك و عندما تحتاج النجدة لا تردد. سأعاونك و هذا يثبت لك صدق نيتى. إلى اللقاء يا «جيمى».

ضغط الطبيب على يدى و أحنى رأسه بالتحية ثم اتجه إلى الدغل بخطوات سريعة.

●●●

(٣١)

بعد انصراف الطبيب قال لى «جون»:

– «جيمى»، أنقذت حياتك و أتوقع منك رد الجميل. لن أنسى لك ذلك، لمحت الطبيب و هو يشير لك بالهرب و رأيتك ترفض و سمعت كلمة (لا) منك بوضوح، هذا أول شعاع أمل منذ بداية المعركة. أنا لا أدين لأحد غيرك. و الآن يا «جيمى» سنبدأ فى الاستيلاء على الكنز بتعليمات سرية. يجب أن يكون كلاً منا جوار الآخر لنحمى حياتنا من هؤلاء الحمقى.

فى هذه اللحظة نادانا أحد الرجال من جوار النيران لتناول الإفطار. جلسنا على الرمال الناعمة لتناول وجبة مكونة من البسكويت و اللحم المقلى. أشعلوا نيران تكفى لشوى بقرة كاملة وهكذا أصبح من المستحيل البقاء جوار النيران من ناحية الريح. يبدو أنهم طهوا طعامًا أكثر من ثلاثة أضعاف حاجتنا. رأيت أحدهم يلقى بالمتبقى من الطعام فى النيران. لا يفكرون فى الغد أبدًا، لا يفكرون إلا فى اليوم فقط، إنه أسلوب حياة. لا يهتمون إلا بالطعام الكثير و النوم المريح ثم يقومون بمناوشات خطيرة. لا يتأقلمون أبدًا مع حياة الريف.

حتى «جون» الذى كان يلتهم طعامه بشراهة و الببغاء «قبطان فلان» يقف على كتفه، لم يلمهم على هذا الإسراف و هذا ما أدهشنى ثم قال:

- آه أيها الأوغاد، يجب أن أفكر بالنيابة عنكم. عرفت ما كنت أبحث عنه. السفينة معهم لكن لا أعلم مكانها حتى الآن، عندما نحصل على الكنز يجب أن نستولى عليها. و طالما أننا نملك المدفع فنحن الأقوى.

كان يتحدث و يشعرهم بالأمل و هو يحشر الطعام فى فمه بطريقة فظة بينما أنا أتشكك فى نجاحهم. ثم استكمل:

- بالنسبة للرهينة، هذه آخر مقابلة مع أعوانه. توفرت لى معلومات جديدة عن طريقه. سأحتفظ به أثناء الاستيلاء على الكنز. سنهتم به كأنه من الذهب، قد نحتاجه إذا تعقدت الأمور، و عندما نحصل على الكنز و نستعيد السفينة نعود إلى البحر بصحبة جميلة لكن علينا أن نتحاور مع السيد «جيمى» لترتيب الأمور.

من المدهش أن الرجال ما زالوا فى حالة جيدة حتى الآن، أما أنا أشعر بمرارة هزيمتنا. الخطة المقترحة معقولة جدًا. «جون» يخون الطرفين و له وجود فى الجبهتين. من المؤكد أنه يفضل جانب القراصنة حيث الثراء و الحرية. من جانبنا لن يستفيد بشىء سوى إنقاذ حياته.

حتى لو الظروف أجبرته على الالتزام بعهده مع الطبيب «ليفسى» ستظل المخاطر تطاردنا. قد تتحول رغبات و هموم القراصنة فى آية لحظة حسب الظروف، بينما أنا و هو علينا الدفاع عن حياتنا، هو المشلول و أنا الصبى ضد خمسة بحارة أشداء غلاظ.

ما يضاعف من المخاوف هو سلوك أصدقائى. لماذا تركوا الحصن دون مقابل؟ لماذا منحوهم الخريطة؟ لماذا التحذير الأخير من الطبيب «ليفسى»: انتبه عندما يعثرون على الكنز؟ كل هذه الأفكار جعلتنى أتناول الطعام دون تذوقه.

بدأت أول خطوة فى طريق الكنز. كان علينا أن نتجهز جيدًا. كلهم يرتدون ثياب البحر القذرة، و كلهم إلا أنا مدججين بالسلاح. «جون» يحمل بندقيتين بالإضافة إلى سكين ضخم فى الحزام ومسدس فى كل جيب، أما الببغاء يقف على كتفه يصيح مبتهجًا. يربطنى بحبل يقبض على طرفه الآخر بيده و أحيانًا بأسنانه القوية. أصبحت مثل دب مروض.

الآخرون يتمتعون بتسليحات مختلفة. بعضهم يحمل المعاول التى أتوا بها من إنجلترا بالإضافة إلى المهمات الأخرى مثل اللحوم و البسكويت و المياه. حصلوا على كل هذا الطعام من مخزوننا. وتأكدت من صدق حديث «جون» بالأمس لو لم يرتب

أموره مع الطبيب فإن اختفاء السفينة يسبب له مشكلة كبيرة. من المعلوم أن البحارة ليسوا ماهرين فى إطلاق النيران، لا يجيدون استخدام البنادق و لا المدافع.

انطلقنا تحت قيادة «جون» الذى يتقدمنا بهدوء إلى الشاطئ حيث ينتظرنا قاربان. بدا القاربان سكارى مثل القراصنة، أحدهما مكسور فى دعامته الوسطى و الاثنان غارقان فى الوحل، كان يجب أن نأخذهما للتأمين و أبحرنا فى المرسى الشفاف.

أثناء التجديف كانوا يتحاورون حول الخريطة. من الواضح أن الصلبان الحمراء الضخمة لتحديد المكان، الرسومات حول الآيات غامضة. على ما أتذكر مكتوب عليها (شجر- ضخم- دعامة- المشهد الواسع» فى اتجاه الشمال الشرقى، جزيرة الهيكل العظمى ربع درجة فى اتجاه الشمال، عشر خطوات).

إذًا هدفنا محدد بالشجر الضخم. المرسى محاط بالصخور على ارتفاع مائتين أو ثلاثمائة قدم و يهبط فى اتجاه الشمال بدعامة جنوبية للـ «المشهد الواسع» و هى تطل فى اتجاه الجنوب على هاوية يطلقون على هذا المكان اسم «أرتيمون». على الصخور نجد كميات كبيرة من أشجار الصنوبر بارتفاعات مختلفة ثم نجد بعض الصنوبريات المميزة معزولة فى أماكن متفرقة و هى ترتفع إلى أكثر من خمسين أو أربعين قدمًا عن بقية الأشجار. لكى

نعـرف الشـجر المحـدد مـن القبطـان «فـلان» لابـد مـن الاسترشـاد بالبوصلـة.

قبـل أن نصعـد نصـف الطريـق كان كل واحـد منهـم يفكـر فـى مصلحتـه. «جـون» الطويـل يوجههـم فـى ثقـة و يطالبهـم بالتريـث.

أبحرنـا بهـدوء حسـب أوامـر «جـون» الـذى يخشـى علـى رجالـه مـن الإرهـاق، و بعـد رحلـة طويلـة وصلنـا إلـى مصـب النهـر الثانـى الـذى يرتبـط بالمشـهد الواسـع بأخـدود بـه أشـجار كثيفـة، هنـا يجـب الميـل نحـو اليسـار و صعدنـا السـفح.

الأرض هنـا داكنـة و موحلـة. المسـتنقعات تعرقـل تقدمنـا لكـن تحولت إلـى صخريـة مـع الصعـود و تبـدل شـكل الدغـل و بـدت مسـاحات فارغـة. فـى الحقيقـة هـذا المـكان هـو الأروع فـى كل أركان الجزيـرة. نشـتم رائحـة الزهـور و الأعشـاب النديـة. أشـجار جـوزة الطيـب و الصنوبـر تفـرش ظلالهـا و تتنافـس فـى الروائـح الطيبـة. الهـواء طازجًـا منعشًـا تحـت أشـعة الشـمس حتـى وصلنـا إلـى دعامـة رائعـة.

قفـز الجميـع فـى نشـاط محمـوم. فـى الوسـط كنـت أنـا و «جـون» نتابعهـم بهـدوء. أعاونـه مـن حيـن لآخـر حتـى لا يسـقط فـى المنحـدر، جرينـا لمسـافة نصـف ميـل حتـى وصلنـا إلـى سـفح جديـد. هنـا صـرخ أحدهـم فـى رعـب و جـرى الجميـع لنجدتـه. صـرخ «مورجـان» الـذى كان فـى جهـة اليمـين:

- من الممكن أن يكون قد وصل إلى الكنز.

لكن الحقيقة عكس ذلك تمامًا. تحت شجرة صنوبر ضخمة عثرنا على بعض العظام، هيكل بشرى تحت الأرض مع ملابس رثة. ارتجفت قلوبنا جميعًا. تقدم «جورج» ليفحص الملابس ثم قال:

- إنه رجل بحر. هذه ثياب بحار.

قال «جون»:

- حسنًا، حسنًا، أمامنا فرصة جيدة. ألا تعرف عدم وجود مطران هنا. ماذا يعنى هذا؟ عظام موضوعة بعناية؟ الأمر غير طبيعى.

بالفعل اكتشفنا العظام مرصوصة بشكل غير طبيعى. ربما تكون الفوضى بسبب الطيور التى تقتات على الجثة أو بسبب نمو جذور النباتات. السيقان فى اتجاه بينما الذراعان فوق رأسه مثلما يفعل الغطاسون. قال «جون» ملاحظًا:

- أتتنى فكرة. هنا بالبوصلة. هنا قيمة جزيرة الهيكل العظمى. نتقدم هنا بمحاذاة هذا الهيكل.

أطاعه الجميع. الهيكل موجه بشكل دقيق إلى الجزيرة، إلى نفس الاتجاه المشار إليه فى الخريطة. صرخ «جون» منتصرًا:

– أنا متأكد من ظنى، إنها علامة مميزة. علينا أن نتجه إلى اليمين. لكنى أرتجف عندما أتذكر «فلان». هنا مزحته، لا يوجد ما نخشاه. رأيته هنا مع ست رجال و قتلهم جميعًا. دفن هذا هنا ليكون بوصلة موجهة إلى المكان المنشود. هذا الهيكل العظمى للرجل الأشقر. ربما يكون «آلارديس» ألا تذكر «آلارديس» يا «مورجان»؟.

أجاب «مورجان»:

– نعم أذكره. أنه مدين لى بمليم و ناولنى السكين عند الإبحار.

قال آخر:

– طالما أننا نتحدث عن السكاكين لماذا لا نجد سكاكيننا فى المنطقة المحيطة بنا؟ ليس من عادة «فلان» أن يفرغ جيوب البحارة و الطيور تعجز عن حمل السكاكين.

قال «جون»:

– معك حق.

قال «جورج» و هو يبحث فى الأرض حول الهيكل:

– لم يبقى أى شىء. لا يوجد إلا علبة دخان. الأمر ليس طبيعى.

قال «جون» و هو يتفكر فى الأمر:

– يا له من داهية. كانوا ستة مثلنا و لم يبقى منهم إلا العظام. هل مازال «فلان» حيًا.

قال «مورجان»:

– رأيته بنفسى ميتًا. «بيلى» هو ما جعلنى أعاينه. كان مدفونًا هنا مع قطعتين من النقود.

قال «جون» فى آسى:

– مات، نعم بالتأكيد، لكن هل تعود الروح؟

أكد آخر:

– كان يصرخ عندما يرى الروم و أحيانًا ينشد: كنا خمسة عشر. إنها أنشودته المفضلة يا أصدقائى و لا أحب سماعها منذ هذا اليوم. الحر شديد و أنا أسمع هذه الأنشودة بوضوح الآن.

قاطعه «جون»:

– هيا، هيا، لا داعى للذكريات الآن. مات و لن يعود على حد علمى. و فى كل الأحوال لن يعود فى وضح النهار. يجب أن تتأكدوا من ذلك إلى الأمام.

تقدمنا و لهث القراصنة تحت أشعة الشمس الحارقة و هم يتحدثون فيما بينهم بصوت منخفض يخشون روح «فلان».

●●●

(٣٢)

تحت تهديد المخاوف الغامضة و من أجل راحة «جون» و«المرضى» استلقى الجميع عند وصولنا أعلى التل.

انحدار الجبل بسيط من ناحية الغرب و الأرض تمتد من الجانبين. أمامنا وسط قمم الأشجار نكشف رأس الدغل فى مواجهة زبد الموج، خلفنا فى الأسفل نجد المرسى و جزيرة الهيكل وهى تمتد فى اتجاه الشرق إلى مساحات بعيدة. فوقنا جبل المشهد الواسع حيث توجد بعض أشجار الصنوبر معزولة متصدعة تفرش ظلالها. لا نسمع إلا الريح تهب من بعيد و من كل الاتجاهات بالإضافة إلى تغريد الطيور فوق الأشجار. لا يوجد هنا أى كائن بشرى، لا يوجد أى شراع فى البحر، لا يوجد إلا العزلة و الوحشة.

جلس «جون» يتأمل المكان ثم قال:

– هنا ثلاث أشجار ضخمة، وبمحاذاة جزيرة الهيكل العظمى وسط جبل المشهد الواسع. على ما أعتقد أنها القمة المنشودة. أما كلمة (موضوعة) ما هى إلا لعبة للوصول إلى البضاعة.

غمغم «مورجان»:

- و أنا لست متعجلاً. عندما أفكر فى «فلان» أشعر أن كل شىء..

قاطعه «جون»:

- آه! لهذا تخاف يا بنى. من حسن حظك أنه مات.

صرخ قرصان ثالث و هو يرتجف:

- كان قبيحًا مثل الشيطان. وجهه أزرق!..

أضاف «جورج»:

- الروم هو ما يجعله كذلك. أزرق. أتذكر أن وجهه أزرق.

عندما وصلنا إلى جزيرة الهيكل العظمى بدأت المخاوف تراودهم، بدأوا يتحدثون بصوت منخفض و الآن حديثهم همسًا و لا شىء يخدش الصمت إلا همسهم، و فجأة هب من الأشجار المواجهة لنا صوت حاد مرتجف:

كُنا خمسة عشر فوق النعش

يوهوهو! و زجاجة الروم.

لم أرى وجوه أكثر بشاعة من وجوه القراصنة فى هذه اللحظة. تلونت وجوههم الستة كأنهم مسحورين، بعضهم قفز و آخرون تمسكوا بمن حولهم. «مورجان» ارتمى على الأرض متشنجًا. صرخ «جورج»:

- إنه «فلان».

توقف الغناء فجأة كما بدأ فجأة، كما لو أن هناك يد وضعت على فم المنشد. من بعيد، عبر الشمس الساطعة و الأشجار، بدا لى الصوت خفيفًا رخيمًا. بدا تأثر رفاقى غامضًا، أصبح وجه «جون» فى لون الشمع و هو يقول:

- هيا، هيا، لا تهتموا بذلك. صوت غامض و لا أعرف مصدره. أعتقد هناك من يمزح معنا. أعتقد إنسان حقيقى من لحم و دم مثلنا.

بدأ يستعيد شجاعته و عاد إلى لونه الطبيعى، الآخرون تنصتوا ثم عاد الصوت مرة أخرى. ليست أغنية هذه المرة لكنه نداء خافت و بعيد، و مع ذلك تردد الصدى فى المشهد الواسع. قال الصوت:

- «داربى ماك جرو».

و تردد النداء عشرات المرات.

ثم ارتفع الصوت و صرخ فى غضب:

- اعطنى الروم يا «داربى».

ارتجف القراصنة فى زعر جاحظى العيون. بقوا ثابتين فى أماكنهم. توقف الصوت عندما بدأوا يجولون البصر حولهم فى صمت و زعر قال أحدهم:

- المسألة محسومة. لنخرج من هذا الجحيم.

تنهد «مورجان» قائلاً:

- هذا هو الرأى الصحيح و الأخير.

«ديك» أخرج كتابه المقدس و راح يصلى. يبدو أن تربيته كانت راقية قبل أن يلتقى أصدقاء السوء، لكن «جون» مازال متشككًا رغم أننى أسمع تخبط أسنانه و هو يقف ثابتًا فى مكانه. ثم غمغم:

- لا أحد فى الجزيرة يعرف «داربى» غيرنا.

بذل مجهودًا كبيرًا ثم أكمل:

- أصدقائى، أتيت هنا لأحصل على البضاعة و لن أتراجع أمام أى إنسان أو أى شيطان، لو كان «فلان» نفسه حى لا أخشاه و لا أخشى أى شيطان، سأواجهه حتى الموت. على بعد نصف ميل من هنا يوجد سبعمائة ألف جنيه ذهبى تحت الأرض، رجل الثروة الذكى لا يتراجع عن هذا أبدًا كما أن «فلان» ميت.

لم تهدأ مخاوف أعوانه بل نمت أكثر من كلماته المتهورة وقال «جورج»:

- يجب التراجع يا «جون»! لن تستطيع مواجهة روح.

كان الآخرين فى حالة هلع حتى أنهم لا يستطيعون الكلام. كل منهم يتمسك بمن يجاوره. الخوف وحدهم ضد «جون». هو الوحيد القادر على التغلب على مخاوفه فقال:

– روح؟ يوجد شيء غامض لا أفهمه. يوجد صدى. لم ير أحد ظلاً لشبح، و بالتالى لا يوجد صدى لشبح. الأمر غير طبيعى أبدًا.

بدت لى حجته واهية جدًا لكنى لم ألتقى هذه الكائنات الخرافية أبدًا، دُهشت عندما رأيت «جورج» يستعيد توازنه و قال:

– صح. أنت تتذكر جيدًا يا «جون». لا يوجد ما نخشاه، هيا يا رجال! هذا البحار يحاول عرقلتنا على ما أعتقد. الصوت يشبه صوت «فلان»، هذا صحيح لكنه أقل تضخمًا إنه صوت رجل آخر قد يكون صوت..

– صوت «بن جان»! اللعنة!

صرخ «مورجان» و هو يقفز:

– نعم صوت « بن جان».

سأل «ديك»:

– و هل يوجد فرق بينهما؟ «بن جان» ليس إلا «فلان». أليس من الممكن أن تحل روح «فلان» فى «بن جان»؟

لكن كل البحارة سخروا من هذه الفكرة ثم أضاف «جورج»:

– لا أحد يخشى «بن جان» حيًا أو ميتًا.

استعادوا شجاعتهم و بسرعة عادت وجوههم إلى طبيعتها ثم بدأوا فى الثرثرة فيما بينهم و هم يتنصتون من حين لآخر. شحنوا البنادق و استكملوا التقدم تحت قيادة «جورج» الذى يحمل بوصلة «جون» للسير بمحاذاة جزيرة الهيكل العظمى. «جورج» الذى قال لا أحد يخشى «بن جان» حيًا أو ميتًا.

«ديك» مازال قابضًا على الكتاب المقدس و هو يتلفت بنظرات خائفة بينما «جون» يسخر منه فقال:

– قلت لك من قبل إنك أفسدت كتابك المقدس، هل تعتقد أن الروح قد تهاجمك؟

قال ذلك ثم توقف على عكازه و هو يطرقع أصابعه لكن لم يستعد «ديك» شجاعته. بعد فترة بسيطة رأيته متأثرًا بالحرارة الشديدة و الخوف، يعانى الحمى و يحتاج إلى رعاية الطبيب بسرعة.

طبيعة الأرض جعلت خطواتنا سهلة. نسير على طريق مسطح ينحدر قليلاً فى اتجاه الغرب كما قلت لكم من قبل، أصبحت المساحات تتسع بين أشجار الصنوبر الكبيرة و الصغيرة، حتى بين تجمعات جوزة الطيب نجد مساحات واسعة تحت أشعة الشمس الحارقة. نتقدم نحو الشمال الغربى و نقترب من دعامات المشهد الواسع و من الناحية الأخرى نكشف الخليج الغربى.

وصلنا أول مجموعة من الأشجار الكبيرة لكن البوصلة تؤكد أنه ليس المكان الصحيح، و نفس الشيء عند المجموعة الثانية أما الثالثة يصل ارتفاعها إلى مائتى قدم. هذا النبات العملاق يميل إلى الحمرة أكثر من البيت و يبسط ظلاً واسعًا يكفى لإقامة معسكر و الأرض مستوية من الشرق و الغرب.

ما يزعج رفاقى ليس ضخامة الشجر لكن السبعمائة ألف جنيه ذهبى المدفونين فى هذه الظلال. الاقتراب من المال يثير أعصابهم، العيون انتبهت فى نشاط محموم و هم يحلمون بالثراء الواسع.

«جون» يقفز بعكازه و العرق يتساقط من وجهه بغزارة دون أن يشعر، يتأكد من متانة الحبل الذى يربطنى به من حين لآخر و هو يرمينى بنظرات متوحشة. لا يحاول أن يخفى مشاعره الآن و أصبح أمامى مثل كتاب مفتوح. بريق الذهب جعله ينسى كل شيء. نسى كل إتفاقه مع الطبيب «ليفسى» و نسى عهده لى، أصبح لا يفكر فى شيء إلا الذهب.

تعثرت فقام «جون» بجذب الحبل بعنف و هو يرمينى بنظرات قاتلة. «ديك» يتبعنا و يقوم بالحراسة الخلفية، يشكو من الحمى و يصلى، أصبحت محنتى شديدة عندما تذكرت أن القرصان ذو الوجه الأزرق الذى مات فى «سافانا» و كان يغنى منذ لحظات ويطلب الشراب، قد قتل هنا ستة رجال. تخيلت الصرخات تجلجل فى هذا الدغل الهادئ الآن.

وصلنا إلى مكان مكشوف فصرخ «جورج»:

- تشجعوا يا رجال.

جرى رجال المقدمة و بعد عشر خطوات توقفوا فجأة وجلجلت صرخة يائسة. جرى «جون» يقفز بعكازه و أنا أتبعه رغم أنفى.

حفرة كبيرة و يبدو أنها حُفرت من فترة طويلة لأننا نجد بعض النباتات نمت داخلها. فأس مكسور إلى قطعتين فى إحدى القطع محفور بالحديد الساخن كلمة «والروس». إسم سفينة «فلان» القديمة.

هناك من وصل إلى الخبيئة قبلنا. ضاعت السبعمائة الف جنيه ذهبى.

●●●

(٣٣)

لم أر فى حياتى تخريب أكثر مما أراه الآن، خيبة الأمل واضحة على القراصنة الستة. «جون» فقط من استطاع التغلب على الضربة، كان يضع آمال كثيرة على الأموال مثل من يراهن على حصان فى السبق و عندما يخسر يتمسك بهدوئه و يبدل خطته بينما الآخرون يترنحون من اليأس. قال لى و هو يمدنى بالمسدس:

- «جيمى»، خذ هذا تحسبًا للفوضى.

تقدم بخطوات بطيئة نحو الشمال و تجاوز الحفرة حتى أصبحت أنا و هو فى جانب و الخمسة الآخرون فى الجانب الآخر، ثم التفت إلىّ و هو يهز رأسه كأنه يقول لى أصبحنا فى موقف خطير.

يبدو لى ودودًا جدًا الآن و هذا ما دفعنى لأهمس له:

- هكذا، عليك الآن أن تغير معسكرك.

قبل أن يجيبنى قفز القراصنة الواحد تلو الآخر فى الحفرة، يحفرون بأيديهم. عثر «مورجان» على قطعة ذهبية و رفعها فى ضوء الشمس ليفحصها. إنها قطعة من جنيهين ذهبيين، مرت القطعة من يد إلى أخرى خلال ربع دقيقة فقط، زمجر «جورج» و هو يلوح بها إلى «جون»:

– جنيهين! أين السبعمائة ألف جنيه؟ أهكذا تدير العمل؟ أنت أفسدت كل شيء بغبائك.

قال «جون» بكل هدوء:

– احفروا يا أولاد، قد تعثرون على الكمأة.

كرر «جورج» و هو يضحك ساخطًا:

– الكمأة! هل تسمعونه يا رجال؟ قلت لكم أنه يعلم كل شيء. واضح من نظراته.

قال «جون» ساخرًا:

– «جورج» ألست القبطان المرشح؟ أنت رجل المستقبل.

فى هذه اللحظة خضعوا جميعًا لـ «جورج». توقفوا عن التنقيب وصعدوا من الحفرة و نظرات الغضب تتطاير من عيونهم. لكن لاحظت أن الموقف جيد، خرجوا كلهم من الناحية الأخرى من الحفرة.

أصبحنا اثنين فى جانب و خمسة فى الجانب الآخر و لا أحد يجرؤ على أن يبدأ الضربة الأولى. «جون» لا يرتجف أبدًا. يرقبهم بهدوء غريب. شجاعته نادرة. بدأ «جورج» يلقى خطبة فى أعوانه:

– يا أصدقاء، أمامنا اثنان فقط. أحدهما العجوز الذى ضللنا جميعًا و الآخر هذا الصغير الشقى و الذى سأنتزع قلبه بيدى. إنها اللحظة المناسبة يا أصدقاء..

رفع يده و صوته و فى نفس اللحظة أتت ثلاث طلقات من الدغل و سقط «جورج» فى الحفرة برأسه و سقط الرجل ذو الضمادة يتشنج على الأرض و الثلاث الباقون فروا هاربين.

و فى لمح البصر أطلق «جون» طلقتين على «جورج» فى الحفرة ولأن نظرات القتيل موجهة إليه قال ساخرًا:

- هكذا نفترق يا «جورج».

ثم ظهر الطبيب و «جراى» و «بن جان» من بين أشجار جوز الطيب القريبة قال الطبيب:

- إلى الأمام يا أولاد و بسرعة. يجب منعهم من الوصول للسفينة.

هرولنا إلى الأدغال الكثيفة. «جون» يتمتع بصحة جيدة. يبدو أن تحركه بالعكاز أكسبه عضلات قوية و هو رجل صالح على حسب رأى الطبيب، رغم ذلك فهو يسير خلفنا على بعد عشرين قامة و لا يستطيع أفضل من ذلك. عندما وصلنا الشاطئ قال:

- يا طبيب لا شىء يدفعنا للتعجل.

فى الحقيقة لا داعى للتعجل. لمحنا فى الهضبة الفارين الثلاثة يتابعون الفرار، يتجهون نحو «أرتيمون». كنا فى مكان وسط بينهم من ناحية و الزوارق من الناحية الأخرى. جلسنا نلهث بينما «جون» يقترب شاحبًا يقول:

- شكرًا جزيلاً يا طبيب. على ما أعتقد وصلت فى الوقت المناسب لى ولـ «جيمى».. و بالنسبة لك يا «بن جان» أنت رجل نبيل.

قال الرجل البنى و هو يرتجف مثل إبرة:

- أنا «بن جان».

ثم أضاف بعد لحظة صمت:

- كيف حالك سيد «جون؟ ألا يجب أن تشكرنى؟

فغمغم «جون»:

- «بن»! أنت سبب فشلى..

أرسل الطبيب «بن جان» ليبحث عن أحد المعاول المفقودة من المتمردين بينما نحن نتجه ببطء نحو الزوارق. بطولة «بن جان» فى هذه الحكاية تثير فضول «جون» و قد علمناها فى هذه الليلة.

لقد اكتشف «بن جان» الهيكل العظمى أثناء إقامته الطويلة فى الجزيرة المعزولة و هو الذى جرده من سلاحه، كما أنه وصل إلى مكان الكنز (المعول المكسور فى الحفرة يخصه) حمل الكنز فوق ظهره على مراحل كثيرة، اخترق أشجار الصنوبر حتى وصل إلى الكهف الموجود فى الجبل ذو القمتين فى طرف الجزيرة. حدث ذلك قبل وصول «إسبانيولا» بشهرين. أدرك الطبيب هذا السر فى ليلة المعركة. فى اليوم التالى رأى المرسى مهجورًا فذهب

إلـى «جـون» ومنحـه الخريطـة بعـد أن أصبحـت عديمـة الجـدوى وتـرك لـه الطعـام لأن كهـف «بـن جـان» مجهـز بلحـوم الماعـز المملحـة بكميـات كبيـرة، تـرك لـه كل شـيء بـدون اسـتثناء و ذهـب إلـى الجبـل ذو القمتـين ليكـون بعيـدًا عـن الملاريـا و لحراسـة الكنـز مـن الناحيـة الأخـرى ثـم قـال لـى الطبيـب:

– بالنسـبة لـك يـا «جيمـى» ألومـك علـى أفعالـك الطائشـة لكنـى أعلـم إنـك تـؤدى واجبـك بإخـلاص.

فـى هـذا الصبـاح اكتشـفت أننـى شـاركت فـى إصابـة المتمردين بالفشـل، لقـد جـرى الطبيـب إلـى الكهـف الـذى يحـوى القبطـان تحـت حراسـة الفـارس و أخـذ معـه «جـراى» و «بـن جـان» و عبـرا الجزيـرة ليتخفيـا وسـط أشـجار الصنوبـر لكنـه لاحـظ تقـدم مجموعتنـا نحـوه. «بـن جـان» الرشـيق كان يعلـم أسـلوب تفكيـر أصدقائـه السـابقين ويتعـاون مـع الطبيـب للتخفـى قبـل أن يصـل الباحثـين عـن الكنـز قـال «جـون»:

– آه يـا طبيـب، مـن حسـن الحـظ أننـى أحتفظـت بـ «جيمـى» إلـى جـوارى. بدونـه كنـت سـتمزقنى قبـل أن تتحـاور معـى.

قال الطبيب بفظاظة:

– بالفعل كنت لن أحاورك أبدًا.

وصلنا إلى القوارب. حطم الطبيب أحدهما و أبحرنا بالقارب الآخر متجهين إلى خليج الشمال، مسافة الرحلة حوالى ثمانية أو تسعة أميال، كنا فى غاية الإرهاق و كان البحر هادئًا مثل الزيت، رغم ذلك ضاعفنا من مجهودنا للوصول إلى الجنوب الشرقى حيث توجد «إسبانيولا».

عندما وصلنا إلى الجبل ذى القمتين لمحنا كهف «بن جان» معتمًا و لمحنا رجلاً شاهرًا مسدسه، إنه الفارس، لوحنا له بالمنديل وصرخنا بكل قوتنا و كان صوت «جون» هو الأقوى.

بعد ثلاثة أميال، عند فم الخليج، تخيلوا ماذا رأينا؟.. «إسبانيولا» تتأرجح مع التيار الأخير لكن الرياح الشديدة التى تهب على المرسى من الجنوب تمنعها من الخروج، فى الحقيقة كان الشراع الكبير ممزقًا بالإضافة إلى بعض التلفيات البسيطة. اتجهنا إلى كهف الروم و هذا أقرب مكان لكنز «بن جان» ثم اتجه «جراى» وحيدًا فى القارب متجهًا إلى «إسبانيولا» لقضاء الليل و حراستها.

من الشاطئ إلى مدخل الكهف كانت الأرض صاعدة قليلاً. الفارس ينتظرنا فى الأعلى و كان ودودًا معى، لم يوجه لى أى عتاب لكنه وجه التحية إلى «جون» بأسلوب فظ قائلاً:

– «جون»، أنت وغد و مخادع مجهول.. نعم، مخادع مجهول. حذرونى منك كثيرًا لكنى رفضت كل التحذيرات.

قال «جون» و هو ينحنى فى أدب:

- شكرًا جزيلاً سيدى.

قال الفارس:

- لا داعى للشكر. إنه الواجب الشنيع.

دخلنا الكهف. واسع و مريح، جيد التهوية، يتكون من نبع صغير و بركة مياه صافية حيث تعيش الطحالب على رمال الأرضية. رأيت القبطان «سموليت» و فى الداخل لمحت انعكاسات الضوء على كمية كبيرة من الأموال، تلال من الذهب، كنز «فلان» الذى آتينا للبحث عنه، فى سبيله مات سبعة عشر بحارًا من رجال «إسبانيولا». كم من الدماء سالت و كم من الآلام و كم من السفن غرقت و كم من الرجال غرقوا و كم من طلقات المدافع و كم من الأكاذيب و الخداع للوصول إلى هذا الكنز؟ لكن مازال يوجد ثلاثة من المسئولين عن الجرائم فى الجزيرة: «جون» العجوز «مورجان» و «بن جان». قال القبطان:

- ادخل يا «جيمى». أنت صبى جيد يا «جيمى» لكن لا أعتقد أنك ستبحر معى. من وجهة نظرى أنت فاسد. و أنت يا «جون» ما الذى أتى بك هنا أيها البحار؟

قال «جون»:

- الواجب.

هتف القبطان:

- آه

و كتم ملاحظاته.

فى هذه الليلة تناولنا طعامًا شهيًا وسط الأصدقاء. تذوقت لحم الماعز المملح مع بعض زجاجات النبيذ المعتق، لم أشعر ببهجة فى حياتى كلها أكثر مما شعرت بها هذه الليلة. كان «جون» يجلس فى ركن بعيد عن ضوء الشعلة لكنه يأكل بشهية و يندفع فى خدمتنا عند طلب أى شىء و هو يوزع الابتسامات مثلما كان يفعل أثناء رحلتنا الأولى.

●●●

(٣٤)

بدأ العمل مع أول شعاع للشمس. علينا نقل الذهب من مكانه إلى الشاطئ لمسافة ميل تقريبًا، ثم من الشاطئ مسافة ثلاثة أميال إلى «إسبانيولا». العمل شاق و عددنا قليل، الهاربون لا يشغلون بالنا أبدًا، مجرد خفير بسيط فى الأعلى يكفى لتجنب أى هجوم مفاجئ، نعتقد أنهم لا يرغبون فى الهجوم.

انهمكنا فى العمل بكل نشاط. «جراى» و «بن جان» يحملان الذهب فى القارب إلى السفينة و الباقون يحملون الذهب من مكانه إلى الشاطئ، سبيكتان مربوطتان بالحبل من الطرفين تعتبران حمولة كافية لرجل ناضج، و يجب السير ببطء لأن الأوزان ثقيلة بالنسبة لى. بما أننى لن أكون مفيدًا فى التحميل بقيت فى الكهف طوال النهار لتجميع العملات فى حقائب الخبز.

كانت العملات مجموعة نادرة، تشبه تلك التى كان يحتفظ بها «بيلى جونز»، و هى عملات نادرة قديمة، عملات إنجليزية، فرنسية، إسبانية، برتغالية، تعود إلى عهد الملك «جورج» و«لويس» و كل ملوك أوروبا منذ القرن السادس عشر، بالإضافة إلى عملات شرقية غريبة أتت مع الحجاج و هى محفوظة فى قطع من الصوف، عملات تنتمى إلى كل أجزاء العالم تقريبًا و كميات

ضخمة أكثر من أوراق الشجر فى الربيع، فى نهاية النهار أصبحت عاجزًا عن تحريك أصابع يدى من الإرهاق.

استمر العمل لعدة أيام. كل يوم نحمل الذهب إلى الشاطئ ومازال هناك الكثير، طوال هذه الفترة لم نشعر بالهاربين الثلاثة أبدًا.

أخيرًا- ربما تكون الليلة الثالثة- تنزهت مع الطبيب فى الجبل حيث توجد الأرض المنخفضة فى الجزيرة. من عمق الدغل سمعنا الغناء و الصرخات فقال الطبيب:

- ليسامحهم الرب. إنهم المتمردين.

أتى صوت «جون» من خلفنا:

- و هم سكارى سيدى.

يجب الاعتراف أن «جون» أصبح مرءوس جيد. يخضع لكل الأوامر بهدوء حتى أننا دُهشنا من تحمله للاحتقار و دفعه للعمل. يتحمل كل هذا بأدب شديد دون أى تزمر، الجميع يعامله مثل كلب ذليل إلا «بن جان» مازال يهابه لأنه كان تحت قيادته فى الماضى. و أنا أيضًا أعامله باحترام لأننى لاحظت ميله إلى جانبنا، سأل الطبيب:

- سكارى أم مرضى؟

أجاب «جون»:

- ربما تكون محقًا سيدى، لكن لا فرق بين الحالتين بالنسبة لى و لك.

قال الطبيب بسخرية:

– ألا تخضع للمشاعر الإنسانية سيد «جون»؟ بالتأكيد لو شعرت أن أحدهم يعانى المرض سأترك المعسكر و أغامر بحياتى لإنقاذه.

أعلن «جون»:

– مع احترامى سيدى، لست محقًا فى ذلك، ستفقد حياتك بهذا الأسلوب. أنا فى جانبكم الآن. أعترف أننا من حثالة المجتمع، هؤلاء الرجال لا يحفظون العهد أبدًا.

قال الطبيب:

– مع ذلك أنت تحفظ العهد.

هذه آخر معلومات وصلتنا من القراصنة الثلاثة الهاربين. بعد ذلك سمعنا طلق نارى مرة واحدة فى البعيد. كانوا يصطادون بالتأكيد. اجتمعنا و قرروا أن يتركوهم فى الجزيرة. ابتهج «بن جان» و وافق «جراى» على هذا القرار. تركنا لهم بعض البارود وكمية كبيرة من الطلقات و أكبر ماعز مملح، بالإضافة إلى بعض الأدوية وبعض الأشياء الضرورية مثل الأدوات و الملابس و لفتين أو ثلاثة من الحبال، كما أمر الطبيب أن نترك لهم كمية من التبغ.

هكذا لا ينقصنا شىء لمغادرة الجزيرة. حملنا الكنز فى السفينة و أخذنا المتبقى من لحوم الماعز. فى ذات صباح مُشمس

رفعنا الهلب و خرجنا من خليج الشمال و السفينة تحمل نفس الراية التى رفعها القبطان.

اكتشفنا أن الرجال الثلاثة كانوا يرقبوننا بالقرب أكثر مما نتوقع. عند خروجنا من الخليج ظهر الثلاثة على صخرة فى الشاطئ راكعين، يمدون لنا أيديهم فى توسل. خفقت قلوبنا حزنًا عليهم لكن لا نستطيع تحمل تمرد جديد و من الناحية الأخرى لو أخذناهم معنا سيواجهون الإعدام على أعمالهم القرصانية الوحشية. راح الطبيب يصرخ لهم و هو يصف لهم أماكن المؤن لكن رغم ذلك لا يكفون من التوسل لنا. ينادون كل واحد باسمه، يطالبون باسم الرب ألا نتركهم للموت فى هذا المكان المعزول.

أخيرًا خرجت السفينة و بدأت رحلة العودة و أصبحت أصواتهم تبتعد رويدًا رويدًا. أحدهم- لا أعلم من هو- أخرج مسدسه و أطلق النيران فأصاب الشراع الكبير.

بعد فترة قصيرة اختفت الأرض تمامًا. عددنا قليل جدًا وعلى الجميع أن يعمل بنشاط، سوى القبطان المريض يجلس فى فراشه يتابع سير العمل. و لأن الرحلة طويلة جدًا و عددنا قليل اقترح القبطان الاتجاه إلى أقرب ميناء فى أمريكا اللاتينية.

ألقينا الهلب فى خليج معزول مع غروب الشمس. هبطنا بالقوارب إلى وديان حيث الزنوج و الهنود الحمر يبيعون الفواكه

والخضـراوات و هـم مسـتعدين للقيـام بـأى أعمـال بحريـة مقابـل المـال. الوجـوه المبتسـمة و الفواكـه الطازجـة و النيـران المشـتعلة فـى المدينـة، كل هـذا يتناقض تمامًا مـع الجزيـرة الموحشـة الدمويـة التـى كنـا بهـا. الطبيـب و الفـارس أخذانـى معهمـا لقضـاء الليـل على الأرض و هنـا التقينـا قبطـان سـفينة حربيـة إنجليزيـة و رتبـوا معـه كل الأمـور و فـى الصبـاح عدنـا إلـى «إسـبانيولا».

لـم نـر إلا «بـن جـان» وحـده فـى السـفينة. ارتجـف و هـو يعتـرف لنـا أنـه عـاون «جـون» على الهـرب منـذ بضعـة سـاعات، و أكد لنـا أنـه قـام بذلـك لإنقـاذ حياتـه. هـذا أفضـل للجميـع، لكـن «جـون» لـم يذهـب خـاوى اليديـن، أخـذ معـه أحـد حقائـب للعمـلات يسـاوى ثلاثمائـة أو أربعمائـة جنيـه و هـو يعتقـد أن هـذا نصيبـه.

سعدنا جميعًا بالخلاص منه مقابل هذا المبلغ.

أخيـرًا عدنـا إلـى «برسـتول» و التقينـا السـيد «براندلـى» يسـتعد للإبحـار لإنقاذنـا، حصـل كل منـا علـى نصيبـه و تصـرف كل منـا فـى المـال حسـب رغبتـه.

القبطـان «سـموليت» اعتـزل البحـر الآن، «جـراى» حافـظ علـى نصيبـه و بـدأ فـى دراسـة مهنتـه و هـو الآن شـريكًا فـى سـفينة جميلـة ويعمـل عليهـا. تـزوج و أصبـح رب أسـرة، أمـا بالنسـبة لـ «بـن جـان» اسـتلم ألـف جنيـه أنفقهـا جميعًـا خـلال ثلاثـة أسـابيع أو تسـعة عشـر

يومًا على وجه الدقة وعاد مفلسًا فى اليوم العشرين. أسندوا إليه حراسة إحدى البوابات، يتعامل مع أطفال المدينة بود شديد و ينشد معهم فى الكنيسة كل يوم أحد.

أما «جون» اختفى تمامًا لكنى أعتقد أنه عاد إلى رفيقته وأعتقد أنه يعيش سعيدًا معها برفقة الببغاء. أتمنى ذلك. رغم أن رحلتنا انتهت منذ زمن طويل إلا أننى ما زلت حتى الآن أحلم بالببغاء و هو يردد: قطعة من ثمانية .. قطعة من ثمانية.

تأليف: روبرت لويس ستفنسون.

ترجمة: حسام أبو سعدة.

كتب للمترجم.

- أفلاطون فى عصر الفضاء.
- زهرة الصحراء.
- القرصان.
- ١٢ قصة مهاجرة.
- أفكار متناقضة.
- الحلم.
- «كليوبترا» أميرة الحب و الحرب.
- الطاعون.
- قرطاجنة.
- أساطير الهنود الحمر.
- أساطير الإغريق.
- «إسكندر» عبقرى السيف و الفكر.
- «يوليوس قيصر»، العسكرى و السياسى.
- التسامح.
- مقدمة فى الفينومينولوجيا.

- حضارات أمريكا القديمة.
- حكايات البحر.
- تفسير الأحلام.
- قبل الإعدام.
- انتظار.
- أكلة لحوم البشر.
- رحلة إلى مركز الأرض.
- ٣ حكايات.
- حكايات الصيد.
- القراصنة و الذهب.

حقوق الطبع محفوظة للناشر

دار أطلس

للنشر والتوزيع

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر